اهداء
فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد
لعبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام
محمد بن عبد الوهاب
رقم ١٨٥ تاريخ الصنع ١٣٠٨
٢٤ - ٦ X ١٧/٢

كتاب فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد

لشيخنا العالم العلامة والحبر الفهامة

حفيد المصنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن

ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب

المكتبة الشاملة

العلم زين وخير الناس يطلبه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

فعش بعلم ولا تبغي به بدلا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

اعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العمل

تخالف الناس فيما قد رأوا وزووا ... وكلهم يدعون الفوز بالظفر

فخذ بقول يكون النصر يصحبه ... إما عن الله أو عن سيد البشر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين كالمبتدعة والمشركين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله الاولين والاخرين وقيوم السموات والارضين واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه اجمعين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما

اما بعد فان كتاب التوحيد الذي الفه الامام شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب اعظم الله له الاجر والثواب وغفر له ولمن اجاب دعوته يوم يقوم الحساب فجاء بديعا في معناه من بيان التوحيد وبراهينه وجمع جملا من ادلته لتبيينه فصار علما للموحدين وحجة على الملحدين فانتفع به الخلق الكثير والجم الغفير فان هذا الامام رحمه الله تعالى مبدئ نشأته قد شرح الله صدره للحق المبين الذي بعث الله به المرسلين من اخلاص العبادة لله جميع انواعها لله رب العالمين وانكار ما كان عليه الكثير من شرك المشركين فاعلا الله همته وقوى عزيمته فقصد الى دعوة اهل نجد الى التوحيد الذي هو اساس الاسلام والايمان ونهاهم عن عبادة الاشجار والاحجار والقبور والطواغيت من الاوثان وعن الايمان بالسحرة والمنجمين والكهان فابطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة يدعو اليها كل شيطان واقام الله به علم الجهاد وادحض به شبه المعارضين من اهل الشرك والعناد ودان بالاسلام اكثر اهل تلك البلاد الحاضر منهم والباد واشتهرت دعوته ومؤلفاته الآفاق حتى اقر له بالفضل من كان من اهل الشقاق الا من استحوذ عليه الشيطان وكره اليه الايمان فاصر على العناد والطغيان وقد اصبح اكثر اهل الجزيرة العرب بدعوته كما قال قتادة رحمه الله عن حال اول هذه الامة ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله انكر ذلك المشركون وكبرت عليهم فابى الله الا ان يمضيها وينصرها ويظهرها على من ناوأها

انها كلمة من خاصمها فلج ومن قاتل بها نصر اما يسر الله لاهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل وييسر الراكب في قيام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها فقد انشرحت صدور وكثير من العلماء لدعوته وسروا واستبشروا واثنوا عليه نثرا ونظما فمن ذلك ما قاله عالم صنعاء محمد ابن اسماعيل الامير عن هذا الشيخ رحمه الله تعالى شعرا

وقد جاءت الاخبار عنه بانه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
ويشرحه ما طوى كل جاهل ... ويبتدع منه فوائق ما عندي
ويعمر اركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
اعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث ووداً بئس ذا الرأي من ودي
وكم هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عكفوا في سوحها من عقيرة ... اهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ... ومستلم الاركان منهن باليد

نفذ فيه المولى به رتبة العلى ... بوقت به يعلى الضلال ويرفع
سقاه غمير الفهم مولاه فارتوى ... وعام بتيار المعارف يقطع
فاحيا به التوحيد بعد اندراسه ... واوضاحه من مطلع الشرق يسطع
سيمر ذبروق المجد الى ما ارتقى لها ... سواه ولا حاذى فناها سميدع
وسمر في منهاج سنة احمد ... يشد ويحمى ما تعفى ويرفع
يناظر بالايات والسنة التي ... امرنا اليها في التنازع نرجع
فاضحت به السمحا يسم ثغر علمه ... واضحى يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا ... وقد كان مسلوكا به الناس تترع
وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالامعي ترفع
فاثاره فيها سوام سوافر ... وانواره فيها تضيء وتلمع

وأما كتابه المذكور الموضوع في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة وبيانه بالادلة من الكتاب والسنة وذكر ما ينافيه من الشرك الاكبر او ينافي كماله الواجب من الشرك الاصغر ونحوه

وما يقرب من ذلك او يصل اليه وقد اقتضى شرحه حفيد
المصنف وهو الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى
فوضع عليه شرحا اجاد فيه وافاد وابرز فيه من البيان ما
يجب ان يطلب منه ويراد وسماه تيسير العزيز الحميد
في شرح كتاب التوحيد وحيث اطلق شيخ الاسلام فالمراد
به ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه والحافظ
فالمراد به احمد بن حجر العسقلاني ولما قرأت شرحه رأيته
قد اطنب في مواضع وفي بعضها تكرار يستغنى بالبعض منه عن الكل
ولم يكمله فاخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله وربما
ادخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتميما للفائدة وسميته
فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد والله اسئل ان ينفع
به كل طالب للعلم ومستفيد وان يجعله خالصا لوجهه
الكريم وموصلا من سعى فيه الى جنات النعيم ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم قال المصنف رحمه الله تعالى بسم
الله الرحمن الرحيم ابتدئ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب
العزيز وعملا بحديث كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن
الرحيم فهو اقطع اخرجه ابن حبان من طريقين قال ابن
الصلاح والحديث حسن ولابي داود وابن ماجة كل امر ذي
بال لا يبدأ فيه بالحمد لله او بالحمد فهو اقطع ولاحمد كل امر
ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو ابتر او اقطع وللدارقطني
عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا كل امر ذي بال لا يبدأ فيه
بذكر الله اقطع والمصنف رحمه الله قد اقتصر في بعض نسخه
على البسملة لانها من ابلغ الثنا والذكر هو للحديث المتقدم و
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقتصر عليها في مراسلاته كما في كتابه
لهرقل عظيم الروم ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها
بالبسملة وثنى بالحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله و
على هذا فالابتدا في البسملة حقيقي وبالحمدلة نسبي اضافي اي با

بالنسبة

بالنسبة الى ما بعد الحمد يكون مبدؤه به والباء في بسم الله متعلقة
بمحذوف اختار كثير من المتاخرين كونه فعلا خاصا فلان كل مبتدئ
بالبسملة في امر يضمر ما جعل البسملة مبدأ له واما كونه متاخرا
فلدلالته على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود ولان
اهم ما يبدأ به ذكر الله وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله
لحذف العامل فوائد منها انه موطن لا ينبغي ان يتقدم فيه غير
ذكر الله ومنها ان الفعل اذا حذف صح الابتداء بالبسملة في كل
عمل وقول وحركة فكان الحذف اعم انتهى ملخصا والباء بسم الله
للمصاحبة وقيل للاستعانة فيكون التقدير بسم الله الفت
حالة كوني مستعينا بذكره متبركا به واما ظهور في اقرا
بسم ربك وفي بسم الله مجريها فلان المقام يقتضي ذلك
كما لا يخفى والاسم مشتق من السمو وهو العلو وقيل من الوسم وهي
العلامة لان كل ما سمي فقد نوه باسمه ووسم قال ال
لكسائي والفراء اصله الاله حذفوا الهمزة وادغموا اللام في اللام
فصار تالاما واحدة مشددة مفخمة قال العلامة ابن القيم
رحمه الله الصحيح انه مشتق وان اصله الاله كما هو قول
سيبويه وجمهور اصحابه الا من شذ وهو الجامع لمعاني الا
الحسنى والصفات العلى والذين قالوا بالاشتقاق انما اراد وا
انه دال على انه صفة له تعالى وهي الالهية كسائر اسمائه الحسنى
كالعليم والقدير والسميع والبصير ونحو ذلك فان هذه
الاسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة ونحن لا
نعني بالاشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى
لا انها متولدة منه تولد الفرع من اصله وتسمية النحاة
للمصدر والمشتق منه اصلا وفرعا ليس معناه ان احدهما
متولد من الاخر وانما هو باعتبار ان احدهما يتضمن الاخر
وزيادة قال ابو جعفر بن جرير الله اصله الاله اسقطت الهمزة
التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة

سماء

وهي ساكنة فادغمت في الاخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة
مشددة انتهى واما تاويل الله فانه على معنى ما روي لنا عن
عبد الله بن عباس هو الذي يالهه كل شيء ويعبده كل خلق وساق
بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الله دوالاولهية
والعبودية على خلقه اجمعين فان قال لنا قائل وما دل على ان
الالوهية هي العبادة وان الاله هو المعبود وان له اصلا
في فعل ويفعل وذكر بيت رؤبة بن العجاج لله در الغانيات
المده سبحن واسترجعن من تالله يعني من تعبد وطلب الله
بعمل ولا شك ان التالله التفعل من اله ياله وقد جاء منه مصدر
يدل على ان العرب قد نطقت بفعل يفعل بغير زيادة وذلك
ما حدثنا به سفيان بن وكيع وساق السند الى ابن عباس انه
قرا ويذرك والهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد
وذكر مثله عن مجاهد فقد بين قول ابن عباس ومجاهد ان
الاله عبد وان الالهة مصدر وساق حديثا عن ابي سعيد
مرفوعا ان عيسى عليه السلام اسلمته امه الى الكتاب ليعلمه
فقال له المعلم اكتب ابجد فقال عيسى اتدري ما ابجد الله
الاله الالهة قال العلامة ابن القيم رحمه الله لهذا الاسم الشريف
عشر خصائص لفظية ثم قال واما خصائصه المعنوية
فقد قال اعلم الخلق به صلى الله لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك وكيف تحصى خصائص اسم
لمسماه كل كمال على الاطلاق وكل مدح وكل حمد وكل ثناء
وكل مجد وكل جلال وكل اكرام وكل عز وكل جمال وكل خير و
احسان وجود وفضل وبر فله ومنه لما ذكر هذا الاسم
في قليل الا كثره ولا عنده خوف الا زاله ولا عنده كرب الا
كشفه ولا عنده هم وغم الا فرجه ولا عنده ضيق الا وسعه
ولا تعلق به ضعيف الا افاده القوة ولا ذليل الا اناله العز
ولا فقير الا اصاره غنيا ولا مستوحش الا انسه ولا مغلوب

الا ايده ونصره ولا مضطر الا كشف ضره ولا شريد الا اواه هو
الاسم الذي تكشف به الكربات وتنزل به البركات وتجاب به
الدعوات وتنال به العثرات وتستدفع به السيئات وتستجلب
به الحسنات وهو الاسم الذي قامت به السموات والارض وبه
انزلت الكتب وبه ارسلت الرسل وبه شرعت الشرايع وبه
قامت الحدود وبه شرع الجهاد وبه انقسمت الخليقة الى السعداء
والاشقياء وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وبه وضعت
موازين القسط ونصب الصراط وقام سوق الجنة والنار وبه
عبد رب العالمين وحمد وبحقه بعثت الرسل وعنه السؤال
في القبر ويوم البعث والنشور وبه الخصام وبه للمحاكمة
وفيه الموالات والمعادات وبه سعد من عرفه وقام بحقه
وبه شقي من جهله وترك حقه فهو سر الخلق والامر وبه
قاما وثبتا واليه انتهيا فالخلق به واليه ولاجله خلق
خلق ولا امر ولا ثواب ولا عقاب ولا مبتدا منه منتهيا
وذلك موجبه ومقتضاه ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار الى اخر كلامه رحمه الله تعالى
قال ابن جرير حدثني التميمي بن يحيى حدثنا عثمان بن سعيد
العزرمي يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم
بالمؤمنين وساق بسنده عن ابي سعيد يعني الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم قال الرحمن
رحمان الاخرة والدنيا والرحيم رحيم الاخرة قال ابن القيم رحمه
الله واسم الله تعالى دال على كونه مالوها معبودا يالهه الخلائق
محبة وتعظيما وخضوعا ومفزعا اليه في الحوائج والنوائب
وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكماله
الملك والحمد والهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم
لجميع صفات كماله اذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي
ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فاعل لما يريد و

لاحكيم في افعاله فصفات الجلال والجمال اخص باسم الله
وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطا
والمنع ونفوذ المشيئة وكمال القدرة وتدبير امر الخليقة
اخص باسم الرب فصفات الاحسان والجود والبر و
الحنان والرافة واللطف اخص باسم الرحمن فالرحمن
دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها
بالمرحوم واذا اردت فهم هذا فتامل قوله وكان بالمؤمنين
رحيما انه بهم رؤف رحيم ولم يجئ قط رحمان بهم وقط
لم تات اسماء الرب تعالى اسماء ونعوت فانها دالة على صفات
كما لم فلا تاتي فيها بين العلمية والوصفية فالرحمن
اسمه تعالى ووصفه من حيث هو صفة جرات تابعا لاسم
الله ومن حيث هو اسم ورد في القران غير تابع بل ورد
الاسم العلم كقوله الرحمن على العرش استوى انتهى ملخصا
قوله الحمد لله ومعناه الثناء بالكلام على الجميل على وجه
التعظيم فمورده اللسان والقلب والشكر يكون باللسان
والجنان والاركان فهو اعم من الحمد متعلقا واخص سببا
لانه يكون في مقابلة النعمة والحمد اعم سببا واخص موردا
لانه يكون في مقابلة النعمة وغيرها فبينهما عموم وخصوص
وجهي يجتمعان في مادة وينفرد كل واحد عن الاخر في مادة
قوله وصلى الله على محمد وعلى اله اصح ما قيل في معنى صلاة
الله على عبده ما ذكره البخاري رحمه الله عن ابي العالية
قال صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وقوله بن القيم
رحمه الله تعالى ونصره في كتابه جلاء الافهام وبدائع
قلت وقد يراد بها الدعا كما في المسند من حديث علي مرفو
عا الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه اللهم اغفر له
اللهم ارحمه وعلى اله اي اتباعه على دينه نص عليه
احمد هنا وعليه اكثر الاصحاب وعلى هذا فيشمل الصحابة

الفوائد

وغيرهم

وغيرهم من المؤمنين كتاب التوحيد كتاب مصدر
كتب يكتب كتابا وكتابة وكتبا ومدار المادة على الجمع ومنه
تكتب بنو فلان اذا اجتمعوا والكتيبة لجماعة الخيل والكتابة
بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف وسمي الكتاب كتابا لجمعه
ما وضع له والتوحيد نوعان توحيد في المعرفة والاثبات
وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد في الطلب
والقصد وهو توحيد الالهية والعبادة قال العلامة ابن
القيم رحمه الله واما التوحيد الذي دعت اليه رسل الله ونزلت
به كتبه فهو نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في
الطلب والقصد فاما [illegible] هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى و
صفات افعاله واسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده
واثبات عموم قضائه وقدره وقد افصح القران عن هذا
النوع حد الافصاح كما في اول الحديد وسورة طه واخر الحشر
واول تنزيل السجدة واول ال عمران وسورة الاخلاص بكمالها وغير
ذلك النوع الثاني ما تضمنته سورة قل يا ايها الكافرون وقوله
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا واول سورة تنزيل الكتاب واخرها واول
المؤمن ووسطها واخرها واول سورة الاعراف واخرها وجملة
سورة الانعام وغالب سور القران بل كل سورة في القران ففي
متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية اليه فان القران
اما خبر عن الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله واقواله فهو
التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له
وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي واما امر و
نهي والزام بطاعته وامره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته
واما خبر عن اكرام اهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وينكرم
به في الاخرة فهو جزاء توحيده واما خبر عن اهل الشرك وما فعل
بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء

من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه
وجزائه وفي شان الشرك واهله وجزائهم انتهى قال شيخ
الاسلام التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم انما
يتضمن اثبات الالهية لله وحده بان يشهد ان لا اله
الا الله هو لا يعبد الا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا له
ولا يعادي الا فيه ولا يعمل الا لاجله وذلك يتضمن اثبات
ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات قال تعالى والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال تعالى وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وقال تعالى
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند
ربه انه لا يفلح الكافرون وقال تعالى واسئل من ارسلنا من
قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
واخبر عن كل نبي من الانبيا انهم دعوا الناس الى عبادة الله
وحده لا شريك له وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في
ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا
ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا وقال عن المشركين انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتا
ركوا الهتنا لشاعر مجنون وهذا في القران كثير وليس المراد
بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله وحده
خالق العالم كما يظن ذلك من يظنه من اهل الكلام والتصوف
ويظن هؤلاء انهم اذا اثبتوا ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية
التوحيد وانهم اذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية
التوحيد فان الرجل لو اقر بما يستحقه الرب من الصفات و
نزهه عن كل ما تنزه عنه واقر بانه وحده خالق كل شيء لم يكن
موحدا حتى يشهد ان لا اله الا الله فيقر بان الله وحده هو
الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له

والاله

والاله هو المالوه المعبود الذي يستحق العبادة ليس هو الاله بمعنى
القادر على الخلق فان فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع
واعتقد ان هذا اخص وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية
في التوحيد كما يفعل ذلك من متكلمة الصفاتية وهو الذي يقوله
عن ابي الحسن واتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله
به رسوله فان مشركي العرب كانوا مقرين بان الله وحده خالق
كل شيء وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون قال طائفة من السلف تسئلهم من خلق السموات
والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره قال تعالى قل لمن
الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من
بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى
تسحرون فليس كل من اقر بان الله رب كل شيء وخالقه
يكون عابدا لله دون ما سواه داعيا له دون ما سواه راجيا له
خايفا منه دون ما سواه يوالي فيه ويعادي فيه ويطيع رسله
ويامر بما امر به وينهى عن ما نهى عنه وعامة المشركين اقروا
بان الله خالق كل شيء واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا
له اندادا قال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا
يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وقال تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى
معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم
وضل عنكم ما كنتم تزعمون وقال تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ولهذا كان من اتباع
هؤلاء من سجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم و
ينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول انا لا اعتقد ان هذا ليس شرك وانما الشرك
اذا اعتقدت انها المدبرة لي فاذا جعلتها سببا ووسطة لم اكن
مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان هذا شرك

انتهى كلامه رحمه الله تعالى ... ويجوز الرفع على الابتدا
الى العبدون بالجر عطف على التوحيد ويجوز الرفع على الابتدا
قال شيخ الاسلام العبادة هي طاعة الله بامتثال ما امر الله
به على السنة الرسل وقال ايضا العبادة اسم جامع لكل
ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة قال
ابن القيم ومدارها على خمس عشرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبو
دية وبيان ان العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح
والاحكام التي للمعبودية خمسة واجب ومستحب وحرام و
مكروه ومباح وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح
وقال القرطبي اصل العبادة التذلل والخضوع وسميت وظا
ئف الشرع على المكلفين عبادات لانهم يلتزمونها ويفعلونها
خاضعين متذللين لله تعالى ومعنى الاية ان الله تعالى اخبر
انه ما خلق الانس والجن الا لعبادته فهذا هو الحكمة في خلقهم
قلت وهي الحكمة الشرعية الدينية قال العماد بن كثير وعبادته تتضمن
طاعته بفعل المامور وترك المحظور وذلك هو حقيقة دين
الاسلام لان معنى الاسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غا
ية الانقياد والذل والخضوع انتهى وقال ايضا في تفسير هذه
الاية ومعنى الاية ان الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده لا
شريك له فمن اطاعه جازاه اتم الجزاء ومن عصاه عذبه اشد
العذاب واخبر انه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع
احوالهم وهو خالقهم ورازقهم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في الاية الا لامرهم ان يعبدون وادعوهم الى عبادتي وقال مجاهد
الا لامرهم وانهاهم اختاره الزجاج وشيخ الاسلام قال وبذلك
هذا قوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى قال الشافعي
لا يؤمر ولا ينهى وقال في القرآن في غير موضع اعبدوا ربكم
اتقوا ربكم فقد امرهم بما خلقوا له وارسل الرسل بذلك و
هذا المعنى هو الذي قصد بالاية قطعا وهو الذي يفهمه جاهير

المسلمين

كلامه

ذلك

المسلمين ويحتجون بالاية عليه قال في هذه الاية تشبه قوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ثم قد يطاع وقد يعصى وكذلك
ما خلقهم الا لعبادته ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون وهو سبحانه
لم يقل انه فعل الاول وهو خلقهم ليفعل بهم الثاني وهو عبادته
ولكن ذكر الاول ليفعلوا هم الثاني فيكونوا هم الفاعلين له فيحصل
لهم بفعله سعادتهم ويحصل ما يحبه ويرضاه منهم ولهم انتهى
ويشهد لهذا المعنى ما تواترت به الاحاديث ففي ما اخرجه مسلم
في صحيحه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى لاهون
اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا وما فيها اكنت مفتديا بها فيقول
نعم فيقول قد اردت منك ما هو اهون من هذا وانت في صلب
ادم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك
فهذا الشرك قد خالف ما اراده به ربه من توحيده ولا يشرك به شيئا
فخالف ما اراده الله منه فاشرك به غيره وهذه هي الارادة الشرعية
الدينية كما تقدم فبين الارادة الشرعية الدينية والارادة الكو
نية القدرية عموم وخصوص مطلق يجتمعان في حق المخلص المطيع و
تنفرد الارادة الكونية القدرية في حق العاصي فافهم ذلك تنج
من جهالات ارباب الكلام وتابعيهم قال في قوله تعالى ولقد
بعثنا في كل امة ... الطاغوت
الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الطاغوت الشيطان وقال جابر رضي الله عنه الطواغيت
كهان كانت تنزل عليهم الشياطين رواهما ابن ابي حاتم وقال مالك
الطاغوت كل ما عبد من دون الله قال العماد بن كثير الطاغوت
الشيطان وما زينه من عبادة غير الله قلت وذلك المذكور بعض
افراده وقد حده العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حدا جامعا
الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او مطاع
فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله او يعبدونه
من دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله او يطيعونه

فيما لا يعلمون انه طاعة لله فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها
وتأملت احوال الناس معها رأيت اكثرهم اعرض عن عبادة
الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعة الله الى ومتابعة رسوله
صلى الله عليه وسلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته وانما معنى
الاية فاخبر تعالى انه بعث في كل طائفة من الناس رسولا
بهذه الكلمة ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت اي اعبدوا
الله وحده واتركوا عبادة ما سواه كما قال تعالى فمن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى قال
العماد بن كثير في هذه الاية وكلهم يدعوا الى عبادة الله و
ينهى عن عبادة ما سواه فلم يزل تعالى يرسل الى الناس الرسل
بذلك منذ حدث الشرك في قوم نوح الذين ارسل اليهم
وكان اول رسول بعثه الله الى اهل الارض الى ان ختمهم بمحمد
صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الانس والجن فملأ المشارق
والمغارب وكلهم كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال تعالى في هذه الاية الكريمة
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فكيف يسوغ لاحد من المشركين بعد هذا ان يقول لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء فمشيئة الشر عينة عنهم منفية
لانه نهاهم عن ذلك على السنة رسله واما مشيئته الكونية
وهي تمكينهم من ذلك قدرا فلا حجة لهم فيه لانه تعالى خلق الناس
واهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر
في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة وهذا قال فمنهم من هدى
الله ومنهم من حقت عليه الضلالة انتهى قلت وهذه الاية
تفسر الاية قبلها وذلك قوله تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم
من حقت عليه الضلالة فتدبر ودلت هذه الاية على ان الحكمة
في ارسال الرسل دعوتهم الى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة
ما سواه وان هذا هو دين الانبياء والمرسلين وان اختلفت

شرعتهم

شرعتهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وانه لابد
في الايمان من العمل بالقلب والجوارح قال وقوله [illegible]
لا [illegible] حسنا قال مجاهد وقضى بمعنى
ووصى وكذلك قرأ ابي بن كعب وابن مسعود وغيرهم وابن
جرير عن ابن عباس وقضى ربك بمعنى امر وقوله تعالى ان لا تعبدوا
الا اياه المعنى ان تعبدوه وحده دون ما سواه وهذا معنى لا
اله الا الله قال العلامة ابن القيم والنفي المحض ليس توحيدا
وكذلك الاثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد الا متضمنا للنفي
والاثبات وهذا هو حقيقة التوحيد قوله وبالوالدين احسانا
اي وقضى ان تحسنوا بالوالدين احسانا كما قضى بعبادته وحده
لا شريك له كما قال تعالى في الاية الاخرى ان اشكر لي ولوالديك
الي المصير

[illegible] هما اي لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأفيف
الذي هو ادنى مراتب القول السيئ ولا تنهرهما اي لا يصدر منك
اليهما فعل قبيح كما قال عطا بن ابي رباح لا تنفض يديك
على والديك وبانهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح امره
بالقول الحسن والفعل الحسن فقال وقل لهما [illegible]
ابي لينا طيبا بادب وتوقير [illegible]
اي تواضع لهما [illegible]
فانهما كما [illegible]
كثيرة منها الحديث المروي من طرق عن انس وغيره ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر قال آمين
آمين آمين فقالوا يا رسول الله على ما امنت فقال اتاني
جبريل فقال يا محمد رغم انف امرء ذكرت عنده فلم يصل عليك
قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم انف امرء دخل عليه شهر
رمضان ثم خرج ولم يغفر له قل آمين فقلت آمين ثم قال
رغم انف امرء ادرك ابويه او احدهما فلم يدخلاه الجنة

قال آمين فقلت آمين وروى الامام احمد من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم رغم انف ثم رغم انف ثم رغم انف رجل
ادرك والديه او احدهما او كلاهما لم يدخل الجنة قال العماد بن
كثير صحيح من هذا الوجه وعن ابي بكرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال الا و
قول الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته
سكت رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن عمرو قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في سخط
الوالدين رواه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وعن ابي اسيد
الساعدي قال بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء
رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما
ابرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار
لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل
الا بهما واكرام صديقهما رواه ابو داود وابن ماجة والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة جدا وقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى في هذا الايه يامر تعالى عباده
بعبادته وحده لا شريك له فانه الخالق الرازق المنعم المتفضل
على خلقه في جميع الحالات وهو المستحق منهم ان يوحدوه ولا
يشركوا به شيئا من مخلوقاته انتهى وهذه الايه هي التي تسمى ايه
الحقوق العشرة وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب
تقديم هذه الايه على ايه الانعام وهذا قد منها لمناسبة كلام ابن
مسعود الاتي ليكون ذكره بعدها انسب وقوله تعالى
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا الايه قال العماد بن كثير يقول الله تعالى لنبيه ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله
وحرموا ما رزقهم الله تعالوا اي هلموا واقبلوا اتل ما حرم ربكم

عليكم اي اقص عليكم ما حرم ربكم عليكم حقا لا تخرصا وارد
ظنا بل وحي منه وامر من عنده الا تشركوا به شيئا وكان في الكلام
محذوف فاذل عليه السياق تقديره وصاكم الا تشركوا به شيئا
وهذا قال في اخر الايه ذلكم وصاكم به انتهى قلت فيكون
المعنى حرم عليكم ما وصاكم بتركه من الاشراك به وفي المغني
لابن هشام في قوله تعالى ان لا تشركوا به شيئا سبعة اقوال
احسنها هذا الذي ذكره ابن كثير ويليه بتين لكم ذلك لئلا تشركوا
فحذفت الجملة من احدهما وهي وصكم وحرف الجر وما قبله
من الاخرى وهذا اذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول اباؤكم
كما قال ذلك ابو سفيان لهرقل وهذا هو الذي فهمه ابو سفيان
وغيره من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم قولوا لا اله الا
الله تفلحوا وبالوالدين احسانا قال القرطبي الاحسان الى
الوالدين بتوقيرهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال امرهما وازالة
الرق عنهما وترك السلطنة عليهما واحسانا نصب على المصدر
وناصبه فعل من لفظه تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا

ولا تقتلوا اولادكم من املاق الفقر اي لا تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر فاني
ارزقكم واياهم وكان منهم من يفعل ذلك بالاناث والذكور
خشية الفقر ذكره القرطبي وفي الصحيحين عن ابن مسعود قلت
يا رسول الله اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك
قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك ثم تلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق الايه
وقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده
قال ابن عطية نهي عام عن جميع انواع
الفواحش وهي المعاصي ظهر وبطن حالتان تستوفيان

قال

سلم

تيه

طلم

اقسام ما جعلتا له من الاشياء انتهى
حرم الله الا بالحق وفي الصحيحين عن ابن عباس مرفوعا لا يحل
دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه
المفارق للجماعة قال ابن عطية ذلكم اشارة الى هذه المحرمات والوصية الامر
المؤكد المقرر قوله لعلكم تعقلون لعل للتعليل اي ان
الله وصانا بهذه الوصايا لنعقلها عنه ونعمل بها وفي تغيير
الطبري الحنفي ذكرا ولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون
لانهم اذا عقلوا تذكروا فاذا تذكروا خافوا واتقوا
لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى
قال
ابن عطية هذا نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف وفيه
سد الذريعة ثم استثنا ما يحسن وهو السعي في نمائه قال
مجاهد التي هي احسن التجارة فيه قوله حتى يبلغ اشده قال
مالك وغيره هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ روى
نحو هذا عن يزيد بن اسلم والشعبي وربيعة وغيرهم
واوفوا الكيل والميزان اي بالقسط قال ابن كثير يامر تعالى باقامة
العدل في الاخذ والاعطا لا نكلف نفسا الا وسعها اي من اجتهد
باداء الحق واخذه فان الخطا بعد استفراغ وسعه وبذل
جهده فلا حرج عليه قوله واذا قلتم فاعدلوا
اي قولوا الحق في القريب والبعيد
قال الحنفي العدل في القول في حق الولي والعدو لا تتغير
في الرضى والغضب بل يكون على الحق وان كان ذا قربى فلا يميل
الى الحبيب والقريب ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا
اعدلوا هو اقرب للتقوى
قال جرير
بوصية الله التي وصاكم بها فاوفوا وانقادوا لذلك بان
تطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه وتعملوا بكتابه وسنة
رسوله

الثيب

وذلك هو الوفاء بعهد الله وكذا قال غيره
وصاكم به لعلكم تذكرون اي تتعظون وتنتهون عما كنتم
فيه
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله قال القرطبي هذه اية عظيمة عطفها على ما
تقدم فانه لما نهى وامر حذر عن اتباع غير سبيله على ما
بينته الاحاديث الصحيحة واقاويل السلف وان في موضع
نصب اي اتل ان هذا صراطي عن الفرا والكسائي ويجوز ان
يكون حفظا اي ووصاكم بان هذا صراطي قال الصراط
الطريق الذي هو دين الاسلام مستقيما نصب على الحال ومعناه
مستويا قويما لا عوج فيه فامر باتباع طريقه الذي طرقه
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت
منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق
افضت به الى النار قال الله تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله اي تميل انتهى وروى احمد والنسائي والدارمي
وابن ابي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال خط رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما
ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال
هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم
قرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله وعن مجاهد ولا تتبعوا السبل قال
البدع والشبهات قال ابن القيم رحمه الله ولنذكر في الصراط
قولا وجيزا فان الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته
ومتعلقاته وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي
نصبه لعباده موصلا لهم اليه ولا طريق اليه سواه بل
الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من طريقه الذي نصبه
على السن رسله وجعله موصلا لعباده اليه وهو افراده
بالعبودية وافراد رسوله بالطاعة فلا يشرك به احدا في

عبوديته ولا يشرك برسوله احدا في طاعته فيجرد التوحيد
ويجرد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا كله مضمون
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاي شيء فسر به
الصراط المستقيم فهو داخل في هذين الاصلين ويكتنف ذلك
ان تحبه بقلبك وترضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك
موضع لا معمورا بحبه ولا يكون لك ارادة الا متعلقة
بمرضاته فالاول يحصل بتحقيق شهادة ان لا اله الا الله و
الثاني يحصل بتحقيق شهادة ان محمدا رسول الله وهذا هو الهدى
ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث
الله به رسوله والقيام بكل ما شئت من العبارات التي هذا
اختتامه وقطب رحاها قال وقال سهل بن عبد الله عليكم بالاثر والسنة
فاني اخاف انه سيأتي على قليل زمان اذا ذكر انسان النبي
صلى الله عليه وسلم ولا اقتدى به في جميع احواله ذموه ونفروا
عنه وتبرؤا منه واذلوه واهانوه قال ابن مسعود رضي الله عنه
ان ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه
فاقرأ قوله تعالى تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
الآية رواه ابن ماجه وعبد الله بن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن غافل
بضم الغين وفا بن حبيب الهذلي ابو عبد الرحمن صحابي جليل من
السابقين الاولين واهل بدر وبيعة الرضوان ومن كبار
علماء الصحابة امره عمر على الكوفة ومات بها سنة اثنتين و
ثلاثين رضي الله عنه وهذا الاثر رواه الترمذي وحسنه
وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني بنحوه قال بعضهم
معناه من اراد ان ينظر الى الوصية التي كأنها كتبت وختم
عليها فلم تغير ولم تبدل فليقرأ قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الى آخر الآيات شبهها بالكتاب الذي كتب ثم ختم فلم
يزد فيه ولم ينقص فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص الا

بكتاب

بكتاب الله كما قال فيما رواه مسلم واني تارك فيكم ما ان تمسكتم
به لن تضلوا كتاب الله وقد روى عبادة بن الصامت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يبايعني على هؤلاء الايات الثلاث
ثم تلى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم حتى فرغ من ثلاث الايات
ثم قال من وفى منهن فاجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فادركه
الله في الدنيا كانت عقوبته ومن اخره الى الاخرة كان امره الى
الله ان شاء اخذه وان شاء عفى عنه رواه ابن ابي حاتم والحاكم و
صححه ومحمد بن نصر في الاعتصام قلت ولان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يوص امته الا بما وصاهم الله به على لسانه وفي كتابه
الذي نزله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وهذه
الايات وصية الله تعالى ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم
[illegible] النبي صلى الله عليه
[illegible] الذي [illegible] قلت لله ورسوله اعلم قال حق الله
[illegible] ان لا يشركوا به شيئا قلت يا رسول الله
[illegible] قال لا تبشرهم فيتكلوا اخرجاه في الصحيحين
هذا الحديث في الصحيحين من طرق وفي بعض رواياته
نحو ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ومعاذ هو بن جبل بن
عمرو بن اوس الانصاري الخزرجي ابو عبد الرحمن صحابي شهير
من اعيان الصحابة شهد بدرا وما بعدها وكان اليه المنتهى
في العلم والاحكام والقرآن رضي الله عنه واستخلفه النبي صلى
على اهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
معاذ يحشر يوم القيمة امام العلماء برتوة اي بخطوة قال
في القاموس والرتوة الخطوة وشرف من الارض وسويعة من الزمان
والدعوة والفطرة ورمية بسهم او نحو ميل او مدة البصر و
الراعي العالم الرباني انتهى وقال في النهاية انه يتقدم العلماء

برتوه اي برمية سهم وقيل ميل وقيل مد البصر وهذه الثلاثة
اشبه بمعنى الحديث مات ثلثة ثمانى عشرة بالشام في
طاعون عمواس قوله كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فيه
جواز الارداف على الدابة وفضيلة معاذ قوله على حمار في
رواية اسمه عفير اهداه اليه المقوقس صاحب مصر
وفيه تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار والارداف
عليه خلافا لما عليه اهل الكبر قوله اتدري ما حق الله على
العباد اخرج السئوال بصيغة الاستفهام ليكون اوقع
في النفس وابلغ في فهم المتعلم وحق الله على العباد هو ما
يستحقه عليهم وحق العباد على الله معناه انه متحقق لا
محالة لانه قد وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده وعد
الله لا يخلف الله وعده قال شيخ الاسلام كون المطيع
يستحق الجزاء هو استحقاق انعام وتفضل ليس هو استحقاق
مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق فمن الناس من يقول لا
معنى للاستحقاق الا انه اخبر بذلك ووعده صدق
لكن اكثر الناس يثبتون استحقاقا زايدا على هذا كما دل
عليه الكتاب والسنة قال تعالى وكان حقا علينا نصر
المؤمنين لكن اهل السنة يقولون هو الذي كتب على نفسه
الرحمة واوجب على نفسه الحق لم يوجبه عليه مخلوق
والمعتزلة يدعون انه واجب عليه بالقياس على الخلق
وان العباد هم الذين اطاعوه بدون ان يجعلهم مطيعين
له وانهم يستحقون الجزاء بدون ان يكون هو الموجب
وغلطوا في ذلك وهذا الباب غلطت فيه الجبرية
القدرية اتباع جهم والقدرية النافية قوله فقلت
الله ورسوله اعلم فيه حسن الادب من المتعلم وانه
ينبغي لمن سئل عن ما لا يعلم ان يقول ذلك بخلاف اكثر
المتكلفين قوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا اي

يوحدوه

يوحدوه بالعبادة ولقد احسن العلامة ابن القيم حيث قال
عرف العبادة بتعريف جامع فقال رحمه الله تعالى
وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالامر امر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان
قوله ولا يشركوا به شيئا اي يوحدوه بالعبادة فلا بد من
التجرد من الشرك في العبادة ومن لم يتجرد من الشرك لم
يكن اتيا بعبادة الله بل هو مشرك قد جعل لله ندا وهذا
معنى قول المصنف رحمه الله وفيه ان العبادة هي التو حيد
لان الخصومة فيه وفي بعض الاثار الالهية اني والجن
والانس في بناء عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر
سواي خيري الى عبادي نازل وشرهم الي صاعد اتحبب
اليهم بالنعم ويتبغضون الي بالمعاصي قوله وحق العباد
على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا قال الحافظ ا
قتصر على نفي الاشراك لانه يستدعي التوحيد بالاقتضاء و
يستدعي اثبات الرسالة باللزوم اذ من كذب رسول الله
فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك وهو مثل قول
القائل من توضا صحت صلاته اي مع سائر الشروط انتهى
قوله افلا ابشر الناس فيه استحباب تبشارة المسلم بما
يسره وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل
هذا قاله المصنف قوله لا تبشرهم فيتكلوا اي يعتمدوا
على ذلك فيتركوا التنافس في الاعمال وفي رواية فاخبر بها
معاذ عند موته تاثما اي تحرجا من الاثم قال الوزير ابو
المظفر لم يكن يكتمها الا عن جاهل يحمل جهله على سوء الا
بترك الخدمة في الطاعة فاما الاكياس الذين اذا سمعوا
بمثل هذا ازدادوا طاعة ورأوا ان زيادة النعم تستدعي زيادة
الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم وفي الباب من الفوائد غير

ما تقدم الحث على اخلاص العبادة لله تعالى وانها لا تنفع
مع الشرك بل لا تنفي عبادة والتنبيه على عظمة حق الوا
لدين وتحريم عقوقهما والتنبيه على عظمة الايات في سورة
الانعام وجواز كتمان العلم للمصلحة قوله اخرجاه اي
البخاري ومسلم والبخاري هو الامام محمد بن اسماعيل بن ابرا
هيم بن برد زبة الجعفي مولاهم الحافظ الكبير صاحب الصحيح
والتاريخ والادب المفرد وغير ذلك من مصنفاته روى عن
الامام احمد بن حنبل والحميدي وابن المديني وطبقتهم وروى
عنه مسلم والنسائي والترمذي والفربري راوي الصحيح ولد
سنة ثلاث اربع وتسعين ومائة ومات ليلة سبت وخمسين
ومائتين ومسلم هو ابن الحجاج بن مسلم ابو الحسين القشيري
النيسابوري صاحب الصحيح والعلل والوحدان وغير ذلك
روى عن احمد بن حنبل ويحيى بن معين وابي خيثمة وابن ابي شيبة
وطبقتهم وروى عنه الترمذي وابراهيم بن محمد بن سفيان
راوي الصحيح وغيرهما ولد سنة اربع ومائتين ومات سنة
احدى وستين ومائتين بنيسابور رحمه الله تعالى قوله
بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب باب خبر مبتدا
محذوف تقديره هذا قلت ويجوز ان يكون مبتدا خبره
محذوف تقديره هذا وما يجوز ان تكون موصولة والعائد
محذوف اي وتبيان الذي يكفره من الذنوب ويجوز ان تكون
مصدرية اي وتكفيره الذنوب وهذا الثاني اظهر قوله
تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن
وهم مهتدون قال ابن جرير حدثني المثنى وساق بسنده
عن الربيع بن انس قال الايمان الاخلاص لله وحده وقال
ابن كثير في الاية اي هؤلاء الذين اخلصوا العبادة لله وحده
ولم يشركوا به شيئا هم الامنون يوم القيمة المهتدون في الدنيا
والاخرة وقال ابن زيد وابن اسحق هذا من الله على فصل

لعله العبيكان

باب ح

القضا

القضا بين ابراهيم وقومه وعن ابن مسعود رضي الله عنه لما نزلت هذه
الاية قالوا فاينا لم يظلم نفسه قال عليه السلام ان الشرك
لظلم عظيم وساق البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث
حدثنا ابي حدثنا الاعمش قال حدثني ابراهيم عن علقمة عن
عبد الله رضي الله عنه قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم قلنا يا رسول الله اينا لا يظلم نفسه قال ليس
كما تقولون لم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك الم تسمعوا
الى قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم وعن عمر رضي الله عنه انه ضرب رجلا في ذنب فيكون الامن من
كل عذاب وقال الحسن والكلبي اولئك لهم الامن في الاخرة
وهم مهتدون في الدنيا وهذا الحديث اي المتقدم في الصحيح

لفظه

والمستدرك وغيرهما وفي لاحمد عن عبد الله قال لما نزلت
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم
نفسه قال انه ليس الذي تعنون الم تسمعوا ما قال
العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
انما هو الشرك قال شيخ الاسلام والذين شق عليهم
ظنوا ان الظلم المشروط هو كل ظلم العبد لنفسه وانه
لا امن ولا اهتدا الا لمن لم يظلم نفسه فبين لهم النبي صلى
الله عليه وسلم ان الشرك ظلم في كتاب الله فلا يحصل الامن والاهتدا
الا لمن لا يلبس ايمانه بهذا الظلم فمن لم يلبس ايمانه به كان
من اهل الامن والاهتدا كما كان من اهل الاصطفا في قوله ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه

لعله لا ينفي

الاية وهذا لا ينفي ان يؤاخذ احدهم بظلمه لنفسه بذنب
اذا لم يتب كما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وقد سئل ابو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اينا لم يعمل سوءا فقال يا ابا بكر الست تتعب

تنصب المست تحزن اليس يصيبك الذي ذلك ما تجزون
به فبين ان المؤمن الذي اذا مات دخل الجنة قد يجزى بشيء
من في الدنيا بالمصايب قال ثم من سلم من اجناس الظلم الثلثة
الشرك وظلم العباد وظلمه لنفسه بما دون الشرك كان له
الامن التام والاهتداء التام ومن لم يسلم من ظلم نفسه كان
له الامن والاهتداء مطلقا بمعنى انه لا بد ان يدخل الجنة
كما وعد بذلك في الاية الاخرى وقد هداه الله الى الصراط المستقيم
الذي تكون عاقبته فيه الى الجنة ويحصل له من نقص الامن
والاهتداء بحسب ما نقص من ايمانه بظلم لنفسه ليس مراد
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انما هو الشرك ان من لم يشرك الشرك
الاكبر يكون له الامن التام والاهتداء التام فان احاديثه الكثيرة
مع نصوص القران تبين ان اهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل
يحصل لهم الامن التام والاهتداء التام الذي يكونون معه مهتدين
الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من غير عذاب
يحصل لهم بل معهم اصل الاهتداء الى هذا الصراط ومعهم صل
نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول الجنة وقوله انما هو
الشرك ان اراد الاكمل فمقصوده ان من لم يكن من اهله فهو
امن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والاخرة وان كان
مراده جنس الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخله بحق المال
ببعض الواجب هو شرك اصغر وحبه ما يبغضه الله
حتى يقدم هواه على محبة الله شرك اصغر وخوف لك لهذا
فاته من الامن والاهتداء بحسبه وهذا كان السلف يخافون
الذنب وهذا الظلم بهذا الاعتبار انتهى ملخصا وقال ابن القيم
رحمه الله قوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون قال الصحابة وايتنا يا رسول الله لم يظلم
نفسه يلبس ايمانه بظلم قال ذلك الشرك الم تسمعوا قول العبد
الصالح ان الشرك لظلم عظيم فلما اشكل عليهم المراد بالظلم

فظنوا ان ظلم النفس داخل فيه وان من ظلم نفسه اي ظلم
كان لم يكن امنا ولا مهتديا اجابهم صلوات الله وسلامه
عليه بان الظلم الرافع للامن والهداية على الاطلاق هو الشرك
وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل فان
الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في
غير موضعها والامن والهدى المطلق هو الامن في الدنيا و
الاخرة والهدى الى الصراط المستقيم فالظلم المطلق التام
رافع للامن والهدى المطلق التام ولا يمنع ذلك ان يكون مطلق
الظلم مانعا من مطلق الامن ومطلق الهدى فتامله فالمطلق
للمطلق والمحصة للمحصة انتهى ملخصا

عبادة بن الصامت بن قيس
الانصاري الخزرجي ابو الوليد احد النقباء بدري مشهور
مات بالرملة سنة اربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون
سنة وقيل عاش الى خلافة معاوية قوله من شهد ان لا اله
الا الله اي من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا
وظاهرا فلا بد في الشهادة من العلم واليقين بمدلولها
كما قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقوله الا من شهد
بالحق وهم يعلمون اما النطق بها من غير معرفة بمعناها
ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك واخلاص القول
والعمل قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فغير
نافع بالاجماع قال في المفهم على صحيح مسلم باب لا يكفي
مجرد التلفظ بالشهادتين بل لا بد من استيقان القلب
هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة

القائلين ان التلفظ بالشهادتين كاف في الايمان واحاديث هذا
الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة
لمن وقف عليها ولانه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق
بالايمان الصحيح وهو باطل قطعا انتهى وفي هذا الحديث تعاضد
على هذا وهو قوله من شهد فان الشهادة لا تصح الا اذا كانت
عن علم ويقين واخلاص وصدق قال النووي هذا حديث عظيم
جليل للوقع وهو اجمع او من اجمع الاحاديث المشتملة على
العقائد فانه صلى الله عليه وسلم جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر
على اختلاف عقائدهم ونباعدها فاقتصر صلى الله عليه وسلم في
هذا الحرف على ما يباين به جميعهم انتهى ومعنى لا اله الا الله
اي لا معبود بحق الا الله وحده وهو في مواضع من القرآن
وياتي في قول البقاعي صريحا قوله وحده تاكيد للاثبات لا
شريك له تاكيد للنفي قاله الحافظ كما قال تعالى والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال والى عاد
اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره فاجابوه
رادا عليه بقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
اباؤنا وقال تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من
دونه هو الباطل الاية فتضمن ذلك نفي الالهية عما سوى الله
وهي العبادة واثباتها لله وحده لا شريك له والقرآن من اوله
الى اخره يتبين هذا ويقرره ويرشد اليه فالعبادة يجمع انواعها
انما تصدر عن تالله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغبا
ورهبا وهذا كله لا يستحقه الا الله كما تقدم في ادلة هذا
الباب وما قبله فمن صرف من ذلك شيئا لغير الله فقد جعله
ندا لله فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل ذكر كلام العلماء
في معنى لا اله الا الله قد تقدم كلام ابن عباس وقال الوزير ابو المظفر
في الافصاح قوله شهادة ان لا اله الا الله يقتضي ان يكون الشاهد

الاله ص

عالما

عالما بان لا اله الا الله كما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله قال اسما
الله مرتفع بعد الا من حيث انه الواجب له الالهية فلا يستحقها
غيره سبحانه قال وجملة الفائدة في ذلك ان تعلم ان هذه
الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والايمان بالله فانك بها
نفيت الالهية واثبت الايجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطا غوت
وآمن بالله وقال في البدائع رد القول من قال ان المستثنى مخ
من المستثنى منه من المنفي قال بل هو من المنفي وحكمه فلا مخرج ص
يكون داخلا في المنفي اذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الاسلام
بقول لا اله الا الله لانه لم يثبت الالهية لله وهذه اعظم كلمة
تضمنت نفي الالهية عما سوى الله واثباتها له بوصف
الاختصاص فدلالتها على اثبات الالهية اعظم من دلالة
قولنا الله اله ولا يستريب احد في هذا البتة انتهى بمعناه
قلت ولا ريب انه لم يدخل في المنفي اصلا لان المراد من هذه المنفي
الكلمة افراده تعالى بالالهية في قلب الموحد وقوله وعمله كما
دلت عليه الايات المحكمات كما اخبر عن دعوة رسله ان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره فنفوا الالهية عما سوى الله تعالى واثبتوها
لله وحده فانه تعالى هو المتصف بتفرده بالالهية ازلا وابدا
كما قال تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
هو الباطل واخبر تعالى عن المشركين انهم قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وانكروا ان يدخلوه في جملة الهتهم في العبادة وانكروا ان
تكون العبادة لله وحده مع معرفتهم ان لا اله الا الله تبطل ذلك
وتسوغ الهتهم بالله في العبادة هو الشرك الاكبر الذي يوجب الخلود وتسوية
في النار فالموحد مخالف للمشرك في قوله وفعله ونيته وهذا
ظاهر لا يخفاء به على احد والله ابو عبد الله القرطبي في تفسيره
لا اله الا هو اي لا معبود الا هو وقال الزمخشري لا اله من اسماء
الاجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او بباطل
ثم غلب على المعبود بحق قال شيخ الاسلام الاله هو المعبود

المطاع فان الاله هو المالوه والمالوه هو الذي يستحق ان يعبد
وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التي يستلزم
ان يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع و
قال ابن القيم الاله هو الذي تالهه القلوب محبة واجلالا
وانابة واكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء و
توكلا وقال ابن رجب الاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة
له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه
ودعاء له ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل فمن اشرك
مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية كان
ذلك قدحا في اخلاصه من قوله لا اله الا الله وكان فيه من
عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وقال البقاعي الاله
الا الله اي انتفاء انتفاء عظيما ان يكون معبود بحق غير الملك
الاعظم فان هذا العلم هو اعظم الذكرى المنجية من اهوال
الساعة وانما يكون علما اذا كان نافعا وانما يكون نافعا
اذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه والا فهو جهل صرف
وقال الطيبي الاله فعال بمعنى المكتوب بمعنى اله الهة اي
عبد عبادة قال الشارح وهذا كثير جدا في كلام العلماء
واجماعا منهم ان الاله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد
القبور وجهلة المتكلمين من ان معناه انه هو الخالق و
القادر على الاختراع او نحو ذلك ويظنون انهم اذا قالوها
فقد اتوا من التوحيد بالغاية القصوى ولو فعلوا من عبادة
غير الله كدعوة الاموات والاستغاثة بهم في الكربات والنذر
لهم في الملمات الى غير ذلك من انواع العبادات وما شعروا ان
مشركي العرب وغيرهم يشاركونهم في الاقرار بهذا المعنى و
يعتقدون ان الله هو الخالق القادر على الاختراع ونحو ذلك
كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز

العليم

العليم فاخبر تعالى عنهم انهم اتخذوا الاولياء من دونه وقالوا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله
فبالمن كان ابو جهل ورؤوس الكفر من قريش وغيرهم اعلم منه
بمعنى لا اله الا الله قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله
يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون فعرفوا
انها تدل على ترك عبادة معبوداتهم قلت ودلالتها على
هذا دلالة تضمن وان ذلك يقتضي اخلاص العبادة لله وحده
فدلالتها على نفي الالهة وعباداتها واثبات الله تعالى بالعبادة دلالة
مطابقة فمدلولها النفي والاثبات نفي الالهية عن كل ما
سوى الله كائنا من كان واثبات الالهية لله وحده دون كل
ما سواه وهذا هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل ودل عليه
القران من اوله الى اخره كما قال تعالى عن الجن قل اوحي الي انه
استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى
الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فلا اله الا الله لا ينفع
الا من عرف مدلولها نفيا فيها واثباتا واعتقد ذلك وقبله
وعمل به واما من قالها عن غير علم واعتقاد وعمل تقدم في
كلام العلماء ان هذا جهل صرف فهي حجة عليه بلا ريب فقوله
في الحديث وحده لا شريك له تاكيد وبيان لمضمون معناها
وقد اوضح الله ذلك وبينه في قصص الانبياء والمرسلين في
كتابه المبين فما اجهل عباد القبور بجاههم وما اعظم
ما وقعوا فيه فان مشركي العرب ونحوهم جحدوا الا اله الا الله لفظا
ومعنى وهؤلاء المشركون اقروا بها لفظا وجحدوا بها معنى
فجحد احدهم بقولها وهو ياله غير الله بانواع العبادة كالحب
والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والدعاء وغير ذلك من انواع
العبادة بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب فان اكثرهم
اذا وقع في شدة اخلص الدعاء لغير الله ويعتقدون انه اسرع
فرجا لهم من الله بخلاف حال المشركين الاولين فانهم يشركون

في الرخاء واما في الشدائد فانما يخلصون لله وحده كما قال تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون الاية فبهذا يتبين ان مشركي اهل هذه الازمان
اجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم قوله
وان محمدا عبده ورسوله اي وشهد بذلك وهو معطوف على ما
قبله على نية تكرار العامل ومعنى العبد هنا المملوك العابد اي
انه مملوك لله والعبودية الخاصة وصفه كما قال تعالى
اليس الله بكاف عبده فاعلى مراتب العبد العبودية الخاصة و
الرسالة فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق في هاتين
الصفتين فلما الربوبية والالوهية فنهاحق الله لا يشركه
في شيء منهما ملك مقرب ولا نبي مرسل وقوله عبده ورسوله اتى
بهاتين الصفتين وجمعهما دفعا للافراط والتفريط فان كثيرا
ممن يدعي انه من امته افرط بالغلو قولا وفعلا وفرط بترك
متابعته واعتمد على الاراء المخالفة لما جاء به وتعسف في تحريف
تاويل اخباره واحكامه بصرفها عن مدلولها والصدف عن
الانقياد لها مع اظراحها فان شهادة ان محمدا عبد الله ورسوله
تقتضي الايمان به وتصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر والانتهاء
عما عنه زجر واداء يعظم امره ونهيه ولا يقدم عليه قول احد
كائنا من كان والواقع اليوم وقبله خلاف ذلك فالله المستعان
وروى الدارمي في مسنده عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه
كان يقول انا اجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي
بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويتجاوز لن اقبضه حتى يقيم الملة
المعوجة بان يشهدوا ان لا اله الا الله يفتح بها اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا قال عطاء بن يسار اخبر به ابو واقد الليثي انه
سمع كعبا يقول مثل ما قال ابن سلام قوله وان عيسى عبد الله و

حقا والهيته

رسوله

ورسوله اي خلافا لما يعتقده النصارى انه الله او ابن الله او
ان الله ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله فلا بد ان يشهد ان عيسى
عبد الله ورسوله على علم ويقين بانه مملوك لله خلقه من انثى
بلا ذكر كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون فليس ربا ولا الها سبحان الله
عما يشركون قال تعالى فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في
المهد صبيا قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا الاية
وقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
الاية ويشهد المؤمن ايضا ببطلان قول اعدائه اليهود انه
ولد بغى لعنهم الله فلا تصح اسلام احد حتى يتبرأ من قول
الطائفتين في عيسى عليه السلام ويعتقد ما قاله الله فيه انه
عبد الله ورسوله قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
لوجوده بقوله تعالى كن كما قاله السلف من المفسرين قال
الامام احمد في الرد على الجهمية الكلمة التي القاها الى مريم قال
له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان
بكن فكن من الله قولا وليس كن مخلوقا وكذب النصارى
والجهمية على الله في امر عيسى انتهى قوله القاها الى مريم
قال ابن كثير خلقه الله بالكلمة التي ارسل بها جبريل عليه السلام
الى مريم فنفخ فيها من روحه بامر ربه عز وجل فكان عيسى
باذن الله عز وجل فهو ناشئ عن الكلمة التي قال له كن فكان
والروح التي ارسل بها جبريل عليه السلام قوله وروح
منه قال ابي بن كعب عيسى روح من الارواح التي خلقها
الله تعالى واستنطقها بقوله الست بربكم قالوا بلى بعثنا
الى مريم فدخل فيها رواه عبد بن حميد وعبد الله بن احمد في
زوائد المسند وابن جرير وابن ابي حاتم وغيرهم قال الحافظ
ووصفه بانه منه المعنى انه كائن منه كما في قوله تعالى

بون

لله

وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه والمعنى انه كائن منه
كما ان معنى الاية الاخرى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه اي
انه مكون ذلك وموجده بقدره وحكمته قال الشيخ المضاف الى الله
تعالى اذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب ان
يكون صفة لله تعالى قائمة به وامتنع ان تكون اضافتها اضافة
مخلوق مربوب واذا كان المضاف عينا قائمة بنفسها كعيسى وجبريل
عليهما السلام وارواح بني ادم امتنع ان تكون صفة لله تعالى لان
ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره لكن الاعيان المضافة الى
الله تعالى على وجهين احدهما ان تضاف اليه لكونه خلقها وابدعها
فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم سماء الله وارض الله فجميع المخلوقين
عبيد الله وجميع المال مال الله الوجه الثاني ان يضاف اليه لما خصه
به من معنى يحبه ويامر به ويرضاه كما خص البيت العتيق
بعبادة فيه لا تكون في غيره وكما يقال عن مال الفيء والخمس هو مال الله
ورسوله ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه واطاعوا
امره فهذه اضافة تتضمن الوهيته وشرعه ودينه وتلك اضافة
تتضمن ربوبيته وخلقه انتهى ملخصا قوله والجنة حق والنار
حق اي وشهد ان الجنة التي اخبر بها تعالى في كتابه انها اعدها
للمتقين حق اي ثابتة لا شك فيها وشهد ان النار التي
اخبر بها تعالى في كتابه انه اعدها للكافرين حق كذلك
ثابتة كما قال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله الاية
وقال فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
وفي الايتين ونظائرهما دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان
الان خلافا للمبتدعة وفيهما الرد على من انكر المعاد قوله ادخله
الله الجنة على ما كان من العمل هذه الجملة جواب الشرط وفي
رواية ادخله الله الجنة من اي ابواب الجنة الثمانية شاء
قال الحافظ ومعنى قوله على ما كان من عمل اي من صلاح او فساد

الاسلام

وجبريل

ولان اهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة ويحتمل ان معنى قوله يكون
على ما كان من عمل اي يدخل الجنة على حسب كل منهما في الدرجات ثم
قال القاضي عياض ما ورد في حديث عبادة يكون خصوصا لمن قال
ما ذكره صلى الله عليه وسلم وقرن بالشهادتين حقيقة الايمان والتوحيد
الذي ورد في حديثه فيكون له من الاجر ما يرجح على سيئاته ويوجبله
المغفرة والرحمة ودخول الجنة لاول وهلة قال مسلم في حديث عتبان
قال اسحق عن ابن عيينة في الله يبتغي بذلك وجه الله تولد ولهما اي
البخاري ومسلم في صحيحيهما بكماله وهذا طرف من حديث طويل اخرجه
الشيخان وعتبان بكسر المهملة بعدها مثناة فوقية ثم موحدة ابن مالك
ابن عمرو بن العجلان الانصاري من بني سالم بن عوف صحابي شهير مات في
خلافة معاوية رضي الله عنه واخرجه البخاري في صحيحه بسند عن قتادة قال
سألت انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ ردفه على الرحل قال يا
معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال لبيك يا رسول الله وسعديك
قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من احد يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار
قال يا رسول الله افلا ابشر الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ
عند موته تأثما وساق بسند اخر عن معمر قال سمعت انسا قال ذكر لي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة
قال الا ابشر الناس قال لا اني اخاف ان يتكلوا قلت فتبين بهذا السياق
معنى شهادة ان لا اله الا الله وانها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدق و
يقين واخلاص ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله خالصا من قلبه
غير شاك فيها قال العلامة ابن القيم والمقصود ان كلمة التوحيد اذا
شهد بها المؤمن عارفا بمعناها حقيقتها نفيا واثباتا متصفا بموجبها
قائما بقلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة في هذا الشاهد
اصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة في السماء وهي مخرجة
ثمرتها كل وقت انتهى قال شيخ الاسلام وغيره هذا الحديث ونحوه

يكون

انها فيمن قالها بصدق ويقين فان حقيقة التوحيد انجذاب
الروح الى الله تعالى جملة فمن شهد ان لا اله الا الله خالصا من قلبه
دخل الجنة لان الاخلاص هو انجذاب الروح الى الله بان يتوب
من الذنوب توبة نصوحا فاذا مات على تلك الحال نال ذلك فا
نه قد تواترت الاحاديث بانه يخرج من النار من قال لا اله الا الله و
كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة و
تواترت بان كثيرا ممن يقول لا اله الا الله يدخل النار ثم يخرج منها
وتواترت بان الله حرم على النار ان تاكل اثر السجود من بني آدم فهؤلاء
كانوا يصلون ويسجدون لله وتواترت بان كثيرا ممن يقول لا اله الا الله يدخل
النار ثم يخرج منها وتواترت بانه يحرم على النار من قال لا اله الا الله وشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال
واكثر من يقولها لا يعرف الاخلاص واكثر من يقولها انما يقولها تقليدا او
عادة ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور
امثال هؤلاء كما في الحديث سمعت الناس يقولون شيئا فقلته وغالب اعمال
هؤلاء انما هو تقليد واقتداء بامثالهم وهم من اقرب الناس من قوله تعالى
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وحينئذ فلا منافاة
بين الاحاديث فانه اذا قالها باخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال
مصرا على ذنب اصلا فان كمال اخلاصه ويقينه يوجب ان يكون الله اليه
احب اليه من كل شئ فلا يبقى في قلبه ارادة لما حرمه الله ولا كراهة لما امر
الله وهذا هو الذي يحرم على النار وان كانت له ذنوب قبل ذلك فان هذا
لا يمان وهذا الاخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا يتركون
له ذنبا الا محي عنه كما يمحو الليل النهار فاذا قالها على وجه الكمال المانع من
الشرك الاكبر والاصغر فهذا غير مصر على ذنب اصلا فيغفر له ويحرم على النار
وان قالها على وجه خلص به من الشرك الاكبر دون الاصغر ولم يات بعدها
بما ينقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شئ من السيئات فيرجح بها ميزان ا
لحسنات كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة

بقدر

بقدر ذنوبه وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته فمات مصرا على
ذلك فانه يستوجب النار وان قال لا اله الا الله وخلص بها من الشرك
الاكبر لكنه لم يمت على ذلك بل اتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة
توحيده فانه في حال قولها كان مخلصا لكنه اتى بذنوب اوهنت ذلك التوحيد
التوحيد والاخلاص فاضعفته وقويت نار الذنوب حتى احرقت ذلك
بخلاف المخلص المستيقن فان حسناته لا تكون الا راجحة على سيئاته
ولا يكون مصرا على سيئات فان مات على ذلك دخل الجنة وانما يخاف
على المخلص ان ياتي بسيئة راجحة فيضعف ايمانه فلا يقولها باخلاص
ويقين مانع من جميع السيئات ويخشى عليه من الشرك الاكبر والاصغر
فان سلم من الاكبر بقي معه من الاصغر فيضيف الى ذلك سيئات تنضم
الى هذا الشرك فيرجح جانب السيئات فان السيئات تضعف الايمان و
اليقين فيضعف قول لا اله الا الله فيمنع الاخلاص بالقلب فيصير
المتكلم بها كالهاذي والنائم او من يحسن صوته باية من القرآن من
غير ذوق وطعم وحلاوة فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين بل
تكون بعدها بسيئات تنقص ذلك بل يقولوها من غير يقين وصدق
ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة واذا انتفت
الذنوب ثقل على اللسان قولها وقسى القلب عن قولها وكره العمل الصالح
وثقل عليه سماع القرآن واستبشر بذكر غيره واطمان الى الباطل و
استحلى الرفث ومخالطة اهل الباطل وكره مخالطة اهل الحق فمثل هذا
اذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه وبفيه ما لا يصدقه عمله قال
الحسن ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته
الاعمال فمن قال خيرا وعمل خيرا قبل منه ومن قال خيرا وعمل شرا لم يقبل
منه وقال بكر بن عبد الله المزني ما سبقهم ابو بكر رضي الله عنه بكثرة
صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره فمن قال لا اله الا الله وجبت
بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوبا وكان صادقا في قولها موقنا بها لكن
له ذنوب اضعفت صدقه ويقينه وانضاف الى ذلك الشرك الاصغر

كالهاجي

العلى فرجحت هذه السيئات على هذه الحسنة وما تمصر على الذنوب
بخلاف من يقولها بيقين وصدق فانه اما ان لا يكون مصرا على سيئة
اصلا ويكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته والذين
يدخلون النار ممن يقولها انما انهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام
المنافيين للسيئات او رجحانها او قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات
رجحت على حسناتهم ثم ضعف لذلك قصدقهم ويقينهم ثم لم يقولوها
بعد ذلك بصدق ويقين لان الذنوب قد اضعفت ذلك الصدق وا
ليقين من قلوبهم فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات فترجح
سيئاتهم على حسناتهم انتهى ملخصا وقد ذكر هذا كثير من العلماء كا
بن القيم وبن رجب وغيرهم قلت وبما قرره شيخ الاسلام رحمه
تجتمع الاحاديث قال وفي الحديث دليل على انه لا يكفي في الايمان النطق
من غير اعتقاد وبالعكس وفيه تحريم النار على اهل التوحيد الكامل و
فيه ان العمل لا ينفع الا اذا كان خالصا لله تعالى تنبيه قال القرطبي
في تذكرته قوله في الحديث من ايمان اي من اعمال الايمان على لسان
ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي من اعمال الجوارح فيكون فيه
دلالة على ان الاعمال الصالحة من الايمان والدليل على انه اراد بالايمان
ما قلناه ولم يرد مجرد الايمان الذي هو التوحيد ونفي الشركاء والا
خلاص بقوله لا اله الا الله لما في الحديث نفسه من قوله اخرجوا من
ذلك بقبض قبضة فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط يريد بذلك الا
لتوحيد المجرد من الاعمال انتهى ملخصا من شرح الحسنة سفين بن عاجة
قال وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى
يا رب علمني شيئا اذكرك وادعوك به قال قل يا موسى لا اله الا الله قال
عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن
السبع كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله رواه ابن حبان والحاكم
ابو سعيد اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الانصاري الخزرجي صحابي
جليل وابوه كذلك استصغر ابو سعيد باحد وشهد ما بعدها مات بالمدينة

سنة ثلاث

سنة ثلاث او اربع او خمس وستين وقيل سنة اربع وسبعين رضي الله عنه ادكرك
اي اثني عليك وادعوك بما سئلك به قوله قل يا موسى لا اله الا الله فيه
ان الذاكر يقولها كلها ولا يقتصر على لفظ الجلالة ولا على هو كما يفعله غلاة
جهال المتصوفة فان ذلك بدعة وضلالة قوله كل عبادك يقولون هذا
ثبت بخط المصنف بالجمع والذي في الاصول يقول بالافراد مراعاة للفظة
كل وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ الجمع كما ذكره المصنف على
معنى كل ومعنى كل عبادك يقولون هذا انما اريد شيئا تخصني به من بين عموم
عبادك وفي رواية بعد قوله كل عبادك يقولون هذا قل لا اله الا الله
قال لا اله الا انت يا رب انما اريد شيئا تخصني به ولما كان بالناس بل
بالعالم كله من الضرورة الى لا اله الا الله ما لا نهاية له كانت من اكثر
الاذكار وجودا وايسرها حصولا واعظمها معنى والعوام والجهال يعدلون
عنها الى الدعوات المبتدعة التي ليست في الكتاب ولا في السنة نوه وعامرهن
غيري هو بالنصب عطف على السموات اي لو ان السموات السبع ومن فيهن
من العمار غير الله تعالى والارضين السبع وفيهن وضعوا في كفة الميزان
ولا اله الا الله في الكفة الاخرى مالت بهن لا اله الا الله وروى الامام احمد
عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان نوحا قال لابنه عند موته امرك
بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت في كفة
ولا اله الا الله في كفة رجحت بهن لا اله الا الله ولو ان السموات السبع والارضين
السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا اله الا الله قوله في كفة وهو بكسر الكاف
وتشديد الفا اي كفة الميزان قوله مالت بهن اي رجحت وذلك لما اشتملت
من نفي الشرك وتوحيد الله الذي هو من افضل الاعمال واساس الملة ودين
فمن قالها باخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام
على ذلك فقد حاز الحسنة لا يوازنها شيء كما قال تعالى ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ودل الحديث على ان لا اله
الا الله افضل الذكر كحديث عبد الله بن عمرو مرفوعا خير الدعاء يوم عرفة
وخير ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك

وله الحمد وهو على كل شئ قدير رواه احمد والترمذي وعنه ايضا
مرفوعا يصاح برجل من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له
تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدى البصر ثم يقال له اتنكر من هذا
شيئا فيقول لا يا رب فيقال الك عذر او حسنة فيهاب الرجل فيقول لا
فيقال بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما
هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة رواه
الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط
مسلم وقال الذهبي في التلخيص صحيح قال ابن القيم رحمه الله تعالى
فالاعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وانما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب
فتكون صورة العمل واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والارض
قال تامل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مدى البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يغلبه
ومعلوم ان كل موحد له هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه

قوله رواه ابن حبان والحاكم ابن حبان اسمه محمد بن حبان بكسر المهملة المهملة و
حاتم تشديد الموحدة بن احمد بن حبان بن معاذ ابو حاتم التميمي البستي
الحافظ صاحب التصانيف كالصحيح والتاريخ والضعفا والثقات
وغير ذلك قال الحاكم كان من اوعية العلم في الفقه واللغة والحديث و
الوعظ ومن عقلاء الرجال مات سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ببستة
بستة بالمهملة واما الحاكم فاسمه محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري
ابو عبد الله الحافظ ويعرف بابن البيع ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة
وصنف التصانيف كالمستدرك وتاريخ نيسابور وغيرهما و
مات سنة خمس واربعمائة قال المصنف رحمه الله تعالى والترمذي
في حسنه عن انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن
ادم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وذكر المصنف

رحمه الله

رحمه الله تعالى الجملة الاخيرة من الحديث وقد رواه الترمذي بتمامه فقال
عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي
يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما
كان منك ولا ابالي يا ابن ادم انك لو اتيتني بخطايا الترمذي اسمه
محمد بن عيسى بن سورة بفتح المهملة بن موسى بن الضحاك السلمي ابو عيسى
صاحب الجامع واحد الحفاظ كان ضرير البصر روى عن قتيبة وهناد
والبخاري وخلق مات سنة تسع وسبعين ومائتين وانس هو ابن مالك
ابن النضر الانصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر
سنين وقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة مات سنة اثنتين و
قيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة وقد رواه الامام احمد من حديث
ابي ذر بمعناه وهذا لفظه ومن عمل قراب الارض خطيئة ثم لقيني لا يشرك
بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة رواه مسلم واخرجه الطبراني من
حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لو اتيتني بقراب الارض بضم
القاف وقيل بكسرها والضم اشهر وهو ملؤها او ما يقارب ملأها
قوله ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا شرط لتقبل الوعد بحصول المغفرة
وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله صغيره وكبيره ولا يسلم من
ذلك الا من سلم الله تعالى وذلك هو القلب السليم كما قال تعالى يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم قال بعض العارفين
التوحيد بقراب الارض خطايا لقيه الله تعالى بقرابها مغفرة الى ان قال فان
كمل توحيد العبد واخلص لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه
وجوارحه وبقلبه ولسانه عند الموت اوجب ذلك مغفرة ما قد
سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية لكن يتحقق بكلمة التوحيد
قلبه اخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية
وتوكلا وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها وان كانت مثل زبد البحر
انتهى ملخصا وفي هذا الحديث كثرة ثواب التوحيد وسعة كرم

الله وجوده ورحمته والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين وهي الفسوق ويقولون ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد في النار والصواب قول اهل السنة انه لا يسلب عنه اسم الايمان ولا يعطاه على الاطلاق بل يقال هو مؤمن عاصي او مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وعلى هذا يدل الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وعن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى فاعطي ثلاثا اعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا المقحمات رواه مسلم قال ابن كثير في تفسيره وقد اخرج الامام احمد والترمذي وابن ماجة والنسائي عن انس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة وقال قال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي الها فمن اتقى ان يجعل معي الها كان اهلا ان اغفر له قال المصنف رحمه الله تعالى تامل الخمس اللواتي في حديث عبادة فانك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان تبين لك معنى لا اله الا الله وتبين لك خطأ المغترين وفيه ان الانبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله الا الله والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع ان كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه وفيه اثبات الصفات خلافا للمعطلة وفيه انك اذا عرفت حديث انس وقوله في حديث عتبان فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله انه ترك الشرك ليس قولها باللسان انتهى قوله باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب اي بلا عذاب قلت تحقيقه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي قال تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وصف ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد الاولى انه كان امة اي قدوة واماما معلما للخير وماذاك الا لتكميله مقام الصبر واليقين الذي تنال بهما الامامة في الدين الثاني قوله

فانا

قانتا قال شيخ الاسلام القنوت في اللغة دوام الطاعة والمصلي اذا اطال قيامه او ركوعه او سجوده فهو قانت قال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه انتهى ملخصا الثالثة انه كان حنيفا قلت قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى الحنيف المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه انتهى الرابعة انه لم يك من المشركين اي لصحة اخلاصه وكمال صدقه وبعده عن الشرك قلت يوضح هذا قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اي على دينه من اخوانه قاله ابن جرير رحمه الله تعالى اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم الاية وذكر تعالى عن خليله عليه السلام انه قال لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء الاية ثم قال اعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي الى قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله الاية فهذا هو تحقيق التوحيد وهو البراءة من الشرك واهله واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم فالله المستعان قال المصنف رحمه الله تعالى وهذه الاية ان ابراهيم كان امة الخ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين فان الله لا يملك ولا للمتجاورين المترفين حنيفا لا يميل عنها ولا شيء الا كفضل العلماء المفتونين ولم يك من المشركين خلافا لمن كثر سوادهم وزعم انهم من المسلمين انتهى وقد روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة الخ على الاسلام ولم يكن في زمانه احد على الاسلام غيره قلت ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم من انه كان اماما يقتدى به في الخير فهو بالنسبة الى زمانه كان وصف المؤمنين السابقين الى الجنة فاثنى عليهم بالصفات التي اعظمها انهم بربهم لا يشركون ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في اسلامه من شرك جلي او خفي نفى ذلك عنهم وهذا هو تحقيق التوحيد الذي حسنت به اعمالهم وكملت ونفعتهم قلت قوله حسنت وكملت هذا باعتبار سلامتهم من الشرك الاصغر واما الشرك الاكبر فلا يقال في تركه ذلك فتدبر ولو قال الشارح صحت لكان اقوم قال ابن كثير والذين هم بربهم لا يشركون اي لا يعبدون مع الله غيره بل يوحدونه ويعلمون انه

فتدبر

لا اله الا الله احد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا نظير له
قال عمر حصين بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن
فقال ايكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة فقلت انا ثم قلت اما
اني لم اكن في صلاة ولكني لدغت فاصنعت قلت ارتقيت قال انا
حملك على ذلك قلت حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم قلت
حدثنا عن بريدة ابن الحصيب انه قال لا رقية الا من عين او حمة
فقد احسن من انتهى الى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال عرضت علي الامم فرايت النبي ومعه الرهط والنبي
ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد
عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه فنظرت فاذا
سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس
في اولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا
وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال
هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم
فقال انت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال سبقك
بها عكاشة هكذا اورده المصنف غير معزو وقد رواه البخاري مختصرا
ومطولا ومسلم واللفظ له والترمذي وقال عن حصين بن عبد الرحمن
هو السلمي ابو الهذيل الكوفي ثقة مات سنة ست وثلاثين ومائة وله
ثلاث وتسعون سنة وسعيد بن جبير هو الامام الفقيه من جملة اصحاب
ابن عباس روايته عن عائشة وابي موسى مرسلة وهو كوفي مولى لبني
اسد قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين
قوله انقض هو بالقاف والضاد المعجمة اي سقط والبارحة هي اقرب
ليلة مضت قال ابو السعادات تغلب يقال قبل الزوال

رايت الليلة

رايت الليلة وبعد الزوال هي البارحة وكذا قال غيره وهي مشتقة
من برح اذا زال قوله اما اني لم اكن في صلاة قال في مغني اللبيب
اما بالفتح والتخفيف على وجهين احدهما ان تكون حرف استفتاح
بمنزلة الا واذا وقعت ان بعدها كسرت الثاني ان تكون بمعنى حقا
او احق وقال اخرون هي كلمتان الهمز فلاستفتاح وما اسم
بمعنى شيء ذلك الشيء حق فالمعنى احق وهذا هو الصواب وما
نصب على الظرفية وهذه تفتح ان بعدها انتهى والانسب هنا
الوجه الاول القائل هو حصين خاف ان يظن الحاضرون انداه
وهو يصلي فنفى عن نفسه ايهام العبادة وهذا يدل على فضل السلف
وحرصهم على الاخلاص وابعادهم عن الرياء والتزين بما ليس فيه قوله
ولكني لدغت بضم اوله وكسر ثانيه قال اهل اللغة يقال لدغته العقرب
ولدغات السموم اذا اصابته بسمها وذلك بان تابره بشوكتها قوله
قلت ارتقيت لفظ مسلم استرقيت اي طلبت من يرقيني قوله فاعملك
على ذلك فيه طلب الحجة على صحة المذهب قوله حديث حدثناه الشعبي
اسمه شراحيل الهمداني ولد في خلافة عمر وهو من ثقات التابعين وفقهائهم
ثم مات سنة ثلاث ومائة قوله عن بريدة بضم اوله وفتح ثانيه
تصغير بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين بن الحارث
الاسلمي صحابي شهير مات سنة ثلاث وستين قاله ابن سعد قوله
لا رقية الا من عين او حمة وقد رواه احمد وابن ماجه عنه مرفوعا
ورواه احمد وابو داود والترمذي عن عمران بن حصين به مرفوعا
قال الهيثمي رجال احمد ثقات والعبرة هي اصابة العائن غيره بعينه
والحمة بضم المهملة وتخفيف الميم سم العقرب وشبهها قال الخطابي
ومعنى الحديث لا رقية اشفى واولى من رقية العين والحمة وقد رقى
النبي صلى الله عليه وسلم ورقي قوله قد احسن من انتهى الى ما سمع اي
من اخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد احسن بخلاف من يعمل بجهل
او لا يعمل بما يعلم فانه مسيء آثم وفيه فضيلة علم السلف وحسن ادبهم

استفتاح

قوله ولكن ثنا ابن عباس رض هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم النبي
صلى الله عليه وسلم دعى له فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التويل فكان كذلك
مات بالطايف سنة ثمان وستين قال المصنف وفيه عتب على علم
السلف لقوله قد احسن من انتهى الى ما سمع ولكن كذا وكذا فعلم ان
الحديث الاول لا يخالف الثاني قوله عرضت علي الامم وفي الترمذي والنسائي
من رواية عبثر بن القاسم عن حصين بن عبد الرحمن ان ذلك كان ليلة
الاسرى قال الحافظ فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة الى من ذهب
الى تعدد الاسرى وانه وقع بالمدينة ايضا قلت وفي هذا نظر
قوله فرايت النبي ومعه الرهط والنبي في صحيح مسلم الرهيط بالتصغير
لا غير وهم الجماعة دون العشرة قاله النووي قوله والنبي ومعه الرجل
والرجلان والنبي وليس معه احد فيه الرد على من احتج بالكثرة قوله
اذ رفع لي سواد عظيم المراد به هنا الشخص الذي يرى من بعيد قوله
فظننت انهم امتي لان الاشخاص التي ترى في الافق لا يدرك منها الا
الصورة وفي صحيح مسلم ولكن انظر الى الافق ولم يذكره المصنف فلعله
سقط من الاصل الذي نقل الحديث منه والله اعلم قوله فقيل لي هذا
موسى وقومه اي موسى بن عمران كليم الرحمن وقومه اتباعه على دينه
من بني اسرائيل قوله فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك
ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب اي
لتحقيقهم التوحيد وفي رواية بن فضيل ويدخل الجنة من هؤلاء
من امتك سبعون الفا وفي حديث ابي هريرة في الصحيحين بانهم تضيئ
وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر وروى الامام احمد والبيهقي في حديث
ابي هريرة فاستزدت ربي فزادني مع كل الف سبعين الفا قال الحافظ
وسنده جيد قوله ثم نهض اي قام قوله فخاض الناس في اولئك هذا
من العام الذي اريد به الخصوص اي الجملة الحاضرة خاض بالخاء والضاد
المعجمتين وفي هذا اباحة المناظرة والمباحثة في نصوص الشرع على وجه
الاستفاده وبيان الحق وفيه عتب على السلف لعدم فهمهم انهم لم ينالوا ذلك

الا بعمل وفيه حرصهم على الخير ذكره المصنف رح فقال الذين
لا يسترقون هكذا ثبت في الصحيحين وهو كذلك في حديث بن مسعود
في مسند احمد وفي رواية ولا يرقون قال شيخنا الاسلام بن تيمية
رحمه الله تعالى هذه الزيادة وهم من الراوي لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم
لا يرقون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الرقى من استطاع ان ينفع
اخاه فلينفعه وقال لا باس بالرقى ما لم تكن شركا قال وايضا فقد رقى
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ورقى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه قال والفرق
بين الراقي والمسترقي ان المسترقي في سؤاله مستعط ملتفت الى غير الله
بقلبه والراقي محسن قال وانما المراد وصف السبعين الفا بتمام التوكل فلا
يسئلون غيرهم ان يرقاهم ولا يكويهم وكذا قال بن القيم ولا يكتوون
اي لا يسئلون غيرهم ان يكويهم كما لا يسألونه غيرهم ان يرقاهم استسلاما
للقضاء وتلذذا بالبلاء قلت والظاهر ان قوله لا يكتوون اعم من ان
يسئلوا ذلك او يفعل بهم ذلك باختيارهم اما الكي في نفسه فجايز كما
في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي بن
كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه وفي صحيح البخاري عن انس انه كوي من ذات
الجنب والنبي صلى الله عليه وسلم حي وروى الترمذي وغيره عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن زرارة من الشوكة وفي صحيح البخاري عن بن
عباس مرفوعا الشفا في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانا
انهى عن الكي وفي لفظ وما احب ان اكتوي قال ابن القيم رحمه الله تعالى
قد تضمنت احاديث الكي اربعة انواع احدها فعله والثاني في علم محبته
والثالث الثناء على من تركه والرابع النهي عنه ولا تعارض بينها بحمد الله فان
فعله يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه واما الثناء على تاركه
فيدل على ان تركه اولى وافضل واما النهي فعلى سبيل الاختيار والكراهة
ولا يتطيرون اي لا ينشاءمون بالطيور ونحوها وسياتي ان شاء الله تعالى
بيان الطيرة وما يتعلق بها في بابها وعلى ربهم يتوكلون ذكر الاصل الجامع
الذي تفرعت عنه هذه الافعال والخصال وهو التوكل على الله تعالى وصدقا

بينهما

الالتجا اليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو غاية تحقيق التوحيد الذي
يثمر كل مقام شريف من المحبة والرجا والخوف والرضا به ربا والها
والرضا بقضائه واعلم ان الحديث لا يدل على انهم لا يباشرون الا
سباب اصلا فان مباشرة الاسباب في الجملة امر فطري ضروري لا
فكاك لاحد عنه بل يقدح التوكل مباشرة لاعظم الاسباب كما قال
الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه وانما المراد انهم يتركون
الامور المكروهة مع حاجتهم اليها توكلا على الله تعالى لا كمنوي والا
ستر قافتركهم له لكونه سببا مكروها لا سيما والمريض يتشبث فيما
يظنه سببا لشفائه بخيط العنكبوت واما مباشرة الاسباب والتداوي
على وجه لا كراهة فيه فغير قادح في التوكل فلا يكون تركه مشروعا
لما في الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء
علمه من علمه وجهله من جهله وعن اسامة بن شريك قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت
الاعراب فقالوا يا رسول الله انتداوى قال يا عباد الله نعم تداووا فان الله عز وجل
لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا وما هو قال الهرم
رواه احمد وقال ابن القيم رحمه الله تعالى وقد تضمنت هذه الاحاديث اثبات الاسباب والمسببات وابطال قول من انكرها والامر بالتداوي وانه لا ينافي التوكل كما لا ينافي دفع الجوع والعطش والحر
والبرد باضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب
التي نصبها الله تعالى مقتضية لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها
يقدح في نفس التوكل كما يقدح في نفس الامر والحكمة ويضعف من حيث
يظن معطلها ان تركها من التوكل فان تركها عجز ينافي التوكل الذي
حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه و
دنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة
الاسباب والا كان معطلا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا
ولا توكله عجزا وقد اختلف العلما في التداوي هل هو مباح وتركه افضل او
مستحب او واجب فالمشهور عن احمد الاول لهذا الحديث وما في معناه

والمشهور

من جهله ح

والمشهور عند الشافعي الثاني حتى ذكر النووي في شرح مسلم انه مذهبهم و
مذهب جمهور السلف وعامة الخلف واختاره الوزير ابو المظفر قال ومذهب
ابي حنيفة انه مؤكد حتى يدانيه الوجوب قال وفي مذهب مالك انه يستوي
فعله وتركه فانه قال لا باس بالتداوي ولا باس بتركه وقال شيخ الاسلام
ليس بواجب عند جماهير الائمة وانما اوجبه طائفة قليلة من اصحاب الشافعي واحمد
قال فقام عكاشة بن محصن هو بضم العين وتشديد الكاف ومحصن بكسر الميم وسكون
الحا وفتح الصاد المهملتين بن حرثان بضم المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة
الاسدي من بني اسد بن خزيمة كان من السابقين الى الاسلام ومن اجمل الرجال
هاجر وشهد بدرا وقاتل فيها واستشهد في قتال الردة مع خالد بيد طليحة الاتي
سنة اثنتي عشرة ثم اسلم طليحة بعد ذلك وجاهد الفرس يوم القادسية مع
سعد بن ابي وقاص واستشهد في وقعة الجسر المشهورة فقال يا رسول
الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت منهم وللبخاري في رواية فقال اللهم اجعله
منهم وفيه طلب الدعا من الفاضل قال ثم قام رجل اخر ذكره مبهما فلا حاجة بنا
الى البحث عن اسمه الى فقال سبقك بها عكاشة قال القرطبي لم يكن عند
الثاني من الاحوال ما كان عند عكاشة فلذلك لم يجبه اذ لو اجابه لجاز ان يطلب
ذلك كل من كان حاضرا فيتسلسل الامر فسد الباب بقوله ذلك انتهى
قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه استعمال المعاريض وحسن خلقه صلى
باب الخوف من الشرك وقول الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء قال تعالى كثيرا اخبر تعالى انه لا يغفر ان يشرك به اي لا يغفر لعبد
لقيه وهو مشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي من الذنوب لمن شاء من عباده
انتهى فتبين بهذه الاية ان الشرك اعظم الذنوب لان الله تعالى اخبر انه
لا يغفره لمن لم يتب منه وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة
ان شاء غفر لمن لقيه به وان شاء عذبه وذلك يوجب للعبد شدة الخوف
من الشرك الذي هذا شانه عند الله لانه اقبح القبيح واظلم الظلم وتنقص
لرب العالمين وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به كما قال تعالى ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون ولانه مناقض للمقصود بالخلق والامر مناف لدين كل

ص

وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار عن طاعته والذل
له والانقياد لاوامره الذي لاصلاح للعالم الا بذلك فمتى خلى منه خرب
وقامت القيمة كما قال صلى الله عليه وسلم لن تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض
الله الله رواه مسلم ولان الشرك تشبيه المخلوق بالخالق تعالى وتقدس في
خصائص الالهية من ملك الضر والنفع والعطا والمنع الذي يوجب تعلق
الدعا والخوف والرجا والتوكل وانواع العبادة كلها بالله تعالى وحده فمن علق
ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا
موتة ولا حياة ولا نشورا شبيها بمن له الحمد كله وله الخلق كله وله الملك
كله وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله فازمة الامور كلها بيده سبحانه
واليه مرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى ولا معطي
لما منع الذي اذا فتح للناس رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
من بعده وهو العزيز الحكيم فاقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات بالقادر
الغني بالذات فمن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص
فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم
والاجلال والخشية والدعا والرجا والانابة والتوكل والتوبة والاستعانة
وغاية الحب مع غاية الذل كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لله وحده و
يمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره من فعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه
ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند وذلك اقبح التشبيه وابطله فان هذه
الامور وغيرها اخبر تعالى انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة هذا معنى كلام
ابن القيم رحمه الله تعالى وفي الاية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين
بان اصحاب الكبائر مخلدون في النار وليسوا عندهم مؤمنين ولا كفارا ولا
يجوز ان يحمل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على التائب فان التائب
من الشرك مغفور له كما قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فهنا عم واطلق لان المراد به التائب
وهناك خصص وعلق لان المراد به من لم يتب هذا ملخص قول شيخ الاسلام
قوله وقال الخليل عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام

الصنم

الصنم ما كان منحوتا على صورة والوثن ما كان موضوعا على غير ذلك ذكره
الطبري عن مجاهد قلت قد يسمى الصنم وثنا ويقال ان الوثن اعم
وهو قوي فالاصنام اوثان كما ان القبور اوثان ونحو واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام اي اجعلني وبني في جانب عن عبادة الاصنام وباعد
بيننا وبينها وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجعل بنيه انبيا وجنبهم عبادة
الاصنام وقد بين ما يوجب الخوف بقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فانه الواقع في كل زمان فاذا عرف الانسان ان كثيرا وقعوا في الشرك الاكبر
وضلوا بعبادة الاصنام اوجب ذلك خوفه من ان يقع فيما وقع فيه الكثير
من الشرك لا يغفر الله قال ابراهيم التيمي ومن يأمن البلا بعد ابراهيم
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم فلا يأمن الوقوع في الشرك الا من هو جاهل به و
بما يخلصه منه من العلم بالله وبما بعث به رسله من توحيده والنهي عن
الشرك به قال [illegible]

اورد المصنف هذا الحديث مختصرا غير معزو وقد رواه الامام احمد
والطبراني والبيهقي وهذا لفظ احمد ثنا يونس قال ثنا ليث عن يزيد بن
الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف
عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء
يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم
تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء قال المنذري ومحمود
بن لبيد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح له منه سماع فيما ذكر وذكر
بن ابي حاتم ان البخاري قال له صحبة وصححه به عبد البر والحافظ وقد رواه
الطبراني باسانيد جيده عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج مات محمود سنة
ست وتسعين وقيل سنة سبع وتسعين وله تسع وتسعون سنة

ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر هذا من شفقته بامته ورحمته
ورافته بهم فلا خير الا دلهم عليه وامرهم به ولا شر الا بينه لهم واخبرهم
به ونهاهم عنه كما قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه ما بعثنا الله من نبي الا كان
حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم الحديث فاذا كان الشرك

سبحانه

الذبح

الشرك الاصغر مخوفا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال علمهم وقوة
ايمانهم فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والديان بمراتب خصوصا
اذا عرف ان اكثر علماء الامصار اليوم لا يعرفون من التوحيد الا ما اقر به المشر
كون وما عرفوا معنى الالهية التي نفتها كلمة الاخلاص عن كل ما سوى الله و
اخرج ابو يعلى وابن المنذر عن حذيفة رفعه اليماني عن ابي بكر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل قال ابو بكر يا رسول الله
وهل الشرك الا ما عبد من دون الله او ما دعي مع الله قال لكلتك امك
الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل الحديث وفيه ان تقول اعطاني الله
وفلان والنداد يقول الانسان لولا فلان قتلني فلان انتهى من الدر
قال وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وهو
يدعو الله ندا دخل النار رواه البخاري قال ابن القيم الند الشبيه يقال فلان
ند فلان ونديده اي مثله وشبهه انتهى قال تعالى فلا تجعلوا لله انداد او
انتم تعلمون قوله من مات وهو يدعو لله ندا في العبادة يدعوه ويساله و
يستغيث به دخل النار قال ابن القيم رحمه الله تعالى
والشرك فلحذره فشرك ظاهر وهذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن ايا ما كان من حجر ومن انسان
يدعوه او يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان
واعلم ان اتخاذ الند على قسمين الاول ان يجعله لله شريكا في انواع
العبادة او بعضها كما تقدم وهو شرك اكبر والثاني ما كان من نوع الشرك
الاصغر كقول الرجل ما شاء الله وشئت ولولا الله وانت وكيسير الرياء فقد
ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له رجل ما شاء الله وشئت قال اجعلتني
لله ندا بل ما شاء الله وحده رواه احمد وابن ابي شيبة والبخاري في الادب
المفرد والنسائي وابن ماجة وقد تقدم حكمه في باب فضل التوحيد وفيه ايضا
ان دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله شرك جلي كطلب الشفاعة من الاموات
فانها ملك لله تعالى وبيده ليس بيد غيره منها شيء وهو الذي ياذن للشفيع
ان يشفع فيمن لا قى الله بالاخلاص والتوحيد من اهل الكبائر كما ياتي تقريرا

في باب

في باب الشفاعة ان شاء الله تعالى قال ومسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل
جابر هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام بهملتين الانصاري بضم السلمي بفتحتين صحابي
جليل ولابيه مناقب مشهورة رضي الله عنهما مات بالمدينة بعد السبعين و
قد كف بصره وله اربع وتسعون سنة قوله من لقي الله لا يشرك به شيئا
قال القرطبي اي لم يتخذ معه شريكا في الالهية ولا في الخلق ولا في العبادة ومن
المعلوم من الشرع المجمع عليه عند اهل السنة ان من مات على ذلك فلا بد له
من دخول الجنة وان عذب قبل ذلك انواعا من العذاب والمحن وان مات
على الشرك لا يدخل الجنة ولا ينالهم الله برحمة ويخلد في النار ابد الاباد
من غير انقطاع عذاب ولا تصرم امد وقال النووي اما دخول المشرك
النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق بين اليهودي والكتابي والنصراني
وبين عبدة الاوثان وسائر الكفرة ولا فرق عند اهل الحق بين الكافر العادي
وغيره ولا بين من خالف ملة الاسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره
بجحده وغير ذلك واما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به
لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مصرا عليها دخل الجنة اولا وان كان صاحب
كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة فان عفى عنه دخل الجنة اولا
والا عذب في النار ثم اخرج من النار وادخل الجنة وقال غيره اقتصر
على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه اثبات الرسالة
بالللزوم اذ من كذب رسل الله فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك وهو كقولك
من توضا صحت صلاته اي مع سائر الشروط فالمراد من مات حال كونه مؤمنا
بجميع ما يجب الايمان به اجمالا في الاجمال وتفصيلا في التفصيل انتهى قوله
باب الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله لما ذكر المصنف رحمه
الله تعالى التوحيد وفضله وما يوجب الخوف من ضده نبه بهذه الترجمة
على انه لا ينبغي لمن عرف ذلك ان يقتصر على نفسه بل يجب عليه ان يدعو الى
الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو سبيل المرسلين واتباعهم كما قال
الحسن البصري لما تلى هذه الاية ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا

وقال النبي من المسلمين فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا
هذا ع خيرة الله هذا احب اهل الارض الى الله اجاب الله في دعوته ودعى
الناس الى ما اجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في اجابته وقال انني
من المسلمين هذا خليفة الله قال في قول الله تعالى قل هذه سبيلي ادعو
الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني الاية قال ابو جعفر بن جرير يقول
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هذه الدعوة التي ادعوا اليها
والطريقة التي انا عليها من الدعا الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون
الالهة والاوثان والانتهاء الى طاعته وترك معصيته سبيلي وطريقتي وديني
الى الله تعالى وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين علم مني به انا وم
يدعوا اليه على بصيرة ايضا من اتبعني وصدقني وامن بي وكما ان الله يقول
له تعالى ذكره وقل تنزيها لله تعالى وتعظيما له من ان يكون له شريك في ملكه او
معبود سواه في سلطانه وما انا من المشركين يقول وانا بريء من اهل الشرك
به لست منهم ولا هم مني انتهى قال القيم في شرح المنازل يريد ان
تصل باستعدادك الى اعلى درجات العلم وهي البصيرة التي يكون نسبة
العلوم فيها الى القلب كنسبة المرئي الى البصر وهذه هي الخصيصة التي
اختص بها الصحابة عن سائر الامة وهي اعلى درجات العلم قال تعالى قل
هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني اي انا واتباعي على بصيرة
وقيل ومن اتبعني عطف على المرفوع في ادعوا اي ادعوا الى الله على بصيرة ومن
اتبعني كذلك يدعوا الى الله على بصيرة وعلى القولين فالاية تدل على ان
اتباعهم اهل البصائر الداعين الى الله تعالى ومن ليس منهم فليس من اتباعه على
الحقيقة والموافقة وان كان من اتباعه على الانتساب والدعوى قال
المصنف رحمه الله تعالى فيه مسائل منها التنبيه على الاخلاص لان كثيرا ولو
دعى الى الحق فهو يدعوا الى نفسه ومنها ان البصيرة من الفرايض ومنها ان
من دلائل حسن التوحيد انه تنزيه لله تعالى عن المسبة ومنها ان من قبح الشرك
كونه مسبة لله تعالى ومنها ابعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يتبرك
انتهى وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى ادع الى سبيل

ربك

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الاية ذكر سبحانه مراتب الدعوة وقد
جعلها ثلاثة اقسام بحسب حال المدعو فانه اما ان يكون طالبا للحق
محبا له مؤثرا له على غيره اذا فهم ما يدعى بالحكمة ولا يحتاج الى موعظة
وجدال واما ان يكون مشتغلا ببغض الحق لكن لو عرفه اثره واتبعه فهذا
يحتاج الى الموعظة بالترغيب والترهيب واما ان يكون معاندا معا
رضا فهذا يجادل بالتي هي احسن فان رجع والا انتقل معه الى الجلاد
امكن انتهى وقال ايضا والفرق بين حب الامامة والدعوة الى الله
وحب الرياسة هو الفرق بين تعظيم امر الله والنصح له وتعظيم النفس
والسعي في حظها فان الناصح لله يحب ان يطاع ربه فلا يعصى
وان تكون كلمته العليا وان يكون الدين كله لله وان يكون العباد
ممتثلين اوامره مجتنبين نواهيه فقد ناصح الله في عبوديته وناصح
خلقه في الدعوة الى الله فهو يحب الامامة في الدين بل يسال ان يجعله
للمتقين اماما يقتدى به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين فاذا احب هذا
الداعي الى الله ان يكون في اعين الناس جليلا وفي قلوبهم مهيبا والبهم حبيبا
وان يكون فيهم مطاعا لكي يثابوا به ويقتفوا اثر الرسول صلى الله عليه وسلم
على يديه لم يضره ذلك بل يحمد عليه لانه داع الى الله يحب ان يطاع ويعبد
ويوحد فهو يحب ما يكون عونا على ذلك موصلا اليه ولهذا ذكر الله
سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه واثنى عليهم في تنزيله وحسن
جزاهم يوم لقائه فذكرهم باحسن اعمالهم واوصافهم ثم قال والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين
اماما فسالوه ان يقر اعينهم بطاعة ازواجهم وذرياتهم له سبحانه و
ان يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته فان الامام والمؤ
تم متعاونان على الطاعة وانما سالوه ما يعاونون به المتقين على مرضاته
وطاعته وهو دعوتهم الى الله بالامامة في الدين التي اساسها الصبر واليقين
قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون
فسالوا ان يجعلهم ائمة للمتقين هو سوال ان يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم

عرفه ص

بالعلوم النافعة والاعمال الصالحة ظاهرا وباطنا التي لا تتم الامامة
الا بها وتامل كيف نسبهم في هذه الايات الى اسم الرحمن جل جلاله
ليعلم خلقه ان هذا انما نالوه بفضله ورحمته ومحض جوده ومنته و
تامل كيف جعل جزاءهم في هذه الصورة الغرف وهي المنازل العالية في الجنة
ولما كانت الامامة في الدين من الرتب العالية بل من اعلى المراتب يعطاها
العبد في الدنيا كان جزاؤه عليها الغرف العالية في الجنة وهذا بخلاف طلب
الرياسة فان طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها اغراضهم من العلو
في الارض وتعبد القلوب لهم وعطفها اليهم ومساعدتهم لهم على جميع اغراضهم
مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا الطلب من المفاسد ما لا
يعلمها الا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والعصبية و
الحمية للنفس ودون حق الله وتعظيم من حقر الله واحتقار من اكرمه
الله ولا تتم الرياسة الدنيوية الا بذلك ولا تنال الا بها وباضعافه من انواع
الشر والفساد في عمى عن هذا فاذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا
عليه ولا سيما اذا حشروا في صور الذر يطاهم اهل الموقف بارجلهم اهانة
لهم وتحقيرا وتصغيرا كما صغروا امر الله وحقروا عباده انتهى كلامه
رحمه الله تعالى وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا الى اليمن
قال الحافظ كان بعث معاذ الى اليمن سنة عشر قبل حج النبي صلى الله عليه وسلم
كما ذكره المصنف يعني البخاري في اواخر المغازي وقيل كان ذلك في
اخر سنة تسع عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك رواه الواقدي باسناده
الى كعب بن مالك واخرجه ابن سعد في الطبقات عنه واتفقوا انه لم ينزل
على اليمن الا ان قدم في خلافة ابي بكر ثم توجه الى الشام فمات بها قال
شيخ الاسلام وفي فضائل معاذ رضي الله عنه انه بعثه صلى الله عليه وسلم الى اليمن
مبلغا عنه ومفقها ومعلما وحاكما فانك تاتي قوما من اهل الكتاب قال
القرطبي يعني به اليهود والنصارى لانهم كانوا في اليمن اكثر من مشركي العرب او
اغلب وانما نبه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم وقال الحافظ هو كالتوطئة للوصية
ليجمع همته عليها فانه فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله

شهادة رفع

شهادة رفع على انه اسم يكن مؤخر واول خبرها مقدم ويجوز العكس
قوله وفي رواية الى ان يوحدوا الله هذه الرواية ثابتة في كتاب
التوحيد من صحيح البخاري واشار المصنف بذكر هذه الرواية الى
التنبيه على معنى شهادة ان لا اله الا الله فان معناها توحيد الله تعالى
بالعبادة ونفي عبادة ما سواه وفي رواية فليكن اول ما تدعوهم اليه
عبادة الله وذلك هو الكفر بالطاغوت والايمان بالله كما قال تعالى
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها والعروة الوثقى هي لا اله الا الله وفي رواية للبخاري فقال ادعهم الى
شهادة ان لا اله الا الله وانني رسول الله قلت لا يلج في شهادة ان لا اله
الا الله من سبعة شروط لا تنفع قائلها الا باجتماعها احدها العلم المنافي
للجهل الثاني اليقين المنافي للشك الثالث القبول المنافي للرد الرابع
الانقياد المنافي للترك الخامس الاخلاص المنافي للشرك السادس
الصدق المنافي للكذب السابع المحبة المنافية لضدها وفيه دليل على ان
التوحيد الذي هو اخلاص العبادة لله وحده لا شريك وترك عبادة
ما سواه هو اول واجب ولهذا كان اول ما دعت اليه الرسل عليهم السلام
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقول نوح ان لا تعبدوا الا الله و
فيه معنى لا اله الا الله مطابقة قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ولهذا
خاطب الرسل امم مخاطبة من لا شك عنده في الله وانما دعوهم لعبادة
الله وحده لا الى الاقرار به فقالت لهم افي الله شك فاطر السموات والارض
وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته اظهر من كل شيء على الاطلاق فهو
اظهر للابصار من الشمس للابصار وابين للعقول من كل معلوم وتقرير وجوده
مما ينكره الامكان بل لسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه قال تعالى
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش يدبر الامر
اخر الايات قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى واول ما يؤمر به الخلق شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فبذلك يصير الكافر مسلما والعدو
وليا والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال ثم ان كان ذلك من قلبه

فقد دخل في الايمان وان قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الحكم
دون باطن الايمان قال واما اذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر
باتفاق المسلمين باطنا وظاهرا عند سلفنا كافة وائمتها وجماهير
العلماء انتهى قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه ان الانسان قد
يكون عالما وهو لا يعرف معنى لا اله الا الله او يعرفه ولا يعمل به قلت
فما اكثر هؤلاء لا كثرهم الله تعالى قوله فان هم اطاعوك لذلك اي شهدوا
وانقادوا لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات فيه ان
الصلاة اعظم واجب بعد الشهادتين قال النووي ما معناه انه يدل
على ان المطالبة بالفرائض في الدنيا لا يكون الا بعد الاسلام ولا يلزم
من ذلك ان لا يكونوا مخاطبين بها ويزاد في عذابهم بسببها في الاخرة
والصحيح ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه
وهذا قول الاكثرين انتهى قوله فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ
من اغنيائهم فترد على فقرائهم فيه دليل على ان الزكوة اوجبت الاركان
بعد الصلوة وانها تؤخذ من الاغنياء وتصرف على الفقراء وانما خص النبي
صلى الله عليه وسلم الفقراء لان حقهم في الزكاة اكد من حق بقية الاصناف الثمانية
وفيه ان الامام هو الذي يتولى قبض الزكوة وصرفها اما بنفسه او نائبه فمن
امتنع من ادائها اليه اخذت قهرا منه وفي الحديث دليل على انه يكفي اخراج
الزكوة في صنف واحد كما هو مذهب مالك واحمد وفيه انه لا يجوز دفعها الى
غني ولا الى كافر غير المؤلف وان الزكوة واجبة في مال الصبي والمجنون كما
هو قول الجمهور لعموم الحديث قلت والفقير اذا افرد في اللفظ تناول
المسكين وبالعكس كنظائره قوله تعالى لا اسلام قوله فاياك وكرايم اموالهم
بنصب كرايم على التحذير جمع كريمة قال صاحب المطالع هي جامعة للكمال
الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة او كثرة لحم وصوف ذكره النووي
قلت وهي خيار المال وانفسه واكثره ثمنا وفيه انه يحرم على العامل في
الزكوة اخذ كرايم المال ويحرم على صاحب المال اخراج شرار المال بل يخرج
الوسط فان طابت نفسه بالكريمة فليواتق دعوة المظلوم اي

اجعل

اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم وهذان الامران يقيان
من شرفهما من جميع الشرور دنيا واخرى وفيه تنبيه على التحذير من جميع
انواع الظلم قوله فانه اي الشان ليس بينها وبين الله حجاب هذه الجملة
مفسرة لضمير الشان اي فانها لا تحجب عن الله تعالى فيقبلها وفي الحديث ايضا
قبول خبر الواحد العدل ووجوب العمل به وبعث الامام العمال لجباية
الزكوة وانه يعظ عماله وولاته ويامرهم بتقوى الله تعالى ويعلمهم وينهاهم
عن الظلم ويعرفهم سوء عاقبته والتنبيه على التعليم بالتدريج قال
المصنف قلت وبدأ بالاهم فالاهم واعلم انه لم يذكر في الحديث الصوم
والحج فاشكل ذلك على كثير من العلماء قال الشيخ ولي الاسلام اجاب بعض
الناس بان بعض الرواة اختصر الحديث وليس كذلك فانه هكذا طعن
في الرواة لان ذلك انما يقع في الحديث الواحد مثل حديث وفد عبد القيس
حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم يذكره فاما الحديثان المنفصلان
فليس الامر فيهما كذلك ولكن عن هذا جوابان احدهما ان ذلك بحسب
نزول الفرائض واول ما فرض الله الشهادتين ثم الصلاة فانه امر بالصلاة
في اول اوقات الوحي ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعامة الاحاديث انما جاء في
الاحاديث المتاخرة قلت وهذا من الاحاديث المتاخرة ولم يذكر فيها
الجواب الثاني انه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه فيذكر تارة الفرائض
التي يقاتل عليها كالصلاة والزكوة ويذكر تارة الصلاة والصيام لمن لم يكن
عليه زكوة ويذكر تارة الصلاة والزكوة والصوم فاما ان يكون قبل فرض
الحج واما ان يكون المخاطب بذلك لا حج عليه واما الصلاة والزكاة فلهما
شان ليس لسائر الفرائض ولهذا ذكر تعالى في كتابه القتال عليهما لانهما
عبادتان ظاهرتان بخلاف الصوم فانه امر باطن من جنس الوضوء
والاغتسال من الجنابة ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد فان الانسان يمكنه
ان لا ينوي الصوم وان ياكل سرا كما يمكنه ان يكتم حدثه وجنابته وهو صلى الله
عليه وسلم يذكر في الاعمال الظاهرة التي يقاتل عليها ويصير ون مسلمين بفعلها
فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكوة دون الصوم وان كان واجبا كما في

ايتي برآءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس وكذلك لما بعث
معاذا الى اليمن لم يذكر في حديثه الصوم لانه تبع وهو باطن ولا ذكر الحج
لانه وجوبه خاص ليس بعام ولا يجب في العمر الا مرة انتهى بمعناه قوله
اخرجاه اي البخاري ومسلم واخرجه ايضا احمد وابو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجة قال والهما عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على
يديه الحديث قوله عن سهل بن سعد اي ابن مالك بن خالد الانصاري
الخزرجي الساعدي ابو العباس صحابي شهير وابو صحابي ايضا مات سنة
ثمان وثمانين وقد جاوز المائة قوله قال يوم خيبر وفي الصحيحين عن سلمة
بن الاكوع قال كان علي رضي الله عنه قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر
وكان ارمدا فقال انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي رضي الله عنه
فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله عز وجل في
صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية او ليأخذن الراية
غدا رجلا يحبه الله ورسوله او قال يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه
فاذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الراية ففتح الله عليه قوله لاعطين الراية قال الحافظ في رواية بريدة اني
دافع اللواء الى رجل يحب الله ورسوله وقد صرح جماعة من اهل اللغة
بترادفهما لكن احمد والترمذي من حديث ابن عباس كانت راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم سودا ولواؤه ابيض وعند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي
عن ابي هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قوله يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله فيه فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه قال الشيخ
الاسلام ليس هذا الوصف مختصا بعلي ولا بالائمة فان الله ورسوله يحب
كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله لكن هذا الحديث من احسن ما يحتج به على
النواصب الذين لا يتولونه او يكفرونه او يفسقونه كالخوارج لكن هذا
لا يحتاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضا
ئل الصحابة قبل ردهم فان الخوارج تقول في علي مثل ذلك لكن هذا باطل

فان الله

روى مسلم ومثله

وبكلمة الله ورسوله

فان الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله انه يموت
كافرا وفيه اثبات صفة المحبة لله خلافا للجهمية قوله يفتح الله على يديه صريح
في البشارة بحصول الفتح فهو علم من اعلام النبوة قوله فباتت الناس يدوكون
ليلتهم بنصب ليلتهم ويدوكون قال المصنف يخوضون اي فيمن يدفعها اليه
وفيه حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به وعلو همتهم في العلم والايمان قوله
انهم يعطاها هو برفع اي على البناء لاضافتها وحذف صدر صلتها
فلما اصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها وفي رواية
ابي هريرة عند مسلم ان عمر رضي الله عنه قال ما احببت الامارة الا يومئذ قال
شيخ الاسلام ان في ذلك شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بايمانه باطنا و
ظاهرا واثباتا لموالاته لله تعالى ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له وانا
شهد النبي صلى الله عليه وسلم لمعين بشهادة او دعى له احب كثير من الناس ان
يكون له مثل تلك الشهادة ومثل ذلك الدعاء وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهد
بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس وعبد الله
بن سلام وان كان قد شهد بالجنة لاخرين والشهادة بمحبة الله ورسوله لهذا
ضرب في الخمر فقال ايه علي بن ابي طالب فيه سؤال الامام عن رعيته
وتفقد احوالهم قوله فقبل هو يشتكي عينيه اي من الرمد كما في صحيح مسلم من
حديث ابي وقاص فقال ادع لي عليا فاتى به ارمد الحديث وفي نسخة صحيحة
بخط المصنف فقيل هو يشتكي عينيه فارسل اليه مبني للفاعل وهو ضمير مستتر في
الفعل راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون مبنيا للمفعول اسم فاعله و
لمسلم من طريق ياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني الى علي فجئت به اقوده ارمد
قوله فبصق بفتح الصاد اي تفل ودعى له قبر أهو بفتح الراء والهمزة اي عوفي
في الحال عافية كاملة كان لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر وعند الطبراني
من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي صلى الله عليه وسلم الي الراية
قال المصنف حمد استنبط فيه الاعلام بالقدر لحصولها لمن لم يسع ولم يطع
عمن سعى وفيه ان فعل الاسباب المباحة او الواجبة او المستحبة لا ينافي التوكل

هو وقال انفذ على رسلك بضم الفاء اى امض ورسلك بكسر الراء وسكونه
السين اى على رفقك من غير عجلة وساحتهم فناء ارضهم وهو ما حولها
وفيه الادب عند القتال وترك العجلة والطيش والاحوال التي لا حاجة
اليها وفيه امر الامام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاص عزيمة
كما يشير اليه قوله ثم ادعهم الى الاسلام اى الذي هو معنى شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان شئت قلت الاسلام
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وما اقتضته الشهادتان
من ان اخلاص العبادة لله وحده واخلاص الطاعة له ولرسوله صلى الله
عليه وسلم ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله قل
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى
والاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له كذا قال
اهل اللغة وقال رحمه الله تعالى ودين الاسلام الذي ارتضاه الله و
بعث به رسله هو الاستسلام له وحده فاصله في القلب والخضوع له
وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها
اخر لم يكن مسلما ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما وفي الجملة
هو من باب العمل عمل القلب والجوارح واما الايمان فاصله تصديق
القلب واقراره ومعرفته فهو من باب القول القلب المتضمن عمل القلب انتهى
فتبين ان اصل الاسلام هو التوحيد بنفي الشرك في العبادة وهو دين
جميع المرسلين وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له با
لطاعة فيما امرهم به على السن رسله كما قال تعالى عن اول رسول ارسله
ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون وفيه مشروعية الدعوة قبل القتال
لكن ان كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء لانه النبي صلى الله عليه وسلم
اغار على بني المصطلق وهم غارون وان كانوا لم تبلغهم الدعوة وجب

دعوتهم

دعوتهم واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيما يدخل الاسلام
اذا اجابوك فاخبرهم بما يجب عليهم من حقوقه التي لا بد لهم من فعلها
كالصلوات والزكوة كما في حديث ابي هريرة فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها ولما قال عمر لابي بكر في قتاله
مانعي الزكوة كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر فان الزكوة حق المال والله لو
منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
على منعها وفيه بعث الامام الدعاة الى الله تعالى كما كان النبي صلى الله عليه
وسلم وخلفاؤه الراشدون يفعلون كما في المسند عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال في خطبته الا اني والله ما ارسل عمالي اليكم ليضربوا ابشاركم ولا
لياخذوا اموالكم ولكن ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فوالله لان
يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ان مصدرية واللام فيها
مفتوحة لانها لام القسم وان الفعل في تاويل مصدر رفع على الابتداء
والخبر خبر وحمر بضم المهملة وسكون الميم والنعم بفتح النون والعين
المهملة اي خير من الابل الحمر وهي انفس اموال العرب قال النووي وشبيه
امور الاخرة بامور الدنيا انما هو للتقريب الى الافهام والا فقدرة من الاخرة
خير من الارض باسرها واشالها وفيه فضيلة من اهتدى على يديه رجل
واحد وجواز الحلف على الخبر والفتيا ولو لم يستحلف قوله [illegible]
تفسير لقوله [illegible] قلت هذا من عطف الدليل
على المدلول فان قيل قد تقدم في اول الكتاب من الايات ما يفيد معنى لا اله
الا الله وما تضمنته من التوحيد كقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا
اياه وسابقها ولاحقها وكذلك ما ذكره في الابواب بعدها فما فائدة هذه
الترجمة فيقال هذه الايات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان لخصوص
لمعنى كلمة الاخلاص وما دلت عليه من توحيد العبادة وفيها الحجة على من تعلق

ليعلموكم

على الانبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم لان ذلك هو سبب نزول
بعض هذه الايات كالاية الاولى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
اكثر المفسرين على انها نزلت فيمن يعبد المسيح وامه والعزير
والملائكة وقد نهى الله تعالى عن ذلك اشد النهي كما في هذه
الاية من التهديد والوعيد على ذلك وهذا يدل على ان دعوتهم
من دون الله شرك بالله ينافي التوحيد وينافي شهادة ان لا اله الا
الله ومضمون هذه الكلمة نفي الشرك في العبادة والبراءة من عبادة كل
معبد من دون الله فان التوحيد ان لا يدعى الا الله وحده وكلمة الاخلاص
نفت هذا الشرك لان دعوة غير الله تعالى انه وعبادة له والدعاء نوع
لعبادة وفي هذه الاية ان المدعو لا يملك لداعيه كشف ضر ولا تحويله
من مكان الى مكان ولا من صفة الى صفة ولو كان المدعو نبيا او ملكا
وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله لان دعوته تخون
داعيه احوج ما كان اليها لانه اشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره و
هذه الاية تقرر التوحيد ومعنى لا اله الا الله قوله وقال الله تعالى اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الاية يبين ان هذا سبيل الانبياء والمرسلين
ومن تبعهم من المؤمنين قال قتادة تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه
وقرأ ابن زيد اولئك الذين تدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايتهم اقرب
قال العماد بن كثير وهذا لا خلاف بين المفسرين فيما ذكره
عن عدة من ائمة التفسير قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى
في هذه الاية ذكر المقامات الثلاث الحب وهو ابتغاء القرب اليه
والتوسل اليه بالاعمال الصالحة والرجا والخوف وهذا هو التوحيد
وحقيقة دين الاسلام كما في المسند عن بهز ابن حكيم عن ابيه عن جده
انه قال والله يا رسول الله ما اتيتك الا بعد ما حلفت عدد اصابعي هذه
ان لا اتيك فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال وما
الاسلام قال ان تسلم قلبك وتوجه وجهك الى الله وان تصلي
الصلوات

الصلوات المكتوبة وتؤدي الزكوة المفروضة واخرج محمد بن نصر
المروزي من حديث خالد بن معدان عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان للاسلام صوى ومنارا كمنار الطريق من
ذلك ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا معنى قوله
تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة
الوثقى والى الله عاقبة الامور قال وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه
اي لا اله الا الله فتدبر كيف عبر الخليل عليه السلام عن هذه الكلمة
العظيمة بمعناها الذي دلت عليه ووضعت له من البراءة من كل ما
يعبد من دون الله الموجودة في الخارج كالكواكب والهياكل والاصنام
التي صورها قوم نوح على صور الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسر وغيرها من الاوثان والانداد التي كان يعبدها المشركون
باعيانها ولم يستثن من جميع المعبودات الا الذي فطره وهو الله
وحده لا شريك له فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الاخلاص مطابقة
كما قال تعالى ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل فكل
عبادة يقصد بها غير الله من دعاء وغيره فهي باطلة وهو الشرك
الذي لا يغفره الله قال تعالى وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله
الكافرين قال [illegible]
الا الله وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية على
عدي ابن حاتم الطائي قال يا رسول الله لسنا نعبدهم قال اليس يحلون
ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما احل الله فتحرمونه قال بلى فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم فصارت طاعتهم في المعصية عبادة
لغير الله وربما اتخذوهم اربابا كما هو الواقع في هذه الامة وهذا من الشرك

وبين تقريرهم وتنويههم العبائر وتفننهم فيها مع اتحاد المعنى رحمهم الله
الاكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة ان لا اله الا الله
فتبين بهذه الآية ان كلمة الاخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلولها
هذه الكلمة فاثبتوا ما نفته من الشرك وتركوا ما انتفته من
التوحيد وهذا ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم
كحب الله فكل من اتخذ نداً لله يدعوه من دون الله ويرغب اليه
ويرجوه لما يؤمله من قضاء حاجاته وتفريج كرباته كحال عباد القبور
والطواغيت والاصنام فلا بد ان يعظموهم ويحبوهم فانهم احبوهم
مع الله وان كانوا يحبون الله ويقولون لا اله الا الله ويصلون
ويصومون فقد اشركوا بالله في المحبة بحبة غيره وعبادة غيره
فاتخاذهم الانداد يحبونهم كحب الله يبطل كل قول يقولونه وكل عمل
يعملونه لان المشرك لا يقبل منه عمل ولا يصح منه وهو لاء وان قالوا
لا اله الا الله فقد تركوا كل قيد قيدت به هذه الكلمة من العلم
بمدلولها لان المشرك جاهل بمعناها ومن جعله بمعناها جعله
لله شريكا في المحبة وغيرها وهذا هو لجهل المنافي للعلم بما دلت
عليه من الاخلاص ولم يكن صادقا في قولها لانه لم ينف ما نفته من
الشرك ولم يثبت ما اثبته من الاخلاص وترك اليقين ايضا لانه
لو عرف بمعناها وما دلت عليه لانكره او شك فيه ولم يقبله وهو
الحق ولم يكفر بما يعبد من دون الله باتخاذه الند ومحبته له و
عبادته من دون الله قال تعالى والذين امنوا اشد حبا لله لانهم
اخلصوا له الحب فلم يحبوا الا هو ويحبون من احب ويخلصون
اعمالهم جميعها لله ويكفرون بما عبد من دون الله فبهذا يتبين
لمن وفقه الله تعالى لمعرفة الحق وقبوله دلالة هذه الآيات العظيمة
على معنى شهادة ان لا اله الا الله وعلى التوحيد الذي هو معناها
الذي اليه جميع المرسلون فتدبر يا [illegible]
وشهادة ان لا اله الا الله

اراد

اراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة وما سيق بعدها
من الآيات والحديث ان يزيد هذا المقام بيانا وايضاحا والا
فقد تقدم في الآيات والاحاديث ما يفسر لا اله الا الله ومادلت
عليه من التوحيد ونفي الشرك والتنديد قال [illegible]
يبتغون الى ربهم الوسيلة لما تبين معنى هذه الآية
بذكر ما قبلها وهي قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا الآية قال ابن كثير رحمه الله يقول تعالى
قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دونه من الانداد وارغبوا
اليهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم اي بالكلية ولا تحويلا اي
ولا ان يحولوه الى غيركم فان الذي يقدر على ذلك هو الله وحده
لا شريك له قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه في الآية كان اهل الشرك
يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا وهم الذين يدعون و
روى البخاري في الآية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ناس من الجن كانوا
يعبدون فاسلموا وفي رواية كان ناس من الانس يعبدون ناسا
من الجن فاسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم وقول ابن مسعود
في الآية هنا يدل على ان الوسيلة هي الاسلام وهو كذلك على كلا
القولين وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس في الآية
قال عيسى وامه وعزير وقال مغيرة عن ابراهيم كان ابن
عباس رضي الله عنهما يقول في هذه الآية هي عيسى وعزير والشمس والقمر
وقال مجاهد عيسى وعزير والملائكة وقوله يرجون رحمته
ويخافون عذابه لان تمام العبادة الا بالخوف والرجاء فكل داع دعاء
عبادة او استعانة لا بد له من ذلك فاما ان يكون خائفا او
اما ان يكون راجيا واما ان يجتمع فيه الوصفان قال شيخ
الاسلام رحمه الله في هذه الآية لما ذكر اقوال المفسرين وهذه
الاقوال كلها حق فان الآية تعم من كان معبودا عابدا لله سواء
كان من الملائكة او من الجن او من البشر والسلف في تفسيرهم يذكرون

جنس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله عما
معنى الخبز فيريه رغيفا فيقول هذا فالاشارة الى نوع عملا الى
عينه وليس مرادهم تخصيص نوع دون نوع مع شمول الاية له
فالاية خطاب لكل من دعى من دون الله مدعوا وذلك المدعو
يبتغي الى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه فكل من دعي
ميتا او غائبا من الانبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة
او غيرها فقد تناولته هذه الاية كما تتناول من دعى الملائكة
والجن فقد نهى الله عز وجل دعائهم وبين انهم لا يملكون كشف الضر
عن الداعين ولا تحويله لا يرفعونه بالكلية فلا يحولونه من موضع الى
موضع كتغيير صفته او قدره وهذا قال ولا تحويلا فذكر نكرة
تعم انواع التحويل فكل من دعى ميتا او غائبا من الانبياء والصالحين
او دعى الملائكة فقد دعى من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا
تحويله انتهى قال [illegible]

واذ قال ابراهيم لابيه وقومه

فطرني الاية قال ابن كثير يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله
وخليله امام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الانبياء الذي تنتسب
اليه قريش في نسبها ومذهبها انه تبرأ من ابيه وقومه في عبادتهم
الاوثان فقال اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمة باقية في عقبه اي هذه الكلمة وهي عبادة الله
وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الاوثان وهي لا اله الا الله
جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية ابراهيم
عليه السلام لعلهم يرجعون اليها قال عكرمة ومجاهد و
الضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله وجعلها كلمة باقية
في عقبه يعني لا اله الا الله لا يزال في ذريته من يقولها وروى ابن
جرير عن قتادة اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني قال
انهم يقولون ان الله ربنا ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فلم
يبعد من ربه رواه عبد ابن حميد وروى ابن جرير وابن المنذر

عن

عن قتادة وجعلها كلمة باقية في عقبه قال الاخلاص والتوحيد
لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده قلت فتبين ان معنى
لا اله الا الله توحيد الله باخلاص العباده له والبراءة من عبادة
كل ما سواه قال المصنف وذكر سبحانه ان هذه البراءة وهذه
الموالات هي شهادة ان لا اله الا الله قال المصنف وقد اتخذ
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الاحبار هم العلماء والرهبان
هم العباد وهذه الاية قد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي ابن
حاتم وذلك انه لما جاء مسلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرأ عليه هذه الاية قال قلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا
عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم رواه
احمد والترمذي وحسنه وعبد ابن حميد وابن ابي حاتم والطبراني من
طرق قال السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
وهذا قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه
عما يشركون فان الحلال ما احله الله والحرام ما حرمه الله والدين
ما شرعه الله فظهر بهذا ان الاية دلت على ان من اطاع غير الله
ورسوله في تحليل ما حرمه الله او تحريم ما احله الله واطاعه في
معصية الله او اتبعه فيما لم يأذن به الله فقد اتخذه ربا ومعبودا
وجعله لله شريكا وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلت
عليه كلمة الاخلاص لا اله الا الله فان الاله هو المعبود وقد سمى الله
طاعتهم عبادة لهم وسماهم اربابا كما قال تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا اي شركاء الله في العبادة اياكم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
فكل معبود رب وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد
اتخذه المطيع ربا ومعبودا وهذا هو وجه مطابقة الاية للترجمة
ويشبه هذه الاية في المعنى قول الله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله قال ابن جعفر بن جرير في معنى قول الله تعالى
ويجعلون له اندادا يجعلون على خلق ذلك اندادا وهم لا كفاء من الحجارة

تطيعونهم في معاصي الله انتهى قلت كما هو الواقع من كثير من عباد
القبور قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم كحب الله الاية قال المصنف ومن الامور المبينة لتفسير
التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله آية البقرة في الكفار الذين قال
الله فيهم وما هم بخارجين من النار ذكر انهم يحبون اندادهم
كحب الله فدل على انهم يحبون الله حبا عظيما فلم يدخلهم في الاسلام
فكيف بمن احب الندا اكبر من حب الله فكيف بمن لم يحب الا الله
وحده انتهى ففي الاية بيان ان من اشرك مع الله غيره في المحبة
فقد جعله شريكا لله في العبادة واتخذه من دون الله وان ذلك
هو الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى وما هم بخارجين
من النار فمن احب الله وحده واحب فيه وله فهو مخلص ومن احبه
واحب معه غيره فهو مشرك كما قال تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى قوله فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون قال شيخ الاسلام ما معناه فمن رغب الى غير الله في قضاء حاجة
او تفريج كربة لزم ان يكون محبا له ومحبته هي الاصل في ذلك انتهى فكلمة
الاخلاص لا اله الا الله تنفي كل شرك شيء اي نوع كان من انواع العبادة
وتثبت العبادة بجميع افرادها لله تعالى وقد تقدم بيان ان الاله هو
المالوه الذي تالهه القلوب بالمحبة وغيرها من انواع العبادة فلا
اله الا الله نفت ذلك كله عن غير الله واثبتته لله وحده فهذا هو
الذي دلت عليه كلمة الاخلاص مطابقة فلا بد من معرفة معناها
واعتقاده وقبوله والعمل به باطنا وظاهرا والله اعلم قال ابن القيم
رحمه الله تعالى فتوحيد المحبوب ان لا يتعدد محبوبه وتوحيد المحبة ان لا يبقى
في قلبه بقية حب حتى يبذلها له فهذا الحب وان سمي عشقا فهو غاية
صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه وليس لقلبه صلاح ولا نعيم الا بان
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يكون محبته لغير الله
تابعة لمحبته الله فلا يحب الا الله كما في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه

صلى الله عليه وسلم

الحديث ومحبة رسوله هي من محبته ومحبة المرء ان كانت لله فهي من
محبته وان كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها و
يصدق هذه المحبة بان تكون كراهته لا بغض الاشياء الى محبوبه
وهو الكفر بمنزلة كراهته للقائه في النار واشد ولا ريب ان
هذا من اعظم المحبة لان الانسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته
شيئا فاذا قدم محبة الاوثان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر
والقائه في النار لاختار ان يلقى في النار ولا يكفر كان احب اليه من
نفسه وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق وسائر المحبين من محبة
محبوبهم بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به وهي محبة
تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد وتقتضي كمال الذل
والخضوع والتعظيم والاجلال والطاعة والانقياد ظاهرا وباطنا
وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان ولهذا
من شرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركا
شركا لا يغفره الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله والصحيح ان
معنى الاية ان الذين امنوا اشد حبا لله من اهل الانداد لانداده
كما تقدم ان محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق اصلا
كما لا يماثل محبوبهم غيره وكل ادنى في محبة غيره فهو نعيم في محبته
وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته ومن ضرب في
محبته الامثال التي في محبة المخلوق للمخلوق كالوصل والهجر والتجني
بل سبب من المحبة وامثال ذلك مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا
فهو مخطئ اقبح الخطا وافحشه وهو حقيق بالابعاد والمقت انتهى
قال [illegible] قال من [illegible]
الا الله [illegible] قوله وفي الصحيح
اي صحيح مسلم عن ابي مالك الاشجعي عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره
وابو مالك اسمه سعد ابن طارق كوفي ثقة مات في حدود الاربعين

ومائة وابوه طارق ابن اشيم بالمعجمة والمثناة التحتية وثن
احمد ابن مسعود الاشجعي صحابي له احاديث قال مسلم لم يرو
عنه غير ابنه وفي مسند الامام احمد عن ابي مالك قال وسمعته
يقول للقوم من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله
ودمه وحسابه على الله عز وجل رواه الامام احمد من طريق يزيد
ابن هارون قال اخبرنا ابو مالك الاشجعي عن ابيه ورواه الامام
احمد عن عبد الله اخي ادريس قال سمعت ابا مالك قال قلت
لابي الحديث وزاد في اخر الحديث بهذا اللفظ يفسر لا اله الا الله
من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله اعلم ان النبي
علق عصمت المال والدم في هذا الحديث بامرين الاول قول لا اله
الا الله بعلم ويقين كما هو مقيد بهذا في غير ما حديث كما تقدم والثاني
الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد
من قولها والعمل بها قلت وفيه معنى قول من يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها قال المصنف و
هذا من اعظم ما يبين معنى لا اله الا الله فانه لم يجعل التلفظ بها
عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها بل ولا
الاقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له بل
لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله
فان شك او تردد لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسئلة ما
اجلها وياله من بيان ما اوضحه وصحة ما اقطعها للنزاع انتهى
قلت وهذا هو الشرط الصحيح لقول لا اله الا الله فلا يصح قولها
بدونه اصلا قال الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله وقال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الى قوله
فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم امر بقتالهم
حتى يتوبوا من الشرك ويخلصوا اعمالهم لله ويقيموا الصلاة ويؤتوا

الزكوة

الزكاة فان ابوا عن ذلك او بعضه قتلوا اجماعا قال ابن كثير رحمه الله في
تفسيره قوله تعالى قد افلح من تزكى فقال قال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا عباد
ابن يعقوب وساق بسنده عن جابر بن عبد الله رض عن النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح
من تزكى قال من شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول الله
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله ويؤمنوني وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفي الصحيحين عن ابن عمر رض قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وهذا لفظ البخاري
تفسير للآية بتبين آية الانفال وانها براءة وقد اجمع العلماء على ان
من قال لا اله الا الله ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها انه يقاتل
حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والاثبات قال ابو سليمان الخطابي في قوله
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله معلوم ان المراد بهذا اهل
الاوثان دون اهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون
ولا يرفع عنهم السيف وقال القاضي عياض اختصار عصمة المال
والنفس بمن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة الى الايمان وان المراد
بذلك مشركو العرب واهل الاوثان فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا
يكتفى في عصمته بقول لا اله الا الله اذ كان يقولها في كفره انتهى ملخصا
وقال النووي لا بد مع هذا من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله
كما جاء في الرواية ويؤمنوني وبما جئت به وقال شيخ الاسلام لما
سئل عن قتال التتار فقال كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع
الاسلام الظاهرة من هؤلاء القوم وغيرهم فانه يجب قتالهم
حتى يلتزموا شرائعه وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين و
ملتزمين ببعض شرائعه كما قاتل ابو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي
الزكاة وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم قال فايما طائفة امتنعت عن
بعض الصلوات المفروضات او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدما

او الاموال والخمر والميسر او نكاح ذوات المحارم او عن التزام جهاد
الكفار او غير ذلك من التزام واجبات الدين او محرماته التي لا عذر
لاحد في جحودها او تركها التي يكفر الواحد بجحودها فان الطائفة
الممتنعة تقاتل عليها وان كانت مقرة بها وهذا مما لا اعلم فيه خلافا
بين العلماء قال وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم حارجون
عن الاسلام انتهى قوله وحسابه على الله اي الله تبارك وتعالى هو
الذي يتولى حسابه فان كان صادقا جازاه بجنات النعيم وان كان منافقا
عذبه العذاب الاليم فاما في الدنيا فالحكم على الظاهر فمن اتى بالتوحيد
ولم يات بما ينا فيه ظاهرا والتزم شرائع الاسلام وجب الكف عنه
قلت وافاد الحديث ان الانسان قد يقول لا اله الا الله ولا يكفر بما
يعبد من دون الله فلم يات بما يعصم دمه وماله كما دل على ذلك
الايات والاحاديث وشرح هذه الترجمة وما بعدها من الابواب
قلت وذلك ان ما بعدها من الابواب فيه ما يبين التوحيد
ويوضح معنى لا اله الا الله وفيه ايضا اشياء كثيرة من الشرك الاصغر
والاكبر وما يوصل الى ذلك من الغلو والبدع وانتفاؤه وتركه من
مدلول لا اله الا الله فمن عرف ذلك وتحققه تبين له معنى لا اله الا الله
وما دلت عليه من الاخلاص ونفي الشرك وبضدها تتبين الاشياء
فبمعرفة نوع الاصغر من الشرك يعرف ما هو اعظم منه من الشرك
الاكبر المنافي للتوحيد واما الشرك الاصغر فانما ينافي كماله فمن
اجتنبه فهو للتوحيد حقا وبمعرفة وسائل الشرك والنهي عنها التجنب
تعرف الغايات التي نهي عنها الوسائل لاجلها فان اجتناب ذلك كله
يستلزم التوحيد والاخلاص بل يقتضيه وفيها ايضا من ادلة التوحيد
اثبات الصفات وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجلاله وكلما يعرف به
من صفات كماله وادلت ربوبيته يدل على انه هو المعبود وحده
وان العبادة لا تصلح الا له وهذا هو التوحيد ومعنى شهادة
ان لا اله الا الله قوله [illegible] رفعه الله بعد نزوله ودفع منعه قبل

نزوله

نزوله قال وقول الله تعالى قل افريتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره او اراد برحمة هل هن ممسكات رحمته
الاية قال ابن كثير رحمه الله اي لا تستطيع شيئا من الامر قل حسبي الله
اي الله كافي من توكل عليه عليه يتوكل المتوكلون كما قال هود عليه السلام حين
قال قومه ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان
ربي على صراط مستقيم وقال مقاتل في معنى الاية فسئلهم النبي صلى الله
عليه وسلم فسكتوا اي لانهم لا يعتقدون ذلك فيها وانما كانوا يدعونها
على معنى انها وسائط وشفعاء عند الله لا لانهم يكشفون الضر
ويجيبون دعاء المضطر فهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما تعالى ثم
اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون قلت فهذه الاية وامثالها تبطل تعلق
القلب بغير الله في جلب نفع او دفع ضر وان ذلك شرك بالله
وفي الاية بيان ان الله تعالى وسم اهل الشرك بدعوة غيره و
الرغبة اليه من دون الله والتوحيد ضد ذلك وهو ان لا يدعى
الا الله ولا يرغب الا اليه ولا يتوكل الا عليه وهكذا جميع انواع
العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله كما دل على ذلك الكتاب والسنة
واجماع سلف الامة وائمتها كما تقدم قال

قال الامام احمد حدثنا
خلف بن الوليد حدثنا المبارك عن الحسن قال اخبرني عمران بن
حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر على عضد رجل حلقة قال
أراه من صفر فقال ويحك ما هذه قال من الواهنة قال اما
انها لا تزيدك الا وهنا انبذها عنك فانك ان مت وكلت
اليها وانا حاكم وقال صحيح الاسناد واقره الذهبي وقال الحاكم اكثر

مشايخنا على ان الحسن سمع من عمران وقوله في الاسناد اخبرنا عمران
يدل على ذلك قوله عن عمران ابن حصين اي بن عبيد ابن خلف الخزاعي
ابو نجيد بنون وجيم مصغر صحابي بن صحابي اسلم عام خيبر ومات
سنة اثنتين وخمسين بالبصرة قوله راى رجلا في رواية دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عضدي حلقة من صفر فقال
ما هذه الحديث فالمبهم في رواية احمد هو عمران راوي الحديث
قوله ما هذه يحتمل ان الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها
ويحتمل ان يكون للانكار وهو اظهر قوله من الواهنة قال ابو
السعادات الواهنة عرق ياخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى
منها وقيل هو مرض ياخذ في العضد وهي تاخذ الرجال دون
النساء وانما نهى عنها لانه انما اتخذها على انها تعصمه من الالم
وفيه اعتبار المقاصد قوله انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا النبذ
هو الجذب بقوة اخبر انها لا تنفعه بل تضره وتزيده ضعفا و
كذلك كل امر نهي عنه فانه لا ينفع غالبا وان نفع بعضه فضرره
اكبر من نفعه قوله فانك لو مت وهي عليك ما افلحت ابدا لانه
شرك والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة قال المصنف فيه شاهد
لكلام الصحابة ان الشرك الاصغر اكبر من الكبائر وانه لم يعذرها
لجهالة وفيه الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك رواه احمد
بسند لا باس به هو الامام احمد ابن محمد ابن حنبل بن هلال بن اسد
الشيباني ابو عبد الله المروزي ثم البغدادي امام اهل عصره و
اعلمهم بالفقه والحديث واشدهم ورعا ومتابعة للسنة وهو
يقول فيه بعض اهل السنة عن الدنيا ما كان اصبره وبالماضين ما
كان اشبهه اتته الدنيا فابا ها والشبه فنفاها روى عن الشافعي
ويزيد بن هارون وعبد الرحمن ابن مهدي ويحيى القطان وابن عيينة
وعبد الرزاق وخلق لا يحصون وروى ابناه عبد الله وصالح والبخاري
ومسلم وابو داود وابو بكر الاثرم والمروذي وخلق لا يحصون
مات سنة احدى واربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة رحمه الله

الحاكم ص

قوله

رواه احمد كما قال المصنف ورواه ايضا ابو يعلى والحاكم وقال صحيح الاسناد
واقره الذهبي وقوله وفي رواية اي من حديث آخر رواه احمد فقال
حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد
ابن ابي منصور عن دجين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقبل اليه رهط فبايع تسعة وامسك عن واحد فقالوا يا رسول الله
بايعت تسعة وامسكت عن هذا فقال ان عليه تميمة فادخل يده
فقطعها وقال من علق تميمة فقد اشرك ورواه الحاكم بنحوه وزاد انه
ثقات عن عقبة بن عامر صحابي مشهور فقيه فاضل ولي امارة
مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريبا من الستين قوله من تعلق
تميمة اي تعلقها متعلقا بها قلبه في جلب خير او دفع شر قال المنذري
حرزة كانوا يعلقونها يرون انها تدفع عنهم الآفات وهذا جهل
وضلالة اذ لا مانع ولا دافع الا الله تعالى قال ابو السعادات التمائم
جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على اولادهم يتقون بها العين
في زعمهم فابطله الاسلام فلا اتم الله له دعاءه عليه ومن
تعلق ودعة بفتح الواو وسكون المهملة قال في مسند الفردوس الودع
شيء يخرج من البحر شبه الصدف يتقون به العين فلا ودع
الله له بتخفيف الدال اي لا جعله في دعة وسكون قال ابو
السعادات وهذا دعاء عليه وفي رواية من تعلق تميمة فقد
اشرك قال ابو السعادات انما جعلها شركا لانهم اراد وا دفع
المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الاذى من غير الله الذي
هو دافعه قال

قال ابن ابي حاتم

حدثنا محمد بن الحسين ابن ابراهيم بن اشكاب حدثنا يونس بن محمد
حدثنا حماد ابن سلمة عن عاصم الاحول عن عزرة قال دخل حذيفة
على مريض فراى في عضده سيرا فقطعها او انتزعه ثم قال وما

يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وابن ابي حاتم هو الامام ابو محمد
عبد الرحمن ابن ابي حاتم بن محمد بن ادريس الرازي التميمي الحنظلي الحافظ
صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرها مات سنة سبع
وعشرين وثلاث مائة وحذيفة هو بن اليمان واسم اليمان
حُسَيل بضمتين مصغر ويقال حِسْل بكسر ثم سكون العبسي
بالموحدة حليف الانصار صحابي جليل من السابقين ويقال له
صاحب السر وابوه ايضا صحابي مات حذيفة في اول خلافة
علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين قوله مر راى رجلا في يده خيط من الحمى
اي عن الحمى وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها
لدفع الحمى وروى وكيع عن حذيفة انه رأى رجلا دخل على مريض
يعوده فلمس عضده فاذا فيه خيط فقال ما هذا قال شيء رقي لي
فيه فقطعه وقال لو مت وهو عليك ما صليت عليك وفيه
انكار مثل هذا وان كان يعتقد انه سبب فالاسباب لا يجوز
منها الا ما اباحه الله ورسوله مع عدم الاعتماد عليها وامّا
التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه
الجهال فهو شرك يجب انكاره وازالته بالقول والفعل وان
لم يأذن فيه صاحبه قوله وتلى قوله وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون استدل حذيفة رضي الله عنه بالاية لان هذا
شرك ففيه صحة الاستدلال على الشرك الاصغر بما انزل الله فيه
في الشرك الاكبر لشمول الاية له ودخوله في مسمى الشرك وتقدم
معنى هذه الاية عن ابن عباس رض وغيره في كلام شيخ الاسلام
وغيره والله اعلم وفي هذه الاثار عن الصحابة رضي الله عنهم ما يبين
كمال علمهم بالتوحيد وما ينافيه او ينافي كماله قوله باب ما
جاء في الرقى والتمائم اي من النهي وما ورد عن السلف في ذلك قوله
في الصحيح عن ابي بشير الانصاري انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فارسل رسولا ان لا يبقين في رقبة بعير قلادة
من وتر او قلادة الا قطعت قال هذا الحديث في الصحيحين

قوله

قوله عن ابي بشير بفتح اوله وكسر المعجمة قيل اسمه قيس بن عبيد
قاله بن سعد وقال بن عبد البر لا يوقف على اسم صحيح وهو صحابي
شهد الخندق ومات بعد الستين ويقال انه جاوز المائة قوله
في بعض اسفاره قال الحافظ لم اقف على تعيينه قوله فارسل رسولا
هو زيد بن حارثة روى ذلك الحارث ابن ابي اسامة في مسنده قال
الحافظ قوله ان لا يبقين بالمثناة التحتية والقاف المفتوحتين و
قلادة مرفوع على انه فاعل والوتر بفتحتين واحد اوتار القوس
وكان اهل الجاهلية اذا اخلولق الوتر ابدلوه بغيره وقلدوا به الدواب
اعتقادا منهم انه يدفع عن الدابة العين قوله او قلادة الا قطعت
معناه ان الراوي شك هل قال شيخه قلادة من وتر او قال قلادة
واطلق ولم يقيد ويؤيد الاول ما روي عن مالك انه سئل عن القلادة
فقال ما سمعت بكراهتها الا في الوتر ولا بي داود ولا قلادة بغير
شك قال البغوي في شرح السنة تاول مالك امره عليه السلام بقطع
القلائد على انه من اجل العين وذلك انهم كانوا يشدون تلك الاوتار
والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون انها تعصمهم من الافات
فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها واعلمهم انها لا ترد من امر الله شيئا
وقال ابو عبيد كانوا يقلدون الابل الاوتار لئلا تصيبها العين فامرهم
النبي صلى الله عليه وسلم بازالتها اعلاما لهم بان الاوتار لا ترد شيئا وكذا قال
ابن الجوزي وغيره قال الحافظ ويؤيده حديث عقبة بن عامر رفعه من
تعلق تميمة فلا اتم الله له رواه ابو داود وهو في ما علق من القلائد
خشية العين ونحو ذلك انتهى قلت وعن بن مسعود سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك رواه
احمد وابو داود وفيه قصة ولفظ ابي داود وعن زينب امرأة عبد الله ابن
مسعود ان عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال ما هذا قلت خيط رقي لي
فيه قالت فاخذه ثم قطعه ثم قال انتم آل عبد الله لاغنياء عن الشرك
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك
فقلت لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف الى فلان اليهودي فاذا رقى

لله

القاسم بن سلام ه

سكنت فقال عبد الله انما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقي كف
عنها انما كان يكفيك ان تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك
شفاء لا يغادر سقما رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال
صحيح وقره الذهبي قوله ان الرقى قال المصنف الرقاهي التي تسمى العزائم
وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من العين والحمة يشير الى ان الرقى الموصوفة بكونها شركا هي التي
يستعان فيها بغير الله واما اذا لم يذكر فيها الا اسماء الله وصفاته
وآياته والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا حسن بجائز او مستحب
قوله فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة
كما تقدم ذلك في باب من حقق التوحيد وكذلك رخص في الرقا
من غيرهما كما في صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال كنا نرقي
في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا
علي رقاكم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك وفي الباب احاديث
كثيرة قال الخطابي وكان عليه السلام قد رقى ورقي وامر بها
واجازها فاذا كانت بالقرآن او باسماء الله تعالى فهي مباحة
او مأمور بها وانما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان
فانه ربما كان كفرا او قولا يدخله الشرك ومن ذلك ما كان على مذاهب
الجاهلية التي يتعاطونها وانها تدفع عنهم الآفات ويعتقدون ان ذلك
من قبل الجن ومعونتهم قال شيخ الاسلام كل اسم مجهول فليس لاحد
ان يرقي به فضلا ان يدعو به ولو عرف معناه لانه يكره الدعاء بغير
العربية وانما يرخص لمن لا يحسن العربية فاما جعل الالفاظ الاعجمية
شعارا فليس من دين الاسلام وقال السيوطي قد اجمع العلماء على جواز
الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام الله او باسمائه وصفاته
وباللسان العربي وبما يعرف معناه وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها
بل بتقدير الله تعالى قوله والتمائم قال المصنف التمائم شيء يعلق على الاولاد من
العين وقال الخطابي التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من

خرزات وعظام لدفع العين وهذا منهي عنه لانه لا دافع الا الله ولا
يطلب دفع المؤذيات الا بالله واسمائه وصفاته قال المصنف لكن
اذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه
ويجعله من النهي عنه منهم بن مسعود رضي الله عنه اعلم ان العلماء من الصحابة
والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن و
اسماء الله وصفاته فقالت طائفة بجوز ذلك وهو قول عبد الله بن عمرو
ابن العاص وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال ابو جعفر الباقر واحمد
في رواية وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك وقالت الطائفة لا يجوز
ذلك وبه قال ابن مسعود وبن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة
ابن عامر وابن عكيم وبه قال جماعة من التابعين منهم اصحاب ابن
مسعود وحملوا في رواية اختارها كثير من اصحابه وجزم بها المتأخرون
واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه قلت وهذا هو الصحيح لوجوه
ثلاثة تظهر للمتأمل الاول عموم النهي ولا مخصص للعموم الثاني
سد الذريعة فانه يفضي الى تعليق ما ليس كذلك الثالث انه
اذا علق فلا بد ان يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة
والاستنجاء ونحو ذلك وتأمل هذه الاحاديث وما كان عليه
السلف يتبين لك غربة الاسلام خصوصا ان عرفت عظيم ما
وقع فيه الكثير بعد القرون المفضلة من تعظيم القبور واتخاذ
المساجد عليها والاقبال اليها بالقلب والوجه وصرف جل الدعوات
والرغبات والرهبات وانواع العبادات التي هي حق لله تعالى اليها
من دونه كما قال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية ونظائرها
في القرآن اكثر من ان يحصر قوله والتولة شرك قال المصنف هو شيء
يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة الى زوجها والرجل الى امرأته و
بهذا فسره بن مسعود راوي الحديث كما في صحيح بن حبان والحاكم قالوا
يا ابا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة قال شيء

فتح

يصنعه النساء يتحببن الى ازواجهن قال الحافظ التولة بكسر المثناة
والواو واللام مخففا شئ كانت المرأة تحلب به محبة زوجها وهو
ضرب من السحر والله اعلم وكان من الشرك لما يراد به من دفع المضار
وجلب المنافع من غير الله تعالى قال وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا من تعلق
شيئا وكل اليه رواه احمد والترمذي وابو داود والحاكم وعبد الله ابن
عكيم هو بضم العين المهملة مصغرا ويكنى ابا معبد الجهني الكوفي قال البخاري
ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سماع صحيح وكذا قال ابو
حاتم قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة و
كان ثقة وذكر ابن سعد عن غيره انه مات في ولاية الحجاج قوله
من تعلق شيئا وكل اليه التعليق يكون بالقلب ويكون بالفعل ويكون
بهما قوله وكل اليه اي وكله الله الى ذلك الشئ الذي تعلقه فمن تعلق
بالله وانزل حوائجه به والتجأ اليه وفوض امره كله اليه كفاه وقرب
اليه كل بعيد وسهل له كل عسير ومن تعلق بغيره او سكن الى رأيه
وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك وكله الله الى ذلك وخذله و
هذا معروف بالنصوص والتجارب قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وقال الامام احمد حدثنا هشام ابن القاسم حدثنا ابو سعيد
المؤدب حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال لقيت وهب بن منبه
وهو يطوف بالبيت فقلت حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي هذا
واوجز قال نعم اوحى الله تعالى الى داود اما وعزتي وعظمتي لا يعتصم
عبد من عبيدي دون خلقي اعرف ذلك من نيته فتكيده السموات
السبع ومن فيهن الا جعلت له من بينهن مخرجا اما وعزتي وعظمتي
لا يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني اعرف ذلك من نيته الا
قطعت اسباب السماء من يده واسخت الارض من تحت قدميه
ثم لا ابالي بأي واد هلك قوله روى الامام احمد عن رويفع قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رويفع لعل الحيوة ستطول بك فاخبر
الناس ان من عقد لحيته او تعلق وترا او استنجى برجيع دابة
او عظم فان محمدا بريء منه شرح الحديث رواه الامام احمد عن يحيى

يادا ود

والارض وما فيهن من السبع

ابن اسحق والحسن بن موسى الاشيب كلاهما عن ابن لهيعة وفيه
قصة اختصرها المصنف وهذا لفظ الحسن قال حدثنا ابن لهيعة
حدثنا عياش بن عباس عن شييم بن بيتان قال حدثنا رويفع بن
ثابت قال كان احدنا في غزو من رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ جل
اخيه على ان يعطيه النصف مما يغنم وله النصف حتى ان احدنا
ليصير له النصل والريش وللآخر القدح ثم قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا رويفع لعل الحديث ثم رواه احمد عن يحيى بن غيلان
حدثنا الفضل حدثني عياش بن عباس ان شييم ابن بيتان اخبره
انه سمع شيبان القتباني الحديث وابن لهيعة فيه مقال وفي الاسناد
الثاني شيبان القتباني قيل فيه مجهول وبقية رجالها ثقات قوله
فاخبر الناس على وجوب اخبارهم الناس وليس هذا مختصا برويفع
بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج اليه الناس وجب
اعلامهم به فان اشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية
قاله ابو زرعة في شرح سنن ابي داود قوله لعل الحيوة تطول بك فيه
علم من اعلام النبوة فان رويفعا طالت حياته الى سنة ست وخمسين
فمات ببرقعة من اعمال مصر اميرا عليها وهو من الانصار وقيل مات
سنة ثلاث وخمسين قوله ان من عقد لحيته بكسر اللام لا غير و
الجمع لحا بالكسر والضم قاله الجوهري قال الخطابي اما نهيه عن عقد اللحية
فيفسر على وجهين احدهما ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا يعقدون
لحاهم وذلك من زي بعض الاعاجم يفتلونها ويعقدونها قال ابو العباس
تكبرا وعجبا ثانيهما ان معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد و
ذلك من فعل اهل التأنيث قال ابو زرعة بن العراقي والاولى
حمله على عقد اللحية في الصلاة كما دلت عليه رواية محمد بن الربيع
وفيه ان من عقد لحيته في الصلاة قلت هذه الرواية لا تدل على
تخصيصه في الصلاة بل تدل على ان فعله في الصلاة اشد من فعله
خارجها قوله او تقلد وترا اي يجعله قلادة في عنقه او عنق دابته وفي
رواية محمد بن الربيع او تقلد وترا بريد تميمة فاذا كان هذا فيمن

ابن اسحق

تقلد وترا فكيف بمن تعاطى الاموات وسئلت الحاجات وتفرج الكربات
الذي جاء النهي عنه وتغليظه في الايات المحكمات قال او اكتسحي
بوجيع دابة او عظم فان مسها برئ منه قال النووي اي برئ
من فعله وهذا خلاف الظاهر والنووي كثيرا ما يتأول الاحا
ديث يصرفها عن ظاهرها فيغفر الله له وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود
مرفوعا لا تستنجوا بالروث ولا العظام فانه زاد اخوانكم من الجن
وعليه فلا يجزي الاستنجاء بها كما هو ظاهر وهو مذهب احمد
لما روى ابن خزيمة والدارقطني عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى ان يستنجى بعظم او روث وقال انهما لا يطهران قوله عن عبد
ابن حبير قال من قطع تميمة من انسان كان
هذا عند اهل العلم له حكم الرفع لان مثل هذا ذلك لا يقال بالرأي
ويكون هذا مرسلا لان سعيدا تابعي وفيه فضل قطع التمائم
لانها شرك ووكيع هو ابن الجراح ابن وكيع كوني ثقة امام صاحب
تصانيف منها الجامع وغيره روى عنه الامام احمد طبقته قال
سنة سبع وتسعين ومائة قوله وله عن ابراهيم كانوا يكرهون
التمائم كلها من القرآن وغيره اثر
ابراهيم هو الامام ابراهيم
ابن يزيد النخعي الكوفي يكنى ابا عمران ثقة من كبار الفقها قال الخزرجي
دخل على عائشة ولم يثبت له سماع منها مات سنة ست وتسعين
وله خمسون سنة او نحوها قوله كانوا يكرهون التمائم الى آخره مراده
اصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والاسود وابي وايل والحارث
ابن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خثيم وسويد
ابن غفلة وغيرهم وهم من سادات التابعين وهذه الصيغة
يستعملها ابراهيم في حكاية اقوالهم كما بين ذلك الحفاظ كالعراقي
وغيره قوله باب
كبقعة وقبر وذلك اي فهو مشرك قوله
والعزى ومنات الثالثة الاخرى اي
لقريش وبني كنانة ومنات لبني هلال وقال ابن هشام كانت

وخزاعة

وخزاعة فاما اللات فقرأ الجمهور بتخفيف التا وقرأ ابن عباس
وابن الزبير ومجاهد وحميد وابو صالح ورويس عن يعقوب
بتشديد التا فعلى الاولى قال الاعمش سموا اللات من الاله و
العزى من العزيز قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها
من اسم الله تعالى فقالوا اللات مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم
علوا كبيرا قال وكذا العزى من العزيز وقال ابن كثير اللات
كانت صخرة بيضا منقوشة عليها بيت بالطايف له استار و
سدنة وحوله فنا معظم عند اهل الطايف وهم ثقيف ومن
تابعها يفتخرون به على من عداهم من احياء العرب بعد قريش
قال ابن هشام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة
فهدمها وحرقها بالنار وعلى الثانية قال ابن عباس كان
رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره ذكره البخاري
قال ابن عباس كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويسلونه عليها
فلما مات ذلك الرجل عبدت تقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب
السويق وعن مجاهد نحوه وقال فلما مات عبدوه رواه سعيد
ابن منصور وكذا روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس انهم عبدوه ونحو هذا
قال جماعة من اهل العلم قلت لا منافات بين القولين فانهم عبدوا
الصخرة والقبر تالها وتعظيما ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب
على القبور واتخذت اوثانا واما العزى فقال ابن جرير كانت
شجرة عليها بناء واستار بنخلة بين مكة والطايف كانت قريش
يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم احد لنا العزى ولا عزى لكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى
النسائي وابن مردويه عن ابي الطفيل قال لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها
العزى وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم
البيت الذي كان عليها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
فانك لم تصنع شيئا فرجع خالد فاذا امرة عريانة ناشرة

شعرها تحفن التراب على رأسها فعمتها بالسيف حتى قتلها ثم رجع
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى قال ابو صالح
كانوا يعلقون عليها السيور والعهن رواه عبد بن حميد وابن جرير
قلت وهل هذا وما هو اعظم منه يقع في هذه الازمنة عند
ضرائح الاموات وفي المشاهد واما صنات فكانت بالمشلل عند
قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوس والخزرج يعظمونها
ويهلون منها للحج واصل اشتقاقها من اسم المنان وقيل لكثرة ما
يمنى اي يراق عندها من الدماء للتبرك بها قال البخاري رحمه الله
في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها صنم بين مكة والمدينة
قال ابن هشام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها وعلم
الفتح وقال العماد بن كثير فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد في غزوة بني المصطلق فكسرها وفي الاية حذف تقديره افرايتم
هذه الالهة انفعت او ضرت حتى تكون شركاء لله وقوله
وله الانثى قال ابن كثير تجعلون له ولدا وتجعلونه ولده انثى
وتختارون الذكور قوله تلك اذا قسمة ضيزى اي جور وباطلة
فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين
كانت جورا وسفها فتنزهون انفسكم عن الاناث وتجعلونهن
لله تعالى الله وقوله ان هي الا اسماء سميتموها انتم وابآؤكم ما انزل
تلقاء انفسكم من ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس اي ليس لهم مستند الا حسن ظنهم بآبائهم الذين
سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم والا حظ انفسهم في رياستهم
وتعظيم آبائهم الاقدمين قوله
ولقد جاءهم من ربهم الهدى قال ابن كثير
ولقد ارسل الله اليهم الرسل تاتي بالحق المنير والحجة القاطعة ومع
هذا ما اتبعوا ما جاؤهم به ولا انقادوا له ومطابقة الآية للترجمة
من جهة ان عباد الصور هذه الاوثان انما كانوا يعتقدون
حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة والاعتماد
عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها
وغير ذلك

وغير ذلك من التبرك بصور الصالحين كاللات وبالاشجار والاحجار
كالعزى ومنات فهذه جملة من فعل اولئك المشركين مع تلك
الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر او حجر او شجر فقد
ضاهى عباد هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا
الشرك على ان الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم اعظم
مما وقع من اولئك فالله المستعان قوله

ابو واقد اسمه الحارث بن عوف وفي الباب عن ابي
سعيد وابي هريرة قاله الترمذي وقد رواه احمد وابو يعلى وابن ابي
شيبة والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني بنحوه
قوله عن ابي واقد تقدم اسمه في قول الترمذي وهو صحابي مشهور
مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة قوله خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وفي حديث عمرو بن عوف
وهو عند ابن ابي حاتم وابن مردويه والطبراني قال غزونا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ونحن الف ونيف حتى اذا كنا بحنين
والطائف الحديث قوله ونحن حدثاء عهد بكفر اي قريبو عهد بنا
لكفر ففيه دليل ان غيرهم ممن تقدم اسلامه من الصحابة لا يجهل هذا
وان المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن ان يكون في قلبه
بقية من تلك العادة ذكره المصنف قوله

العكوف هو الاقامة على الشيء في المكان ومنه قول الخليل عليه السلام
ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون وكان عكوف المشركين عند تلك
السدرة تبركا بها وتعظيما لها وفي حديث عمر وكان بناط بها السلاح
فسميت ذات انواط وكانت تعبد من دون الله قوله ويهوون
بها سلتهم اي يعلقونها عليها للبركة قلت ففي هذا بيان ان جعلهم
لها التعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الامور الثلاثة عبدت الاشجار
ونحوها قوله

قال ابو السعادات
سئلوه ان يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك وانواط جمع نوط وهو مصدر

سمي به المنوط ظنوا ان هذا امر محبوب عند الله وقصدوا التقرب
به والافهم اجل من ان يقصدوا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم قوله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر وفي رواية سبحان الله و
للزاد تعظيم الله وتنزيهه عن الشرك باي نوع كان مما لا يجوز ان
يطلب او يقصد به الا الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل التكبير
والتسبيح في حال التعجب تعظيما لله وتنزيها له اذا سمع من احد
ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية والالهية قوله انها السنن
بضم السين اي الطرق قوله قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو
اسرائيل لموسى اجعل لنا الها شبه مقالتهم هذه بقول بني اسرائيل
بجامع ان كلا طلب ان يجعل له ما يالهه ويعبده من دون
الله وان اختلفا اللفظان فالمعنى واحد فتغيير الاسم لا يغير
الحقيقة ففيه الخوف من الشرك وان الانسان قد يستحسن شيئا
يظنه يقربه الى الله وهو ابعد ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه
ولا يعرف هذا على الحقيقة الا من عرف ما وقع في هذه الازمان
من كثير من العلماء والعباد مع ارباب القبور من الغلو فيها و
صرف جل العبادة لها ويحسبونه انهم على شيء وهو الذنب الذي
لا يغفره الله قال الحافظ ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل الشافعي
المعروف بابي شامة في كتاب البدع والحوادث ومن هذا القسم ايضا
ما قد عم الابتلى به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان
والعمد وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك انه
راى في منامه بها احد ممن اشتهر بالصلاح والولاية فيفعلونه
ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه ويظنون انهم
متقربون بذلك ثم تجاوزوا هذا الى ان يعظموا وقع تلك
الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفا لمرضاهم وقضى
حوائجهم بالنذر لها وهي من عيدان وشجر وحائط وحجر وفي
مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحجى خارج باب
توما والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة الملعونة خارج

الله ﷺ

باب

باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من اصلها
فما اشبهها بذات انواط الواردة في الحديث انتهى وذكر ابن القيم
نحو ما ذكره ابو شامة ثم قال فما اسرع اهل الشرك الى اتخاذ
الاوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون ان هذا
هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر اي تقبل
العبادة من دون الله فان النذر عبادة وقربة يتقرب بها
الناذر الى المنذور له وسيأتي ما يتعلق بهذا الباب عند قوله
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وفي هذه الجملة من الفوائد ان
ما يفعله من يعتقد في الاشجار والقبور والاحجار من التبرك بها
والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك ولا يغتر بالعوام و
الطغام ولا يستبعد كون الشرك يقع في هذه الامة فاذا كان
بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنا وطلبوه من النبي صلى الله عليه وسلم
حتى بين لهم ان ذلك كقول بني اسرائيل اجعل لنا الها فكيف لا
يخفى على من هو دونهم في العلم والفضل باضعاف مضاعفة مع غلبة
الجهل وبعد العهد بآثار النبوة بل خفي عليهم عظائم الشرك في الالهية
والربوبية فاكثروا فعله واتخذوه قربة وفيها ان الاعتبار
في الاحكام بالمعنى لا بالاسماء ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلبتم
كطلبة بني اسرائيل ولم يلتفت الى كونهم سموها ذات انواط
فالمشرك وان سمى شركه ما سماه كمن يسمي دعاء الاموات
والذبح لهم والنذر ونحو ذلك تعظيما ومحبة فان ذلك
هو الشرك وان سماه ما سماه وفي هذا ذلك قوله لتتبعن سنن من كان قبلكم بضم الموحدة وضم السين اي طرقهم
ومناهجهم وقد يجوز فتح السين على الافراد اي طريقهم وهذا خبر
صحيح والواقع من كثير من هذه الامة يشهد له وفيه علم
من اعلام النبوة من حيث انه وقع كما اخبر صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث النهي عن التشبه باهل الجاهلية واهل الكتاب
فيما كانوا يفعلونه الا ما دل الدليل على انه من شريعة محمد صلى الله عليه

قال المصنف وفيه التنبيه على مسائل القبر اما من ربك فواضح
واما من نبيك فمن اخباره بانباء الغيب واما ما دينك فمن
قولهم اجعل لنا الى آخره وفيه ان الشرك لابد ان يقع في هذه
الامة خلافا لمن ادعى خلاف ذلك وفيه الغضب عند
التعليم وان ما دم الله نبه اليهود والنصارى فانه لنا انحذره
قال المصنف واما ما ادعاه بعض المتاخرين من انه يجوز التبرك
باثار الصالحين فممنوع من وجوه منها ان السابقين الاولين
من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي صلى
الله عليه وسلم لا في حياته ولا بعد موته ولو كان خيرا لسبقونا اليه
وافضل الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وقد شهد لهم النبي صلى
الله عليه وسلم فيمن شهد له بالجنة وما فعله احد من الصحابة والتابعين
مع احد من هؤلاء السادة ولا فعله التابعون مع اعظم ساداتهم
في العلم والدين وهم الاسوة فلا يجوز ان يقاس على رسول الله صلى الله
عليه وسلم احد من الامة وللنبي صلى الله عليه وسلم خصائص كثيرة لا يصلح
ان يشاركه فيها غيره ومنها ان المنع من ذلك سد الذريعة
الشرك كما لا يخفى والله اعلم قوله باب ما جاء في الذبح لغير
اي من الوعيد وانه شرك بالله تعالى قوله وقول الله تعالى قل ان صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له الآية قال ابن كثير رحمه الله
يأمره تعالى ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له
اي انه اخلص لله صلاته ونسكه وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام
ويذبحون لها فامره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه و
الاقبال بالقصد والنية والجزم على الاخلاص لله تعالى قال مجاهد
النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد
ابن جبير ونسكي ذبحي وكذا قال الضحاك وقال غيره ومحياي
ومماتي اي ما آتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح
لله رب العالمين خالصا لوجهه لا شريك له وبذلك الاخلاص
امرت وانا اول المسلمين اي من هذه الامة قال ابن كثير وهو كما

قال فان جميع الانبياء قبله كلهم كانت دعوتهم الى الاسلام وهو عبادة
الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وذكر ايات في هذا المعنى
ووجه مطابقة الآية للترجمة ان الله تعالى انما تعبد عباده بان
يتقربوا اليه بالنسك كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من انواع العبادات
فان الله تعالى امرهم ان يخلصوا جميع انواع العبادة له دون
كل ما سواه فاذا تقرب الى غير الله بالذبح وغيره من انواع
العبادة فقد جعل لله شريكا في عبادته وهو ظاهر في قوله لا
شريك له نفيا ان يكون لله شريك في هذه العبادات وهو بجعل الله
واضح وقوله فصل لربك وانحر قال شيخ الاسلام امره ان يجمع بين
هذين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتوضع
والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمانينة القلب الى
الله والزعدته عكس حال الكبر والنفرة واهل الغنى عن الله الذين
لا حاجة لهم في صلاتهم الى ربهم والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر
ولهذا جمع بينهما في قوله قل ان صلاتي ونسكي الآية والنسك والذبيحة
لله تعالى ابتغاء وجهه فانهما اجل ما يتقرب به الى الله تعالى فانه
اتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لان فعل ذلك سبب للقيام
بشكر ما اعطاه الله من الكوثر واجل العبادات البدنية الصلاة
واجل العبادات المالية النحر وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع
له في غيرها كما عرفه ارباب القلوب الحية وما يجتمع له في النحر
اذا قارنه الايمان والاخلاص من قوة اليقين وحسن الظن امر
عجيب وكان صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة كثير النحر انتهى قلت
وقد تضمنت الصلاة من انواع العبادة كثيرا من ذلك الدعاء
والتكبير والتسبيح والقراءة والتسميع والثنا والقيام والركوع
والسجود والاعتدال واقامة الوجه لله والاقبال عليه بالقلب
وغير ذلك مما هو مشروع في الصلاة وكل هذه الامور من انواع
العبادة التي لا يجوز ان يصرف منها شيء لغيره وكذلك النسك

يتضمن امورا من العبادة كما تقدم في كلام شيخ الاسلام قوله
وعن علي بن ابي طالب رضي الله قال حدثني رسول الله صلى الله
كلمات لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله من
اوى محدثا لعن الله من غير منار الارض رواه مسلم من طرق وفيه
قصة ورواه الامام احمد كذلك عن ابي الطفيل قال قلنا لعلي
اخبرنا بشيء اسره اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
اسر الي شيئا كتمه الناس ولكن سمعته يقول لعن الله من
ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من لعن
والديه ولعن الله من غير تخوم الارض يعني المنار وعلي ابن ابي طالب
هو الامام ابو الحسن الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته
فاطمة الزهراء كان من السابقين الاولين ومن اهل بدر وبيعة
الرضوان واحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين
ومناقبه مشهورة رضي الله عنه قتله بن ملجم الخارجي في رمضان
سنة اربعين قوله لعن الله قالوا اللعنة البعد عن مضان الرحمة
ومواطنها قيل واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة او دعي
عليه بها قال ابو السعادات اصل اللعن الطرد والابعاد من الله
ومن الخلق السب والدعاء قال شيخ الاسلام معناه ان الله تعالى
يلعن من استحق اللعنة بالقول كما يصلي على من استحق الصلاة من
عباده قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الى قوله ملعونين
والقرآن كلامه تعالى اوحاه الى جبريل عليه السلام وبلغه رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم وجبريل سمعه منه كما سيأتي فالصلاة ثناء
الله تعالى كما تقدم فالله تعالى هو المصلي وهو المثني كما دل على ذلك
الكتاب والسنة وعليه سلف الامة قال الامام احمد لم يزل الله
متكلما اذا شاء قوله من ذبح لغير الله قال شيخ الاسلام قوله
تعالى وما اهل به لغير الله ظاهره انه ما ذبح لغير الله مثل ان
يقال هذا ذبيحة لكذا واذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ
به اولم يلفظ وتحريم هذا اظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال في

باسم المسيح

باسم المسيح ونحوه كما ان ما ذبحناه متقربين به الى الله كان ازكى
واعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه بسم الله فاذا حرم ما قيل فيه
بسم المسيح او الزهرة فلان يحرم ما قيل لاجل المسيح او الزهرة
او قصد به ذلك اولى فان العبادة لغير الله اعظم كفرا من الاستعانة
بغير وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا اليه لحرم وان قال فيه
باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة الذين ينتقلون
يتقربون الى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وان كان من لا
مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان احدهما
انه مما اهل لغير الله به والثاني انها ذبيحة مرتد ومن هذا
الباب ما يفعله كما هلوه بمكة من الذبح للجن ولهذا روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبائح الجن انتهى قال الزمخشري
كانوا اذا اشتروا دارا او بنوها او استخرجوا عينا ذبحوا ذبيحة
خوفا ان تحبهم الجن فاضيفت اليهم الذبائح لذلك وذكر ابراهيم
المروزي ان ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل
بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله قوله لعن الله من لعن
والديه يعني اباه وامه وان عليا وفي الصحيح ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله
وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه و
يسب امه فيسب امه قوله لعن الله من اوى محدثا هو بفتح الهمزة
ممدودة اي ضمه اليه وحماه قال ابو السعادات اويت الى
المنزل واويت غيري واويته وانكر بعضهم المقصور المتعدي
واما محدثا فقال ابو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها
على الفاعل والمفعول فبكسرها من نصر جانيا او آواه واجاره
من خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه والفتح هو الامر المبتدع
نفسه ويكون معنى الايواء فيه الرضى به والصبر عليه فانه اذا
رضي بالبدعة واقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد اواه قال ابن القيم
رحمه الله هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف المحدث بنفسه فقد

فيه ص
نة

وقال الازهري

وكل ما كان الحدث في نفسه اكبر كانت الكبيرة اعظم ولهذا لعن الله من
غير منار الارض بفتح الميم علامات حدودها قال في النهاية اي
معالمها وحدودها واحدها نخم قيل اراد حدود الحرم خاصة
وقيل هو عام في جميع الارض واراد بالمعالم التي يهتدى بها في
الطريق وقيل هو ان يدخل الرجل في ملك غيره فيقطعه ظلما كذا
وروي نخوم بفتح التا على الافراد وجمعه نخم بضم التا والخا
انتهى وتغييرها ان يقدمها او يؤخرها فيكون هذا من ظلم الارض
الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من الارض طوقه
يوم القيمة من سبع ارضين ففيه جواز لعن اهل الظلم
من غير تعيين واما لعن الفاسق المعين ففيه قولان احدهما
انه جايز اختاره ابن الجوزي وغيره والثاني لا يجوز اختاره
ابو بكر عبد العزيز وشيخ الاسلام وقال النووي رحمه الله
اتفق العلما على تحريم اللعن فانه في اللغة الابعاد والطرد وفي
الشرع الابعاد من رحمة الله فلا يجوز ان يبعد من رحمة الله من
يعرف حاله وخاتمة امره معرفة قطعية فلهذا قالوا لا يجوز لعن
احد بعينه مسلما كان او كافرا او دابة الا من علمنا بنص شرعي
انه مات على الكفر او يموت عليه كابي جهل وابليس واما اللعن بالوصف
فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة
وآكل الربا وموكله والمصورين والظلمين والفاسقين والكافرين
ولعن من غير منار الارض ومن تولى غير موالية ومن انتسب
الى غير ابيه ومن احدث في الاسلام حدثا او آوى محدثا او غير
ذلك مما جاءت النصوص الشرعية باطلاقه على الاوصاف لا
على الاعيان والله اعلم قوله وعن طارق بن شهاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قال ابن القيم رحمه الله
قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة
عن طارق بن شهاب يرفعه قال دخل الجنة رجل في ذباب الحديث
وطارق بن شهاب هو البجلي الاحمسي ابو عبد الله راى النبي صلى الله عليه وسلم

(وهو رجل)

وهو رجل قال البغوي ونزل الكوفة وقال ابو داود رأى
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا قال الحافظ اذا ثبت
انه لقي النبي صلى الله عليه وسلم فهو صحابي واذا ثبت انه لم يسمع منه
فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح وكانت وفاته
على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين قوله دخل الجنة
رجل في ذباب اي من اجله لات في تاتي للتعليل قوله قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله كانهم تعجبوا من ذلك فبين لهم
النبي صلى الله عليه وسلم ما صير هذا الامر الحقير عندهم عظيما يستحق
هذا عليه الجنة ويستوجب الآخر عليه النار قوله فقال مر رجلان
على قوم لهم صنم الصنم ما كان منحوتا على صورة قوله لا
يجاوزه اي لا يمر به ولا يتعداه احد حتى يقرب له شيئا وان
قل قوله قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار
في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل وانه يوجب النار
كما قال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ووأه النار
وفي الحديث الحذر من الوقوع في الشرك وان الانسان قد يقع
فيه وهو لا يدري انه من الشرك الذي يوجب النار وفيه انه
دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء وانما فعله تخلصا من شر
اهل الصنم وفيه ان ذلك الرجل كان مسلما قبل ذلك ولا
فلو لم يكن مسلما لم يقل دخل النار في ذباب وفيه ان عمل القلب
هو المقصود الاعظم حتى عند عبدة الاوثان ذكره المصنف
بمعناه وقالوا للآخر قرب قال ما كنت لاقرب لاحد شيئا
دون الله عز وجل ففيه بيان فضيلة التوحيد والاخلاص
والصلابة في الدين وفيه معنى قوله في الحديث وان يكره ان
يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في
النار قال المصنف وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب
المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم مع كونهم لم يطلبوا منه
الا العمل الظاهر قوله

لا نافية ويحتمل انها للنهي وهو اظهر قوله و[illegible]
ابدا الآية قال المفسرون ان الله نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
في مسجد الضرار وامته تبع له في ذلك ثم انه تعالى حثه على الصلاة
في مسجد قبا الذي اسس من اول يوم بني على التقوى وهي
طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجمعا لكلمة المؤمنين
ومعقلا ومنزلا للاسلام واهله ولهذا جاء في الحديث الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجد قبا كعمرة وفي
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قبا راكبا و
ماشيا وقد صرح ان المسجد المذكور في الآية هو مسجد قبا
جماعة من السلف منهم ابن عباس وعروة وعطية والشعبي و
الحسن وغيرهم قلت ويؤيده قوله رجال يحبون ان يتطهروا
الآية وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث ابي
سعيد قال تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى من اول
يوم فقال رجل هو مسجد قبا وقال الآخر هو مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدي
هذا رواه مسلم وهو قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم
قال ابن كثير وهذا صحيح ولا منافات بين الآية والحديث
لانه اذا كان مسجد قبا قد اسس على التقوى من اول يوم فمسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى وهذا بخلاف مسجد الضرار
الذي اسس على معصية الله كما قال تعالى والذين اتخذوا مسجدا
ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله
ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد
انهم لكاذبون فلهذه الامور نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم
عن القيام فيه للصلاة وكان الذين بنوه جاؤا الى النبي صلى الله
عليه وسلم قبل خروجه الى غزوة تبوك فسألوه ان يصلي
فيه وانهم انما بنوه للضعفاء واهل العلة في الليلة الشاتية
فقال انا على سفر ولكن اذا رجعنا انشاء الله فلما قفل عليه السلام

راجعا

راجعا الى المدينة ولم يبق بينه وبينها الا يوم او بعضه نزل الوحي
بخبر المسجد فبعث اليه فهدمه قبل قدومه الى المدينة ووجه
مناسبة الآية للترجمة ان المواضع المعدة للذبح لغير الله
يجب اجتناب الذبح فيها لله كما ان هذا المسجد لما اعد للمعصية
صار محل غضب لاجل ذلك فلا تجوز الصلاة فيه لله وهذا ايما
صحيح يؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي قوله فيه رجال
يحبون ان يتطهروا روى الامام احمد وابن خزيمة وغيرهما عن عويم
ابن ساعدة الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم في مسجد قبا
فقال ان الله قد احسن عليكم الثناء بالطهور في قصة مسجدكم فما
هذا الطهور الذي تتطهرون به فقالوا والله يا رسول الله ما نعلم
شيئا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم
من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي رواية عن جابر وانس هو
ذاك فعليكموه رواه ابن ماجة وابو حاتم والدارقطني والحاكم
قوله والله يحب المطهرين قال ابو العالية ان الطهور بالماء
لحسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب وفيه صفة المحبة
خلافا للاشاعرة ونحوهم قوله وعن ثابت بن الضحاك قال
نذر رجل ان ينحر ابلا ببوانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رواه ابو داود واسناده على شرطهما قوله عن ثابت بن الضحاك
ابي ابن خليفة الاشهلي صحابي مشهور روى عنه ابو قلابة وغيره
ومات سنة اربع وستين قوله ببوانة بضم الباء وقيل
بفتحها قال البغوي موضع في اسفل مكة دون يلملم قال
ابو السعادات هضبة من وراء ينبع نحوه فهل كان فيها وثن
من اوثان الجاهلية يعبد قالوا فيه المنع من الوفاء بالنذر اذا
كان في المكان وثن ولو بعد زواله قاله المصنف رحمه الله نحوه
فهل كان فيها عيد من اعيادهم قال شيخ الاسلام العيد اسم
لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد اما بعود
السنة او بعود الاسبوع والشهر ونحو ذلك والمراد بهنا

س

الاجتماع المعتاد من اجتماع الجاهلية فالعيد يجمع امورا منها
يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه و
منها اعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات وقد
يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقا وكل من هذه الثلاثة
قد يسمى عيدا فالزمان كقول النبي صلى الله عليه وسلم في يوم
الجمعة ان هذا يوم قد جعله الله للمسلمين عيدا والاجتماع و
الاعمال كقول ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمكان كقوله لا تتخذوا قبري عيدا وقد يكون لفظ العيد اسما
لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي صلى الله عليه وسلم
دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا انتهى قال المصنف وفيه
استفصال المفتي والمنع من الوفا بالنذر بمكان عيد الجاهلية
ولو بعد زواله قلت وفيه سد الذريعة وترك مشابهة
المشركين والمنع من الوسيلة الى ذلك قوله فاوف بنذرك هذا
يدل على ان الذبح نفس المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره
او في محل اعيادهم معصية لان قوله فاوف بنذرك تعقيب
للوصف بالحكم بالوفاء وذلك يدل على ان الوصف سبب الحكم
فيكون سبب الامر بالوفا خلوه عن هذين الوصفين فلما قالوا
لا قال فاوف بنذرك وهذا يقتضي ان كون البقعة مكانا
لعيدهم او بها وثن من اوثانهم مانع من الذبح بها وان نذره
قاله شيخ الاسلام قوله فانه لا وفاء لنذر في معصية الله دليل
على انه هذا نذر معصية لو قد جد في المكان بعض الموانع وهما
كان من نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به باجماع العلماء واختلفوا
هل تجب فيه كفارة يمين على قولين هما روايتان عن احمد اصحهما
تجب وهو المذهب وروي عن ابن مسعود وابن عباس وبه قال
ابو حنيفة واصحابه لحديث عائشة مرفوعا لا نذر في معصية
وكفارته كفارة يمين رواه احمد واهل السنن واحتج به احمد و
اسحق الثاني لا كفارة عليه وروي ذلك عن مسروق والشعبي والنخعي

لحديث

خ مما هو وسيلة

و لو

لحديث الباب ولم يذكر فيه كفارة وجوابه انه ذكر الكفارة في الحديث
المتقدم والمطلق يحمل على المقيد قوله ولا فيما لا يملك ابن آدم قال
في شرح المصابيح يعني اذا اضاف النذر الى معين لا يملكه بان قال
ان شفى الله مريضي فلله علي ان اعتق عبد فلان ونحو ذلك
فاما اذا التزم في ذمته شيئا بان قال ان شفى الله مريضي
فلله علي ان اعتق رقبة وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها
فاذا شفي مريضه ثبت ذلك في ذمته رواه ابو داود وكذا ٥٥
على شرطهما اي البخاري ومسلم وابو داود اسمه سليمان ابن الاشعث
ابن اسحق ابن بشير ابن شداد الازدي السجستاني صاحب السنن
احمد ومصنف السنن والمراسيل وغيرها ثقة امام حافظ
من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين ومائتين قوله
باب من النذر لغير الله من اي لكونه عبادة
يجب الوفا به اذا نذره لله فيكون النذر لغير الله شركا في
العبادة وقوله لقول الله تعالى يوفون بالنذر الآية فالآية دلت على
وجوب الوفاء بالنذر ومدح من فعل ذلك طاعة لله تعالى ووفاء
بما تقرب به اليه وهو ما فيه نفقة او مشقة من نذر
فان الله يعلمه قال ابن كثير يخبر تعالى انه عالم بجميع ما
يعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاتهم
على ذلك اوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه اذا علمت ذلك فهذه
النذور الواقعة من عباد القبور تقربا بها اليهم ليقضوا لهم حوائجهم او
ليشفعوا لهم وهذا شرك في العبادة بلا ريب كما قال تعالى وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم و
هذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون قال شيخ الاسلام وامثالها
نذر لغير الله كالنذر للاصنام والشمس والقمر والقبور ونحو
ذلك فهو بمنزلة ان يحلف بغير الله من المخلوقات والحالف بالمخلوق
لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات فان كلا هما شرك

والشرك بل ليس له حرمة بل عليه ان يستغفر الله من هذا ويقول ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم من حلف باللات والعزى فليقل لا اله الا الله و
قال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنا لتنور به ويقول انها تقبل
النذر كما يقوله بعض الضالين وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين
لا يجوز الوفاء به وكذلك اذا نذر مالا للسدنة او المجاورين العاكفين
بتلك البقعة فان فيهم شبها من السدنة التي كانت عند اللات والعزى
ومنات يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله و
المجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام ما
هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون والذين اجتازوا بهم موسى عليه السلام
وقومه قالوا يا موسى اجعل لنا ايها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
على اصنام لهم فالنذر لاولئك السدنة والمجاورين في هذه
البقاع نذر معصية وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان
والمجاورين عندها ولسدنة الابداد التي في الهند والمجاورين
عندها وقال الرافعي في شرح المنهاج واما النذر للمشاهد
التي على قبور ولي او شيخ او على اسم من حلها من الاولياء او يقيد
في تلك البقعة من الاولياء والصالحين فان قصد الناذر بذلك
وهو الغالب والواقع من قصود العامة تعظيم البقعة او
المشهد او الزاوية او تعظيم من دفن بها او نسبت اليه او بنيت
على اسم هذا النذر باطل غير منعقد فان معتقدهم ان لهذه
الاماكن خصوصيات ويرون انها مما يدفع به البلاء ويستجلب
به النعماء ويستشفى بالنذر لها من الادواء حتى انهم ينذرون
لبعض الاحجار لما قيل انه استند اليها عبد صالح وينذرون
لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون القبر الفلاني
او المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك انه يحصل به الغرض
المأمول من شفاء مريض او قدوم غائب وسلامة مال وغير
ذلك من انواع نذور المجازات فهذا النذر على هذا الوجه باطل
لاشك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا

من ذلك

من ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام
ولقبر غيره من الانبياء والاولياء فان الناذر لا يقصد بذلك الا ايقاد على
القبر تبركا وتعظيما ظانا ان ذلك قربة فهذا مما لا ريب في بطلانه و
الايقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع اما لا وقال الشيخ
قاسم الحنفي في شرح درر البحار النذر الذي ينذره اكثر العوام على ما هو
مشاهد كان يكون لانسان غائب او مريض او له حاجة فيأتي الى بعض
الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول يا سيدي فلان ان رد الله
غائبي او عوفي مريضي او قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا او من
الفضة او من الطعام كذا او من الماء كذا او من الشمع او الزيت كذا
فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه منها انه نذر لمخلوق والنذر
للمخلوق لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها ان
المنذور له ميت والميت لا يملك ومنها انه ظن ان الميت يتصرف
في الامور دون الله واعتقاد ذلك كفر الى ان قال اذا علمت
هذا فيؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل الى
ضرائح الاولياء تقربا اليهم فحرام باجماع المسلمين نقله عنه ابن
نجيم في البحر الرائق ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد
وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي وقال الشيخ صنع الله
الحلبي الحنفي في الرد على من اجاز الذبح والنذر للاولياء هذا الذبح
والنذر ان كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلا وفي
التنزيل ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قل ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له والنذر لغير الله اشراك مع
الله كالذبح لغيره قوله وفي صحيح عن عائشة ان رسول الله
قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله
يعصه ش قوله في الصحيح اي صحيح البخاري وقوله عن عائشة هي ام المؤ
منين
زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابنة الصديق رضي الله عنهما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم
وهي ابنة سبع سنين ودخل بها وهي ابنة تسع سنين وهي افقه
النساء مطلقا وافضل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم الاخذ بجمة تحيتهما

خلفا ما تت سنة سبع وخمسين على الصحيح قوله من نذر ان يطيع الله
فليطعه اي فليفعل ما نذره من طاعة الله وقد اجمع العلماء
على ان من نذر طاعة بشرط يرجوه كان شفى الله مريضي فعلي
ان اتصدق بكذا ونحو ذلك وجب عليه ان حصل له ما علق
نذره به على حصوله وهو قول جمهور العلماء وحكى عن ابي حنيفة
انه لا يلزمه الوفا الا بما جنسه واجب باصل الشرع كالصوم
واما ما ليس كذلك كالاعتكاف فلا يجب عليه الوفا به قوله
ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه زاد الطحاوي وليكفر عن
يمينه وقد اجمع العلماء على انه لا يجوز الوفا بنذر المعصية قال
الحافظ اتفقوا على تحريم النذر في المعصية وتنازعوا هل ينعقد
موجبا للكفارة ام لا وتقدم وقد يستدل بالحديث على صحة
النذر في المباح كما هو مذهب احمد وغيره يؤيده ما رواه
ابو داود عن عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده واحمد والترمذي
عن بريدة ان امرأة قالت يا رسول الله اني نذرت ان اضرب
على راسك بالدف فقال اوفي بنذرك واما نذر اللجاج و
الغضب فهو يمين عند احمد فيخير بين فعل وكفارة يمين لحديث
عمران ابن حصين مرفوعا لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين
رواه سعيد واحمد والنسائي فان نذر مكروها كالطلاق الله
استحب ان يكفر ولا يفعله قوله باب ما جاء في الشرك الاستعاذة بغير
الاستعاذة الالتجا والاعتصام فلهذا يسمى المستعاذ به معاذا
وملجاء فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه او يهلكه الى ربه و
مالكه واعتصم واستجار به والتجا اليه وهذا تمثيل والا فما يقوم
بالقلب من الالتجا الى الله والاعتصام به والاطراح بين يديه
الرب والافتقار اليه والتذلل امر لا تحيط به العبارة قال
ابن القيم رحمه الله تعالى وقال غيره كثير الاستعاذة هي
الالتجا الى الله والانضواء بجنابه من شر كل ذي شر والعياذ
يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير انتهى قلت وهي من العبادات

التي

امر الله بها عباده كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله انه سميع عليم وامثال ذلك في القرآن كثير كقوله
قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فمن صرف شيئا من هذه
العبادات لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبادته ونازع
الرب في الهيته كان من صلى لله وصلى لغيره يكون
عابدا لغير الله ولا فرق كما سيأتي تقريره قريبا انشاء الله
قوله وقول الله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى بواد قفر وخاف على
نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبيرهم
قال مجاهد كانوا اذا هبطوا واديا يقولون نعوذ بعظيم هذا
الوادي فزادوهم رهقا قال زادوا الكفار طغيانا بما رأوا عبد
ابن حميد وابن المنذر وقال ابن كثير لما رات الجن ان الانس
يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا اي خوفا وارهابا
وذعرا حتى يبقوا اشد منهم مخافة واكثر تعوذا بهم كما قال
قتادة كان الرجل يجرح باهله فيأتي الارض فينزلها فيقول
اعوذ بسيد هذا الوادي من الجن ان اضر فيه او مالي او ولدي
او ماشيتي قال فاذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الاذى
عند ذلك وذكر عن ابن ابي حاتم بسند الى عكرمة نحو ذلك
وقد اجمع العلماء على انه لا يجوز الاستعاذة بغير الله وقال ملا
علي قاري الحنفي لا يجوز الاستعاذة بالجن فقد ذم الله الكافرين
على ذلك وذكر الآية وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن
قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض الآية فاستمتاع الانسي بالجني في قضاء حوائجه
وامتثال اوامره واخباره بشيء من المغيبات واستمتاع الجني
بالانسي تعظيمه اياه واستعاذته به وخضوعه له انتهى ملخصا
قال المصنف وفيه ان كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا
يدل على انه ليس من الشرك قوله وعن خولة بنت [illegible] وان

فزادوهم رهقا

سمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات من

من منزله ذلك

شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك قال القرطبي هذا خبر صحيح وقول صادق عملنا صدقه دليلا وتجربة فاني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء الى ان تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت في نفسي فاذا بي قد نسيت ان اتعوذ بتلك الكلمات قوله باب ضم الشرك ان يستغيث بغير الله او يدعو غيره قال شيخ الاسلام الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون وقال غيره الفرق بين الاستغاثة والدعاء ان الاستغاثة لا تكون الا من المكروب والدعاء اعم من ان يكون من المكروب وغيره فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة ويفترقان في ينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة وقوله تعالى وادعوا ربكم تضرعا وخفية اعلم ان الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع او كشف ضر ولهذا انكر الله على من يدعوا احدا من دونه مما لا يملك ضرا ولا نفعا كقوله قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم وقوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله الآية وقال ولا تدع من دون ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين قال شيخ الاسلام فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسئلة متضمن لدعاء العبادة قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء

استغاثة

وليس المراد بها العموم الاطلاقي بل المراد التقييد بالوصفي والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر كل ما خلقه الله فان الجنة والملائكة والنبيا ليس فيهم شر والشر يقال على شيئين على الالم وعلى ما يفضي اليه قوله لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك قال القرطبي هذا خبر صحيح وقول صادق عملنا صدقه دليلا وتجربة فاني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء الى ان تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت في نفسي فاذا بي قد نسيت ان اتعوذ بتلك الكلمات قوله باب ضم الشرك ان يستغيث بغير الله او يدعو غيره قال شيخ الاسلام الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون وقال غيره الفرق بين الاستغاثة والدعاء ان الاستغاثة لا تكون الا من المكروب والدعاء اعم من ان يكون من المكروب وغيره فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة ويفترقان في ينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة وقوله تعالى وادعوا ربكم تضرعا وخفية اعلم ان الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع او كشف ضر ولهذا انكر الله على من يدعوا احدا من دونه مما لا يملك ضرا ولا نفعا كقوله قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم وقوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله الآية وقال ولا تدع من دون ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين قال شيخ الاسلام فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسئلة متضمن لدعاء العبادة قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء

وليس المراد

من شر ما خلق قال ابن القيم اي من كل شر في اي مخلوق قام به الشر من حيوان او غيره انسيا كان او جنيا او هامة او دابة او ريحا او صاعقة اي كان من انواع البلاء في الدنيا والآخرة وما هنا موصولة ليس لا

وتنسون ما تشركون وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
وقال له دعوة الحق الآية وامثال هذا في القرآن فدعاء المسئلة
اكثر من ان يحصر وهو يتضمن دعاء العبادة لان السائل لخلص
سؤاله لله وذلك من افضل العبادات وكذلك الذاكر لله والتالي
لكتابه ونحوه طالب من الله فالمعنى فيكون داعيا عابدا فتبين
بهذا معنى قول شيخ الاسلام ان دعاء العبادة مستلزم لدعاء
المسئلة كما ان دعاء المسئلة متضمن لدعاء العبادة وقد قال
تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله و
ادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله الآية فصار الدعاء من انواع العبادة فان قوله وادعو
ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا كقوله ذكر رحمة ربك عبده
زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل
الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وقد امر الله به في مواضع
من كتابه كقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى قوله وادعوه خوفا
وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهذا هو دعاء المسئلة
المتضمن للعبادة فان الداعي يرغب الى المدعو ويخضع له ويتذلل
وغير ذلك وضابط هذا ان كل امر شرعه الله لعباده وامرهم به
ففعله لله عبادة فاذا صرف من ذلك العبادة شيئا لغير الله فهو
مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله قل الله اعبد
مخلصا له ديني وسيأتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله تعالى قال
شيخ الاسلام في الرسالة السنية فاذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم
ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا
من الاسلام لاسباب منها الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي
ابن ابي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكلم غلى في نبي او رجل صالح
وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني
او اغثني او ارزقني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك

وضلال

وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله سبحانه وتعالى انما ارسل
الرسل وانزل الكتاب ليعبد وحده لا شريك له ولا يدعى معه الها آخر
والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام
لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق او تنزل المطر او تنبت النبات
وانما كانوا يعبدونهم او يعبدون قبورهم او يعبدون صورهم يقولون
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة
ولا دعاء استعانة انتهى وقال ايضا من جعل بينه وبين الله وسائط
يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب الفروع و
صاحب الانصاف وصاحب الاقناع وغيرهم وقال ابن القيم رحمه الله
ومن انواعه اي الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم
والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله
وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا لمن استغاث او سأله
ان يشفع له الى الله وهذا من جهل المشفوع عنده
وسيأتي تتمة كلامه في باب الشفاعة ان شاء الله تعالى وقال الحافظ
محمد ابن عبد الهادي في رده على السبكي في قوله ان المبالغة في تعظيم
ابي الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ان اريد بها المبالغة بحسب ما
يراه كل احد تعظيما حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به
اعتقادا انه يعلم الغيب وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث
به من دون الله الضر والنفع وانه يقضي حوائج السائلين و
يفرج كربات المكروبين وانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من
يشاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ
من جملة الدين وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية قال علماؤنا
من قال ارواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر وقال الشيخ صنع الله
الحلبي الحنفي في كتابه في الرد على من ادعى للاولياء تصرفات في الحياة
وبعد الممات على سبيل الكرامة هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين
المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم

ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهمهم تكشف المهمات فيلتزمون
قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على ان ذلك منهم
كرامات وقالوا منهم ابدال ونقباء واوتاد ونجباء وسبعون وسبعة
واربعون واربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار
بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذور واثبتوا لهم فيها الاجر
قال وهذا كلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب
السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب
العزيز المصدق ومخالف لعقائد الائمة وما اجتمعت عليه الامة
وفي التنزيل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
ثم قال فاما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد
الممات فيرده قوله تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب
ملك السموات والارض ونحوه من الايات الدالة على انه المنفرد
بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه
من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا واحياء و
اماتة وخلقا وتمدح الرب تبارك وتعالى بملكه في ايات من
كتابه كقوله هل من خالق غير الله والذين تدعون من دونه ما
يملكون من قطمير وذكر ايات في هذا المعنى ثم قال فقوله في
الايات كلها من دونه اي من غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقدتم
من ولي وشيطان تستمده فان من لم يقدر على نصر نفسه كيف
يمد غيره الى ان قال فكيف يتصور لغيره من ممكن ان يتصرف
ان هذا القول وخيم وشرك عظيم الى ان قال واما القول با
لتصرف بعد الممات فهو اشنع وابدع من القول بالتصرف في الحياة
قال جل ذكره انك ميت وانهم ميتون والله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
الى اجل مسمى كل نفس ذائقة الموت كل نفس بما كسبت رهينة وفي
الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث الحديث فجميع

ذلك

في اصل
نحوه

ذلك وما هو في معناه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وان
ارواحهم ممسكة وان اعمالهم منقطعة عن زيادة او نقصان فدل
ذلك ان ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره فاذا عجز عن حركة
نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر ان الارواح عنده
وهؤلاء المحرومون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة قل اء تنبئون
الله قال واما اعتقاد ان هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من
المغالطة لان الكرامة شيء من عند الله يكرمهم بها اولياءه لا قصدهم
فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم ابنة عمران وابن ابي
حضير وابي مسلم الخولاني قال واما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد
فهذا اقبح مما قبله وابدع لمصادمته قوله جل ذكره امن يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اء له مع الله قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر وذكر ايات في هذا المعنى ثم قال فانه
جل ذكره قرر انه الكاشف للضر لا غيره وانه المتفرد باجابة المضطر
وانه المستغاث لذلك كله وانه القادر على دفع الضر القادر على
ايصال الخير فهو المنفرد بذلك فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره
من ملك ونبي وولي قال والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة
العادية من الامور الحسية في قتال او ادراك عدو او سبع ونحوه
كقولهم يا لزيد يا للمسلمين بحسب الافعال الظاهرة بالفعل واما
الاستغاثة بالقوة والتاثير او في الامور المعنوية من الشدائد كا
وخوف الفقر والضيق والغرق وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص
الله لا يطلب فيها غيره قال واما كونهم معتقدين التاثير منهم في
قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم
ويستنجدونهم فهذا من المنكرات فمن اعتقد ان لغير الله من نبي
او ولي او روح او غيره ذلك في كشف كربة او قضاء حاجة تاثيرا فقد
وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير واما كونهم
مستدلين على ذلك منهم كرامات فحاشا لله ان تكون اولياء الله
بهذه المثابة فهذا ظن اهل الاوثان كذا اخبر الرحمن هم شفعاؤنا

لغرض

انتهى

عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اتخذ من دونه الهة
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون من
فان ذكر ما ليس من شانه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي
على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره في
خير لا خيره قال واما ما قالوه ان منهم ابدالا وقطبا واوتادا
ونجبا وسبعين وسبعة واربعين واربعة والقطب هو الغوث للناس
في هذا موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث ابو بكر بن العربي في
المريدين وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار والمقصود ان
اهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الامور الشركية التي عمت بها البلوى
واعتقدها اهل الاهواء فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الامور
الشركية لطال الكتاب والتيسير انبل يدرك لكن من اول دليل ورده
قال قولا بلا برهان فقوله ظاهر البطلان مخالف لما عليه اهل الحق
والايمان المتمسكين بمحكم القرآن المستجيبين لداعي الحق والايمان
والله المستعان وعليه التكلان قال وقول الله تعالى ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية قال اي عطية معناه قيل
ولا تدع فهو عطف على اقم وهذا الامر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
اذا كانت هكذا فاحرى ان يتحذر من ذلك غيره والخطاب خرج
مخرج الخصوص وهو عام للامة قال ابو جعفر بن جرير في هذه
الآية يقول تعالى ذكره ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك
شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا
يعني بذلك الالهة يقول لا تعبد هامرجيا نفعها او خائفا ضرها
فانها لا تنفع ولا تضر فان فعلت ذلك فدعوتها من دون الله
فانك اذا من الظالمين يقول من المشركين بالله قلت وهذه
الآية لها نظائر كقوله فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين
وقوله ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ففي الايات بيان
ان كل مدعو يكون الها والالهية حق لله لا يصلح منها شيء لغيره
ولهذا قال لا اله الا هو كما قال تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون

مردود

من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير وهذا هو التوحيد
الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه كما قال تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الآية والدين كله ايمان بان الله به
مع العبادات الباطنة والظاهرة وفسره ابن جرير في تفسيره بالدعاء
وهو فرد من افراد العبادة على عادة السلف في التفسير يفسرون الآية
ببعض افرادها فمن صرف منها شيئا لقبر او صنم او وثن او غير
ذلك فقد اتخذه معبودا وجعله شريكا لله في الالهية التي لا يستحقها
الا هو كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له فانما
حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون فتبين بهذه الآية ونحوها
ان دعوة غير الله كفر وشرك وضلال وغواية وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية
فانه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع والضر والنفع دون
كل ما سواه فيلزم من ذلك ان يكون هو المدعو وحده المعبود
وحده فان العبادة لا تصلح الا لمالك النفع والضر ولا يملك ذلك
ولا شيئا منه غيره فهو المستحق للعبادة وحده دون من لا يضر
ولا ينفع وقوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
الآية وقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية فهذا
ما اخبر الله به في كتابه من تفرده بالالهية والربوبية فاعتقد
عباد القبور والمشاهد نقيض ما اخبر به الله واتخذوهم شركاء لله
في استجلاب المنافع ودفع المكاره بسوء ظنهم والتجائهم اليهم بالرغبة
والرهبة والتضرع وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها الا الله
واتخذوهم شركاء لله في ربوبيته والهيته وهذا فوق شرك العرب
القائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند
الله فان اولئك يدعونهم ليشفعوا لهم ويقربوهم الى الله وكانوا
يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما
ملك وامّا هؤلاء المشركون فاعتقدوا في اهل القبور وفي المشاهد

كفاهم

هذه

ما هو اعظم من ذلك فجعلوا لهم نصيبا من التصرف والتدبير وجعلوهم
معاذا لهم وملاذا في الرغبات والرهبات سبحان الله عما
يشركون وقوله وهو الغفور الرحيم اي لمن تاب اليه قال
وقوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية ثم امر عباده بابتغاء
الرزق عنده وحده دون ما سواه ممن لا يملك لهم رزقا من
السموات والارض شيئا فقدم الظرف بفيد الاختصاص و
قوله واعبدوه من عطف العام على الخاص فان ابتغاء الرزق
عنده من العبادة التي امر بها قال العماد بن كثير فابتغوا
عند الله الرزق اي لا عند غيره لانه المالك له وغيره لا يملك شيئا
من ذلك واعبدوه اي اخلصوا له العبادة وحده لا شريك
له واشكروا له اي على ما انعم عليكم اليه ترجعون اي فيجازي
كل عامل بعمله قال وقوله ومن اضل ممن يدعوا من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيمة الايتين ففي سبحانه ان
يكون احد اضل ممن يدعوا غيره واخبر انه لا يستجيب له
ما طلب منه الى يوم القيمة والاية تعم كل من يدعى من دون
الله كما قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفي هذه الاية اخبر انه لا
يستجيب وانه غافل عن داعيه واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء
وكانوا بعبادتهم كافرين فتناولت الاية كل داع وكل مدعو
من دون الله قال ابو جعفر بن جرير في قوله واذا حشر
الناس كانوا لهم اعداء يقول تعالى ذكره واذا جمع الناس يوم
القيمة في موقف الحساب كانت هذه الالهة التي يدعونها في
الدنيا لهم اعداء لانهم يتبرؤن منهم وكانوا بعبادتهم كافرين
يقول تعالى ذكره وكانت الهتهم التي يعبدونها في الدنيا لعبادتهم
جاحدين لانهم يقولون يوم القيمة ما امرناهم بعبادتنا ولا شعرنا
بعبادتهم ايانا تبرأنا اليك منهم يا ربنا كما قال تعالى ويوم يحشرهم
وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء

ام هم

ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من
دونك من اولياء الاية قال ابن جرير ويوم يحشرهم وما يعبدون
من دون الله من الملائكة والانس والجن وساق باسناده عن مجاهد
قال عيسى وعزير والملائكة ثم قال يقول تعالى ذكره قالت
الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله
وعيسى تنزيها لك يا ربنا ما اضاف اليك هؤلاء المشركون
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء نوالي بهم انت ولينا
من دونهم انتهى قلت وكثر ما يستعمل الدعاء في الكتاب
والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء في
السؤال والطلب كما قال العلماء من اهل اللغة وغيرهم الصلاة
لغة الدعاء وقد قال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم
الاية وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا و
خفية وقال واذا امس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما
وقال واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال لا يسام الانسان
من دعاء الخير الاية وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
وفي حديث انس مرفوعا الدعاء مخ العبادة وفي الحديث الصحيح
ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة وفي آخر من لم يسئل الله
يغضب عليه وحديث ليس شيء اكرم على الله من الدعاء رواه احمد
والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه وقوله الدعا
سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض رواه الحا
وصححه وقوله سلوا الله كل شيء حتى الشسع اذا انقطع لحديث
وقال ابن عباس رضي الله عنهما افضل العبادة الدعاء وقرأ وقال
ربكم ادعوني استجب لكم الاية رواه ابن المنذر والحاكم وصححه و
حديث اللهم اني اسئلك بانك الحد لا اله الا انت المنان الحديث
وحديث اللهم اني اسئلك بانك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا وامثال هذا في الكتاب والسنة

اكثر من ان يحصى في الدعاء الذي هو السؤال والطلب فمن جعل كونه
السؤال والطلب عبادة فقد صادم النصوص وخالف اللغة واستعمال
الامة سلفا وخلفا واما ما تقدم من كلام شيخ الاسلام وتبعه
العلامة ابن القيم من ان الدعاء نوعان دعاء مسئلة ودعاء عبادة
وما ذكر بينهما من التلازم وتضمن احدهما للآخر فذلك باعتبار
كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك وغيره طالبا في
المعنى فيدخل في مسمى الدعا بهذا الاعتبار وقد شرع الله في الصلاة
الشرعية من دعاء المسئلة ما لا تصح الصلاة الا به كما في الفاتحة وبين
السجدتين وفي التشهد وذلك عبادة كالركوع والسجود فتدبر هذا
المقام ليتبين جهل الجاهلين بالتوحيد ومما يبين هذا المقام و
يزيده ايضاحا قول العلامة ابن القيم في معنى قوله تعالى قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن الاية هذا الدعاء المشهور انه دعاء المسئلة قالوا
كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول مرة يا الله ومرة يا رحمن
فظن المشركون انه يدعو الهين فانزل الله هذه ذكره هذا عن ابن
عباس رض وقيل ان الدعا هنا بمعنى التسمية والمعنى ايا ما تسموا
به من اسماء الله تعالى اما الله واما الرحمن فله الاسماء الحسنى و
هذا من لوازم المعنى في الآية وليس هو عين المراد بل المراد بالدعا
معناه المعهود المطرد في القرآن وهو دعاء السؤال ودعاء الثنا
ثم قال اذا عرف هذا فقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
يتناول نوعي الدعا لكنه ظاهر في دعاء المسألة متضمن لدعاء
العبادة ولهذا امر باخفائه قال الحسن بين دعاء السر و
دعاء العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون
في الدعاء ولم يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم
وقوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان يتناول نوعي الدعا وبكل منهما فسرت الاية قيل اعطيه
اذا سالني وقيل اثيبه اذا دعاني وليس هذا من استعمال اللفظ في
حقيقته الواحدة المتضمنة للامرين جميعا وهذا باب في مسئلة

الصلاة

وبهذا يعلم ان هذا استعمال في حقيقته

الصلاة وانها نقلت عن مسماها في اللغة وصارت حقيقة شرعية
واستعملت في هذه العبادة مجازا للعلاقة بينهما وبين المسمى
اللغوي او هي باقية على الوضع اللغوي وضم اليها اركان وشرائط
وعلى ما قررناه لا حاجة الى شيء من ذلك فاتى المصلي من اول الصلاة
الى آخرها لا ينفك عن دعاء اما دعاء عبادة وثنا او دعاء طلب
ومسئلة وهو في الحالين دعا انتهى من البدايع ملخصا قوله
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء يبين تعالى ان المشركين
من العرب ونحوهم قد علموا انه لا يجيب المضطر ويكشف السوء
الا الله وحده فذكر ذلك سبحانه محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء
من دونه ولهذا قال اله مع الله يعني ذلك فاذا كانت آلهتهم
لا تجيبهم في حال الاضطرار فلا يصلح ان يجعلوها شركاء لله الذي
يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وحده وهذا اصح ما
فسرت به هذه كسابقها من قوله امن خلق السموات والارض
الى قوله بل اكثرهم لا يعلمون ولاحقها الى قوله قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين فتامل هذه الايات يتبين لك ان الله تعالى احتج
على المشركين بما اقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة جميعها
عليه كما في فاتحة الكتاب اياك نعبد واياك نستعين قال ابن
جرير في قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه الى قوله قليلا ما
تذكرون يقول تعالى اما ما تشركون بالله خير ام الذي يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء النازل به عند قوله ويجعلكم خلفاء الارض
يستخلف بعدا موا تكم في الارض منكم خلفاء احياء يخلفونهم وقوله
اله مع الله يقول اله سواه يفعل هذه الاشيا بكم ونعم عليكم
هذه النعم وقوله قليلا ما تذكرون يقول تذكرا قليلا من عظمة
الله وايا دية عندكم تذكرون وتعتبرون بحجج الله عليكم ليسيرا فيما
اشركتم بالله غيره في عبادته قوله وروى الطبراني الذكر في
النبي صلى الله عليه وسلم هنا في يزيد المرئين الحديث الطبراني هو الامام الحافظ
سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة

الارض

لك

وغيرها روى عن النسائي واسحق ابن ابراهيم الديري وخلق كثير
مات سنة ستين ولا نهاية روي هذا الحديث عن عبادة بن
الصامت رضي الله عنه قوله انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق
يؤذي المؤمنين لم اقف على اسم هذا المنافق قوله فقال بعضهم اي
الصحابة قوله قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من
هذا المنافق لانه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على كف اذاه قوله
انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فيه النص على انه لا
يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا من دونه كرد صلى الله ان يستعمل
هذا اللفظ في حقه وان كان فيما يقدر عليه في حياته حماية لجناب
التوحيد وسدا لذرائع الشرك وادبا وتواضعا لربه وتحذيرا
للامة من وسائل الشرك في الاقوال والافعال فاذا كان هذا في
فيما يقدر عليه صلى الله عليه وسلم في حياته فكيف يجوز ان يستغاث
به بعد وفاته ويطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله كما جرى
على السنة كثير من الشعراء كالبوصيري والبرعي وغيرهم من
الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا
حياة ولا نشورا ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم
القادر على كل شيء الذي له الخلق والامر وحده وله الملك وحده لا
اله غيره ولا رب سواه قال الله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا الا ما شاء الله في مواضع من القرآن قل اني لا املك لكم ضرا
ولا رشدا فاعرض هؤلاء عن القرآن واعتقدوا نقيض ما دلت
عليه هذه الآيات المحكمات وتبعهم على ذلك الضلال الخلق الكثير
والجم الغفير فاعتقدوا الشرك بالله دينا والهدى ضلالا فانا
لله وانا اليه راجعون فيا عظيما من مصيبة عمت بها البلوى
فعاندوا اهل التوحيد وبدعوا اهل التجريد فالله المستعان
بابطال الله تعالى ان يشركوا ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصرا لا قوله ان يشركون اي في العبادة قال المفسرون
في هذه الآية هذا توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى

ما لا يخلق

ما لا يخلق شيئا وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في
العبادة التي خلقهم لها وبين انهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم
ينصرون فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر
نفسه وهذا برهان واضح على بطلان ما كانوا يعبدونه
من دون الله وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والانبياء و
الصالحين واشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان ينتصر
به على المشركين ويقول اللهم انت عضدي ونصيري بك
احول وبك اصول وبك اقاتل وهذه الاية كقوله تعالى واتخذوا
من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقوله
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء الاية وقوله قل لا املك
لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد
من دونه ملتحدا الآية فكفى بهذه الايات برهانا على بطلان
دعوة غير الله كائنا ما كان فان كان نبيا او صالحا فقد شرفه
الله تعالى باخلاص العبادة له والرضى به ربا ومعبودا فكيف
يجوز العابد معبودا مع توجيه الخطاب اليه بالنهي عن هذا
الشرك كما قال تعالى ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل
شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال ان الحكم
الا لله امر الا تعبدوا الا اياه فقد امر عباده من الانبياء والصا
لحين
معصو
وغيرهم باخلاص العبادة له وحده ونهاهم ان يعبدوا غيره
وهذا هو دينه الذي بعث به رسله وانزل به كتبه و
رضيه لعباده وهو الاسلام كما روى البخاري عن ابي هريرة
في سؤال جبريل عليه السلام قال يا رسول الله ما الاسلام قال
الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي
الزكوة المفروضة وتصوم رمضان الحديث قال وقول الله تعالى
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير الآية يخبر تعالى عن جاهل

المدعوين من دونه من الملئكة والانبياء والاصنام وغيرها
بما يدل على عجزهم وضعفهم وانهم قد انتفت عنهم الاسباب التي تكون
في المدعو وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على استجابته فمتى لم
توجد هذه الشروط تامة بطلب دعوته فكيف اذا عدمت الكلية
ففي عنهم الملك بقوله ما يملكون من قطمير قال ابن عباس ومجاهد
وعكرمة وعطا والحسن وقتادة القطمير اللفافة التي تكون على
النواة التمر كما قال ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا
من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقال قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
الآية ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
لانهم ما بين ميت وغائب عنهم مشتغل بما خلق له مسخر بما
امر به كالملائكة ثم قال ولو سمعوا ما استجابوا لكم لان ذلك ليس
اليهم كما تقدم فان الله لم يأذن لاحد من عباده في دعاء احد منهم
لا استقلالا ولا واسطة كما تقدم بعض ادلة ذلك وقوله يوم
القيمة يكفرون بشرككم فتبين بهذا ان دعوة غير الله شرك
وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا وقوله ويوم القيمة يكفرون
قال ابن كثير يتبرؤن منكم كما قال تعالى ومن اضل ممن يدعوا
من دون الله الى قوله وكانوا بعبادتهم كافرين قال وقوله ولا ينبئك
مثل خبير اي لا يخبرك بعواقب الامور ومآلها وما تصير اليه
مثل خبير بها قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى فانه اخبره
بالواقع لا محالة قلت والمشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما
اخبر به عن معبوداتهم فقالوا تملك وتسمع وتستجيب وتشفع
لمن دعاها ولم يلتفتوا الى ما اخبر به الخبير من ان كل معبود
يعادي عابده يوم ويتبرأ منه كما قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم

ان كنا

نواة بدل

ان كنا عن عبادتكم لغافلين الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون
اخرج ابن جرير عن ابن جريج قال قال مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين
قال يقول ذلك كل شيء تعبد من دون الله فالكيس يستقبل هذه
الايات التي هي الحجة والنور والبرهان بالايمان والقبول و
العمل فيجرد اعماله لله وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه
نفعا ولا دفعا وفضلا عن غيره قوله وفي الصحيح عن انس قال اشج
النبي صلى الله عليه يوم احد فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فانزل الله ليس لك
من الامر شيء قوله في الصحيح اي الصحيحين علقه البخاري عن حميد عن ثابت
عن انس ووصله احمد والترمذي والنسائي عن حميد عن انس
ووصله مسلم عن ثابت عن انس وقال ابن اسحق في المغازي
حدثني حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح
الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم
الى ربهم فانزل الله الآية قوله شج النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو
اسعادات الشج في الراس خاصة في الاصل وهو ان يضربه بشيء
فيجرحه فيه ويشقه ثم استعمل في غيره من الاعضاء وذكر ابن
هشام من حديث ابي سعيد الخدري ان عتبة بن ابي وقاص هو
الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم السفلى وجرح شفته السفلى
وان عبد الله ابن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه وان
عبد الله ابن قميئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق
المغفر في وجنته وان مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وازدرده فقال له لن تمسك النار قال
القرطبي والرباعية بفتح الراء وتخفيف الباء وهي كل سن بعد ثنية
قال النووي وللانسان اربع رباعيات قال الحافظ والمراد
انها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من اصلها قال النووي
وفي هذا وقوع الاسقام والابتلا بالانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم لينالوا جزيل الاجر والثواب ولتعرف امتهم ما اصابهم وتاسوا

كان ص

فلين

بهم قال القاضي وليعلم انهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ويطرا على
اجسامهم ما يطرا على اجسام البشر ليتيقنوا انهم مخلوقون مربوبون
ولا يفتتن بما ظهر على ايديهم من المعجزات ويلبس الشيطان في
امرهم ما التبسه على النصارى وغيرهم انتهى قلت يعني من
الغلو والعبادة قوله يوم احد هو جبل معروف كانت عنده
الوقعة المشهورة قوله كيف يفلح قوم شجوا نبيهم زاد مسلم و
كسروا رباعيته وادموا وجهه قوله فانزل الله ليس لك من
الامر شئ قال ابن عطية كان النبي صلى الله عليه وسلم لحقه في ذلك
يأس من فلاح كفار قريش فقيل له بسبب ذلك ليس لك من
الامر شئ اي عواقب الامور بيد الله فامض انت لشانك
ودم على الدعاء لربك وقال ابن اسحق ليس لك من الامر شئ
في عبادي الا ما امرتك به فيهم قوله وفيه عن عمر انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع راسه من الركوع في
الركعة الاخيرة من الفجر اللهم العن قوله وفيه اي في صحيح البخاري
ورواه النسائي قوله عن بن عمر هو عبد الله ابن عمر بن الخطاب
صحابي جليل شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح مات
سنة ثلاث وسبعين في آخرها او اول التي تليها قوله انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القنوت على هؤلاء بعدما شجوه و
كسروا رباعيته يوم احد قوله اللهم العن فلانا وفلانا قال ابو
السعادات اصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب
والدعاء وتقدم كلام شيخ الاسلام قوله فلانا وفلانا يعني صفوان
ابن امية وسهيل ابن عمرو والحارث بن هشام كما بينه في الرواية
الاخيرة وفيه جواز الدعاء على المشركين باعيانهم في الصلاة وان
ذلك لا يضر الصلاة قوله بعدما يقول سمع الله لمن حمده قال
ابو السعادات اي اجاب حمده وتقبله وقال السهيلي مفعول
سمع محذوف فلان السمع متعلق بالاقوال والاصوات دون
غيرها فاللام تؤذن بمعنى زايد وهو الاستجابة للسمع فاجتمع

في الكلمة

في الكلمة الايجاز والدلالة على الزائد وهو الاستجابة لمن حمده و
قال ابن القيم ما معناه عندي سمع الله لمن حمده باللام المتضمنة
معنى استجاب له ولا حذف هناك وانما هو متضمن قوله ربنا و
لك الحمد في بعض روايات البخاري باسقاط الواو قال ابن دقيق
العيد كان اثباتها دال على معنى زايد لانه يكون التقدير ربنا
استجب ولك الحمد فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر قال
شيخ الاسلام والحمد ضد الذم والحمد يكون على محاسن المحمود
مع المحبة له كما ان الذم يكون على مساويه مع البغض له و
كذا قال ابن القيم وفرق بينه وبين المدح بان الاخبار عن
محاسن الغير اما ان يكون اخبارا مجردا عن حب وارادة او
يكون مقرونا بحبه وارادته فان كان الاول فهو المدح وان
كان الثاني فهو الحمد فالحمد اخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه
ولهذا كان خبرا يتضمن الانشاء بخلاف المدح فانه
خبر مجرد فالقائل اذا قال الحمد لله او قال ربنا ولك الحمد تضمن
كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه سبحانه وتعالى باسم جامع محيط
متضمن لكل فرد من افراد الجملة المحققة والمقدرة ولك يستلزم
اثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على
هذا الوجه ولا تنبغي الا لمن هذا شانه وهو الحميد المجيد وفيه
التصريح بان الامام يجمع بين التسميع والتحميد وهو قول الشافعي
واحمد وخالف في ذلك مالك وابو حنيفة فقالا يقتصر على سمع
الله لمن حمده قوله وفي رواية يدعوا على صفوان بن امية وسهيل
ابن عمرو والحارث بن هشام وذلك لانهم رؤس المشركين يومئذ
هم وابو سفيان بن حرب فما استجيب له صلى الله عليه وسلم فيهم
بل انزل الله ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
عليهم فاسلموا وحسن اسلامهم وفي هذا كله معنى شهادة ان لا اله
الا الله الذي له الامر كله يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل
من يشاء بعدله وحكمته وفي هذا من الحجج والبراهين ما يبين بطلان

ما يعتقده عباد القبور في الاولياء والصالحين بل في الطواغيت
من انهم ينفعون من دعاهم ويمنعون من لاذ بجاههم فسبحان
من حال بينهم وبين ما في الكتاب وذلك عدله سبحانه وهو
الذي يحول بين المرء وقلبه وبه الحول والقوة قوله وفيه
عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله عليه
وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش او كلمة نحوها
اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا الحديث قوله وفيه اي صحيح البخاري
قوله عن ابي هريرة اختلف في اسمه وصحح النووي ان اسمه عبد
الرحمن ابن صخر كما رواه الحاكم في المستدرك عن ابي هريرة قال كان
اسمي في الجاهلية عبد شمس ابن صخر فسميت في الاسلام عبد الرحمن
ويروى الدولابي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه عبد
الله وهو دوسي من فضلاء الصحابة وحفاظهم حفظ عن النبي
صلى الله عليه وسلم اكثر مما حفظ غيره مات سنة سبع او
ثمان او تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة قوله قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح من رواية ابن عباس صعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا قوله حين انزل الله
عليه وانذر عشيرتك الاقربين عشيرة الرجل هم بنو ابيه الادنون
او قبيلته لانهم احق الناس ببرك واحسانك الديني وا
لدنيوي كما تقدم يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا
الآية وقد امر الله تعالى بالانذارة العامة كما قال تعالى لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب
يا معشر قريش المعشر الجماعة قوله او كلمة نحوها هو بنصب
كلمة عطفا على ما قبله قوله اشتروا انفسكم اي بتوحيد الله و
اخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما امر به
والانتهاء عما نهى عنه فان ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله لا
الاعتماد على الانساب والاحساب فان ذلك غير نافع ربت
الارباب قوله لا اغني عنكم من الله شيئا فيه حجة على من تعلق

على الانبياء

على الانبياء والصالحين ورغب اليهم ليشفعوا له او ينفعوه او
يدفعوا عنه فان ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى و
اقام نبيه صلى الله عليه وسلم بالانذار عنه كما اخبر تعالى عن المشركين
في قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله فابطل الله ذلك ونزه
نفسه عن الشرك وسيأتي تقرير هذا المقام ان شاء الله تعالى قوله
يا عباس ابن عبد المطلب بنصب ابن ويجوز في عباس الرفع و
كذا في قوله ويا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت محمد قوله
سليني من مالي ما شئت بين صلى الله عليه وسلم انه لا ينجي من عذاب
الله الا الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يجوز ان يسئل العبد
الا ما يقدر عليه من امور الدنيا واما الرحمة والمغفرة والجنة و
النجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه الا الله فلا يجوز
ان يطلب الا منه سبحانه فانما عند الله لا ينال الا بتجريد التوحيد
والاخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده ان يتقربوا اليه به فاذا
كان لا ينفع ابنته وعمته وقرابته الا ذلك فغيرهم اولى واحرى
وفي قصة عمه ابي طالب معتبر فانظر الى الواقع من كثير من
الناس من الالتجا الى الاموات والتوجه اليهم بالرغبات والرهبات
وهم عاجزون لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فضلا عن غيرهم
يتبين لك انهم ليسوا على شيء انهم اتخذوا الشياطين اولياء
من دون الله ويحسبون انهم مهتدون اظهر لهم الشيطان الشرك
في قالب محبة الصالحين وكل صالح يبرء الى الله من هذا الشرك
في الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ولا ريب ان محبة الصالحين انما
تحصل بموافقتهم في الدين ومتابعتهم في طاعة رب العالمين
لا باتخاذهم اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله اشركا بالله
وعبادة لغير الله وعداوة لله ورسله والصالحين من عباده
كما قال تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس

الى بحق الى قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم و
كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
وانت على كل شئ شهيد قال العلامة ابن القيم رحمه الله في هذه
الاية بعد كلام ثم نفى ان يكون قال لهم غير ما امر به وهو محض
التوحيد فقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم
ثم اخبر عن شهادته عليهم ملة مقامه فيهم وانه بعد الوفاة لا اطلاع
له عليهم وان الله عز وجل المتفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم فقال
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب وانت
على كل شئ شهيد وصفه سبحانه بان شهادته فوق كل شهادة
واعم انتهى قلت في هذا بيان ان المشركين خالفوا ما امر الله
به رسله من توحيده الذي هو دينه الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس
اليه وفارقوهم فيه الا من امن فكيف يقال لمن دان بدينهم واطاعهم
فيما امروا به من اخلاص العبادة لله وحده انه قد تنقصهم
بهذا التوحيد الذي اطاع به ربه وانبه فيه رسله عليهم السلام
ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم للربوبية وتنقص للالهية
وسوء ظن برب العالمين والمشركون هم اعداء الرسل وخصماؤهم
في الدنيا والاخرة وقد شرعوا لاتباعهم ان يتبرؤا من كل مشرك
ويكفروا به ويبغضوه ويعادوه في الله هم ومعبودهم قل فلله
الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قوله قالوا الحق
الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم اي زال الفزع عنها
قاله ابن عباس وابو عمرو وابو عبد الرحمن السلمي والشعبي والحسن
وغيرهم وقال ابن جرير قال بعضهم الذين فزع عن قلوبهم
الملائكة قالوا وانما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند
سماعهم كلام الله بالوحي وقال ابن كثير في الكلام حذف يدل عليه
الظاهر كانه قال ولا هم شفعاء كما تزعمون انتم بل هم عبدة
مسلمون ابدا يعني منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم والمراد
الملائكة

الملائكة على ما اختاره ابن جرير وغيره قال ابن كثير وهو الحق
الذي لا مرية فيه لصحة الاحاديث فيه والاثار وقال ابو حيان
تظاهرة الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله حتى اذا
فزع عن قلوبهم انما هي الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل يأمره
الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند
ذلك تعظيما وهيبة قال وبهذا المعنى من ذكر الملائكة فصدر
الايات تتسق هذه الاية على الاولى ومن لم يشعر ان الملائكة
مشار اليهم من اول قوله الذين زعمتم لم تتصل له هذه الاية
بما قبلها ما قوله قالوا ماذا قال ربكم ولم يقولوا ماذا خلق ربكم
ولو كان كلام الله مخلوقا لقالوا ماذا خلق انتهى من شرح
سنن ابن ماجة ومثله الحديث ماذا قال ربنا يا جبريل و
امثال هذا في الكتاب والسنة كثيرة قوله قالوا الحق اي قالوا
قال الله الحق وذلك لانهم اذا سمعوا كلام الله صعقوا ثم
افاقوا اخذوا يسألون فيقولون ماذا قال ربكم فيقولون قال
الحق قوله وهو العلي الكبير علو القدر وعلو القهر وعلو الذات
فله العلو الكامل من جميع الوجوه كما قال عبد الله بن المبارك
لما قيل له بم نعرف ربنا قال بانه على عرشه بائن من خلقه
بتمسكا منه بالقرآن لقول الله تعالى الرحمن على العرش استوى
ثم استوى على العرش الرحمن في سبعة مواضع من القرآن
قوله الكبير الذي لا اكبر منه ولا اعظم تبارك وتعالى قال
في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء
ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله الحديث قوله في الصحيح اي صحيح
البخاري قوله اذا قضى الله الامر في السموات اي اذا تكلم الله بالامر
الذي يوحيه الى جبريل بما اراده كما صرح به في الحديث الاتي وكما
روى سعيد بن منصور وابو داود وابن جرير عن ابن مسعود رض
اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كجر السلسلة
على الصفوان وروى ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رض

ربنا بدر

قال لما اوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وسلم دعى الرسول من الملائكة
ليبعثه بالوحي سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف
عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا ان الله لا يقول الا
حقا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله اي لقول
الله تعالى قال الجاحظ خضعانا بفتحتين من الخضوع وفي رواية
بضم اوله وسكون ثانيه وهو مصدر بمعنى خاضعين قوله كانه
سلسلة على صفوان اي كان الصوت المسموع سلسلة على صفوان
وهو الحجر الاملس قوله ينفذهم ذلك هو بفتح التحتيه وسكون النون
وضم الفاء والذال المعجمة ذلك اي القول والضمير في ينفذهم للملائكة
اي ينفذ ذلك القول الملائكة اي يخلص ذلك القول ويمضي فيهم
حتى يفزع عوامنه وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس فلا يزال
على اهل سماء الا صعقوا وعند ابي داود وغيره مرفوعا اذا تكلم
بالوحي سمع اهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا
فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل الحديث قوله حتى
اذا فزع عن قلوبهم تقدم معناه قوله قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
اي قالوا قال الله الحق علموا انه لا يقول الا الحق قوله فيسمعها مسترق
السمع اي يسمع الكلمة التي قضا الله وهم الشياطين يركب بعضهم
بعضا وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعا ان الملائكة تنزل
في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين
السمع فتوحيه الى الكهان قوله ومسترق السمع هكذا وصفه سفيان
بكفه اي وصف ركوب بعضهم فوق بعض وسفيان هو ابن عيينة

فقيه ابو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ امام حجة مات سنة ثمان
وتسعين ومائة وله احدى وتسعون سنة قوله فرفرفها بحاء مهملة
وراء مشددة وفاء قوله وبدا اي فرق بين اصابعه قوله فيسمع
الكلمة فيلقيها الى من تحته اي يسمع الفوقاني الكلمة فيلقيها الى الذي
تحته ثم يلقيها الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن
فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها الشهاب هو النجم الذي يرمى به

ربما

ربما ادرك الشهاب المسترق وهذا يدل على ان الرمي بالشهب كان
قبل المبعث لما روى احمد وغيره والسياق له في المسند من طريق
معمر انبأنا الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم جلوسا في نفر من اصحابه قال عبد الرزاق من
الانصار قال فرمي بنجم عظيم فاستنار قال ما كنتم تقولون اذا كان
مثل هذا في الجاهلية قال كنا نقول لعله يولد عظيم او يموت عظيم
قلت للزهري اكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم ولكنها غلظت حين
بعث النبي صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن
ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل
السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا ثم يستخبر
اهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش
لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء سماء حتى
ينتهي الخبر الى هذه السماء ويخطف الجن السمع فيرمون فما جاؤا به
على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون ويزيدون قال عبد الله قال النبي
قال عبد الرزاق ويخطف الجن ويرمون وفي رواية له لكنهم يزيدون
فيه ويقرفون وينقصون فيكذب بسبعها مائة كذبة اي الكاهن
او الساحر وكذبة بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة قال فيقال
اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا هكذا في نسخة بخط المصنف
رحمه الله كالذي في صحيح البخاري سواء قال المصنف وفيه
قبول النفوس للباطل تيعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة و
فيه ان الشيء اذا كان فيه شيء من الحق فلا يدل على انه حق وكله فكثير
مما يلبس اهل الضلال الحق بالباطل ليكون اقبل لباطلهم قال تعالى ولا
تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون وفي هذه الاحاديث
وما بعدها وما في معناها اثبات علو الله تعالى على خلقه على ما
يليق بجلاله وانه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء بكلام يسمعه
الملائكة وهذا قول اهل السنة قاطبة سلفا وخلفا
خلافا للاشاعرة والجهمية ونفاة المعتزلة فاياك ان تلتفت

الى ما زخرفه اهل التعطيل وحسبنا الله ونعم الوكيل قوله
وعن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد
الله تعالى ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او
قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فاذا سمع ذلك اهل
السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع رأسه جبريل
فيكلمه الله من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر سماء سئلة ملائكتها
هذا الحديث رواه ابن ابي حاتم بسنده كما ذكره العماد بن كثير في
تفسيره النواس بن سمعان بكسر السين بن خالد الكلابي ويقال الاصبحي
صحابي ويقال ان اباه صحابي ايضا قوله اذا اراد الله ان يوحي بالامر
الى آخره فيه النص على ان الله تعالى يتكلم بالوحي وهذا من حجة اهل
السنة على النفاة لقولهم لم يزل الله متكلما اذا شاء قوله اخذت السموات
السموات منه رجفة فاعول مقدم والفاعل رجفة اي ارتجفت منه
السموات من كلامه تعالى رجفة اي ارتجفت وهو صريح في انها
تسمع كلامه تعالى كما روى بن ابي حاتم عن عكرمة قال اذا قضى
الله امرا تكلم تبارك وتعالى رجفت السموات والارض والجبال وخرت
الملائكة كلهم سجدا قولا وقال قال رعدة شديدة شك من
الراوي هل قال النبي صلى الله عليه وسلم رجفة او قال رعدة والرامفتوحة
فيهما وليخ فا من الله عز وجل وهذا ظاهر فان السموات تخاف الله
بما يجعل الله فيها من الاحساس ومعرفة من خلقها وقد اخبر تعالى
ان هذه المخلوقات العظيمة تسبحه كما تعالى تسبح له السموات السبع و
الارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقال تعالى تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال تعالى وان منها لما يهبط
من خشية الله وقد قرر العلامة بن القيم رحمه الله ان هذه
المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة واحتج بهذه الايات ونحوها
وفي البخاري عن ابن مسعود رض قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل
وفي حديث ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ في يده حصيات فسبح

السموات هو

الله

لهن تسبيح الحديث وفي الصحيح قصة حنين الجذع الذي كان يخطب
عليه النبي صلى الله عليه وسلم قبل اتخاذ المنبر ومثل هذا كثير وله صعقوا
وخروا لله سجدا الصعق هو الغشي ومعه السجود قوله فيكون
اول من يرفع راسه جبريل بفتح اول خبر يكون تقدم على اسمها
ويجوز العكس ومعنى جبريل عبد الله كما روى بن جرير وغيره
عن علي رض حيث قال كان اسم جبريل عبد الله واسم
ميكائيل عبيد الله واسرافيل عبد الرحمن وكل شئ رجع الى ايل
فهو معبد لله عز وجل وفيه فضيلة جبريل عليه السلام كما قال
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش الآية قال بن كثير رحمه
انه لتبليغ رسول كريم قال ابو صالح في الآية قال جبريل يرحل
في سبعين حجابا من نور بغير اذن ولاحمد باسناد صحيح عن بن
مسعود رض قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته
وله ست مائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط
من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم فاذا
كان هذا عظم هذه المخلوقات فيما اعظم واجل واكبر فكيف يسوغ
بعد غيره في العبادة دعاء وخوفا ورجاء وتوكلا وغير ذلك
من العبادات التي لا يستحقها غيره فانظر الى حال الملائكة وشدة
خوفهم من الله تعالى وقد قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون الى قوله نجزي الظالمين قوله ثم ينتهي جبريل بالوحي
الى حيث امر الله عز وجل من السماء والارض وهذا تمام الحديث
والايات المذكورة في هذا الباب والاحاديث تقرر التوحيد الذي هو
مدلول شهادة ان لا اله الا الله فان الملك العظيم الذي تصعق
الاملاك من كلامه خوفا منه ومهابة وترجف منه المخلوقات الكاملة
في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته وملكه وعزته وغناه
عن جميع خلقه وافتقارهم جميعهم اليه ونفوذ قدره وتصرفه فيهم
بفعله وحكمته فلا يجوز شرعا ولا عقلا ان يجعل له شريك من
خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم فكيف يجعل المربوب ربا والعبد

الله

لهن تسبح

معبودا ابن دهبنّ عقول المشركين سبحان الله عما يشركون وقال تعالى ان
كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا الايات فاذا كان الجميع
عبيدا فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الراي
والاختراع والابتداع ثم قفا رسل ربه من اولهم الى آخرهم ترجم
عن هذا الشرك وتنهاهم عن عبادة ما سوى الله النهي من سنن
ابن ماجة قوله باب الشفاعة اي بيان ما اثبته القرآن
منها وما نفاه وحقيقة ما دل القرآن على اثباته قوله وقول الله
عز وجل وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع الانذار هو الاعلام باسباب المخافة والتحذير منها قوله به
قال ابن عباس بالقرآن الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم وهم المؤمنون
وعن الفضيل بن عياض ليس كل خلقه عاتب انما عاتب الذين يعقلون
فقال وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم اي وهم المؤمنون اصحاب
القلوب الواعية قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع قال الزجاج موضع
ليس نصب على الحال كانه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه
يخافون قوله لعلهم يتقون اي يعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله
به من عذاب يوم القيمة وقوله قل لله الشفاعة جميعا وقبلها ام اتخذوا
من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وهذه
الآية كقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون
فبين تعالى في هذه الآيات وامثالها ان وقوع الشفاعة على هذا الوجه
منتف وممتنع وان اتخاذهم شفعاء شرك ينزه الرب تعالى عنه
وقد قال تعالى قل لو انضم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا
عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون فبين تعالى ان دعوى انهم
يشفعون لهم بتا لهم ان ذلك منهم افك وافتراء وقوله قل
لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها وليس لمن تطلب منه شيء منها و
انما يطلب ممن يملكها دون كل من سواه لان ذلك عبادة وتالله
لا يصلح الا لله قال البيضاوي لعله مما عسى ان يجيبوا به وهو

ان الشفعاء

ان الشفعاء اشخاص مقربون وقوله له ملك السموات والارض تقرير لبطلان
اتخاذ الشفعاء من دونه لانه مالك للملك فاندرج في ذلك ملك الشفاعة
فاذا كان هو مالكها بطل ان تطلب ممن لا يملكها من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن جرير نزلت لما قال الكفار
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال الله تعالى له ملك
السموات والارض ثم اليه ترجعون قال وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه قد تبين مما تقدم من الايات ان الشفاعة التي نفاها القرآن هي تطلب
من غير الله وفي هذه الآية بيان ان الشفاعة انما تنفع في الدار الآخرة
باذنه كما قال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا فبين ان انها لا تقع لاحد الا بشرطين اذن الرب تعالى
للشافع ان يشفع ورضاه عن المأذون له بشفاعة فيه وهو تعالى
لا يرضى من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة الا ما اريد به وجهه
ولقي العمل به ربه مخلصا غير شاك في ذلك كما دل على ذلك الحديث
الصحيح وسيأتي ذلك مقررا ايضا في كلام شيخ الاسلام رحمه الله
وقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا من بعد ان
ياذن الله لمن يشاء ويرضى قال ابن كثير وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى
كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له فاذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف تزعمون
ايها الجاهلون شفاعة هذه الاوثاد عند الله وهو لم يشرع عبادتها
ولم ياذن فيها بل قد نهى عنها على السنة رسله وانزل بالنهي
عن ذلك جميع كتبه قال وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض الآية قال ابن القيم رحمه الله
في الكلام على هذه الآيات وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها
المشركون جميعها فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له من
النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الاربع
اما ما لك لما يريده عابده منه فان لم يكن ما لكا كان شريكا

للملك فان لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا فان لم يكن
معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى سبحانه المراتب الاربع
نفيا مرتبا منتقلا من الاعلى الى الادنى فنفى الملك والشركة
والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة
لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه فكفى بهذه الآية
نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك وموادّه
لمن عقلها والقرآن مملوء من امثالها ونظائرها ولكن اكثر
الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له وبطنه
في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي
يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله ان كان اولئك
قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم او شر منهم او دونهم وتناول
القرآن لهم كتناوله لاولئك ثم قال ومن انواعه اي الشرك
طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم وهذا اصل شرك
العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
فضلا عن الاستغاثة به وسؤاله ان يشفع له الى الله وهذا
من جهله بالشافع والمشفوع له عنده فانه لا يقدر ان يشفع
له عند الله الا باذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا
لاذنه وانما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع
الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها او
هذا حال كل مشرك فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه
ومعادات اهل التوحيد ونسبت اهله الى التنقص بالاموات وهم
قد تنقصوا الخالق بالشرك واولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم
ومعاداتهم وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا
انهم راضون منهم بهذا وانهم امروهم به وانهم يوالونهم عليه
وهؤلاء هم اعداء الرسل في زمان ومكان وما اكثر المستجيبين
لهم وما نجى من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده
لله وعاد المشركين فوالى الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده

وليه

وليه والهه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله
وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله والتجاءه الى الله و
استغاثته بالله وقصده لله متبعا لامره ومتطلبا لمرضاته اذا
سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو
لله وبالله ومع الله انتهى كلامه رحمه الله وهذا الذي ذكره هذا
الامام هو حقيقة دين الاسلام كما قال تعالى ومن احسن دينا ممن
اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم
خليلا قوله قال ابو العباس هو كنية شيخ الاسلام احمد بن
عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني امام المسلمين رحمه الله
نفاها عما سواه كما يتعلق به المشركون فنفى ان يكون لغيره ملك او قسط
منه او يكون عونا له ومع هذا لا شفاعة فبين انها لا تنفع احدا
الا من اذن له الرب كما قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى فهذه الشفاعة التي يظنها
المشركون هي منتفية يوم القيمة كما نفاها القرآن واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه يأتي
ربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة اولا ثم يقال له ارفع راسك وقل
يسمع وسل تعط واشفع تشفع وقال له ابو هريرة من اسعد الناس
بشفاعتك
يا رسول الله قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه فتلك الشفاعة الاعلى
باذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله وحبطت اعماله والله سبحانه هو الذي يتفضل
على اهل الاخلاص فيغفر لهم واصحة دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه
وينال المقام المحمود في الشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها
شرك فهذه اثبت الشفاعة باذنه في مواضع وقد بين النبي
صلى الله عليه وسلم انها لا تكون الا لاهل الاخلاص والتوحيد انتهى قوله
وقال ابو هريرة الى آخره هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن ابي
هريرة ورواه احمد وصححه ابن حبان وفيه وشفاعتي لمن قال لا اله
الا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه وشاهده في صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة فهي نائلة انشاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا و

وقد ساق المصنف رحمه الله تعالى كلام شيخ الاسلام فقام مقام الشرح والتفسير
لما في الباب من الآيات وهو كاف واف بتحقيق مع الايجاز والله اعلم
وقد عرف الاخلاص بتعريف حسن محبة الله وحده وارادة وجهه انتهى
قال ابن القيم رحمه الله في معنى حديث ابي هريرة تامل هذا الحديث كيف
جعل اعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند
المشركين ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم موالاتهم فقلب
النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم الكاذب واخبر ان سبب الشفاعة
تجريد التوحيد فحينئذ باذن الله للشافع ان يشفع ومن جهل المشرك
اعتقاده ان من اتخذه وليا او شفيعا انه يشفع له وينفعه عند
الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم ولم يعلم انه
لا يشفع عنده احد الا باذنه ولا ياذن في الشفاعة الا لمن رضي قوله
وعمله كما قال تعالى في الفصل الاول من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه و
في الفصل الثاني ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقي فصل ثالث وهو انه
لا يرضى من القول والعمل الا توحيده واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فهذه
ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها انتهى
وذكر ايضا رحمه الله ان الشفاعة ستة انواع الاول الشفاعة
الكبرى التي يتاخر عنها اولوا العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي
اليه فيقول انا لها وذلك حين يرغب الخلائق الى الانبياء ليشفعوا
لهم الى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف وهذه شفاعة يختص
بها لا يشركه فيها احد الثاني شفاعته لاهل الجنة في دخولها
وقد ذكرها ابو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه والثالث شفاعته
لقوم من العصاة من امته قد استوجبوا النار فيشفع لهم ان لا يدخلوها
الرابع شفاعته في العصاة من اهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم
والاحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اجمع عليها الصحابة
واهل السنة قاطبة وبدّع وامن انكرها وصاحوا به من كل جانب
ونادوا عليه بالضلال الخامس شفاعته لقوم من اهل الجنة في زيادة
ثوابهم ورفعة درجاتهم وهذه مما لم ينازع فيها احد السادس شفاعته
في بعض

في بعض الكفار من اهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بابي طالب
وحده قوله باب قول الله تعالى انك لا تهدي من احببت سبب نزول هذه
الآية موت ابي طالب على ملة عبد المطلب كما ياتي بيان ذلك في حديث
الباب قال ابن كثير يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لا تهدي
من احببت اي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدي من
يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى ليس عليك هداهم
ولكن الله يهدي من يشاء وقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
قلت والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول فان امر ذلك الى الله تعالى
وهو القادر عليه واما الهداية المذكورة في قول الله تعالى وانك لتهدي
الى صراط مستقيم فانها هداية الدلالة والبيان فهو المبين عن
الله والدال على دينه وشرعه وقوله في الصحيح عن ابن المسيب عن
ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله وعنده
عبد الله بن ابي امية وابو جهل فقال له يا عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فاعاد
عليه النبي صلى الله عليه وسلم فاعادا فكان اخر ما قال هو على ملة عبد
المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين وانزل في ابي طالب انك لا تهدي من احببت الآية
قوله في الصحيحين اي الصحيحين وهو المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي
وهب بن عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي احد العلماء
الفقهاء الكبار السبعة من التابعين اتفق اهل الحديث ان مراسيله
اصح المراسيل وقال ابن المديني لا اعلم في التابعين اوسع علما منه
مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين وابوه المسيب صحابي
بقي الى خلافة عثمان رضي الله عنه وكذا جده حزن صحابي شهد
باليمامة قوله لما حضرت ابا طالب الوفاة اي علاماتها ومقدماتها
فلم جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون حضر مع الاثنين فانهما
من بني مخزوم وهو ايضا مخزومي وكان الثلاثة اذذاك كفارا فقال ابو

جهل على كفره واسلم الآخران قولنا عم منادى مضاف يجوز فيه
اثبات الياء وحذفها حذفت الياء هنا وبقيت الكسرة دليلا عليها
قل لا اله الا الله امره ان يقولها لعلم ابي طالب بما دلت عليه من نفي
الشرك بالله واخلاص العبادة له وحده فان من قالها بعلم و
يقين فقد برئ من الشرك والمشركين ودخل في الاسلام لانهم يعلمون
ما دلت عليه وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة الا مسلم او كافر فلا يقولها
الا من ترك الشرك وبرئ منه ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم و
اصحابه الى المدينة كان فيها المسلمون الموحدون والمنافقون الذين
يقولونها بالسنتهم وهم يعرفون معناها لكن لا يعتقدونه لما في
قلوبهم من العداوة والشك والريب فهم مع المسلمين بظاهر الاعمال
دون الباطن وفيها اليهود وقد اقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما هاجر وواد عهم بان لا يخونوه ولا يظاهروا عليه عدوا كما هو مذكور
في كتب الحديث والسير قوله كلمة الاخلاص قال القرطبي بالنصب على انه
بدل من لا اله الا الله ويجوز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف قوله
احاج لك بها عند الله هو بتشديد الجيم من المحاجة وفيه دليل على ان
الاعمال بالخواتيم لانه لو قالها في تلك الحال معتقدا ما دلت عليه
مطابقة من النفي والاثبات لنفعته قوله فقال لولا ان ترغب عن
ملة عبد المطلب ذكراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون
على المرسلين كقول فرعون لموسى فما بال القرون الاولى وقوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون قوله فاعاد عليه النبي صلى الله
عليه وسلم فاعاد اي فيه معرفتها معنى لا اله الا الله لانها عرفا ان
اباطالب لو قالها لتبرء من ملة عبد المطلب فان ملة عبد المطلب
هي الشرك بالله في الهيته واما الربوبية فقد اقروا بها لله كما تقدم
وقد قال عبد المطلب لابرهة انا رب الابل والبيت له رب يمنعه منك
وهذه المقالة منهما عند قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله الا الله
استكبارا عن العمل بما لوها كما قال تعالى عنهما وعن امثالهما من اولئك

المشركين

قيل
المشركين انهم كانوا اذا قالهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انتا لتاركوا
الهتنا لشاعر مجنون فرد عليهم بقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين
فبين تعالى ان استكبارهم عن قول لا اله الا الله لدلالتها على نفي عبادتهم
الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فان دلالة هذه الكلمة على
نفي ذلك دلالة تضمن ودلالتها عليه وعلى الاخلاص دلالة مطابقة
ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية ابي طالب الى الاسلام ليبين لعباده
ان ذلك اليه وهو القادر عليه دون من سواه فلو كان عند النبي صلى الله
عليه وسلم الذي هو افضل الخلق خلقة من هداية القلوب وتفريج الكروب و
مغفرة الذنوب والنجاة من العذاب ونحو ذلك شيء لكان احق الناس
بذلك واولاهم به عمه الذي يحوطه وينصره ويأويه فسبحان
من بهرت حكمته العقول وارشد العباد الى ما يدلهم على معرفته و
توحيده واخلاص العمل له وتجريده قوله فكان آخر ما قال الاحسن
فيه الرفع على انه اسم كان وجملة هو وما بعدها الخبر قوله هو على ملة
عبد المطلب الظاهر ان ابا طالب قال انا فغير الراوي استقباحا
للفظ المذكور وهي من التصرفات الحسنة قاله الحافظ قوله وابان يقول
لا اله الا الله قال الحافظ هذا تاكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك
من ابي طالب قال المصنف وفيه الرد على من زعم اسلام ابي طالب
واسلافه ومضرة اصحاب السوء على الانسان ومضرة تعظيم الاسلاف
اي اذا زاد على المشروع بحيث تجعل اقوالهم حجة يرجع اليها عند التنا
قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك قال الخطابي
وفيه جواز الحلف من غير استحلاف وكان الحلف هنا لتاكيد العزم
على الاستغفار تطييبا لنفس ابي طالب وكانت وفات ابي طالب
بمكة قبل الهجرة بقليل قال ابن فارس مات ابو طالب ولرسول
الله صلى الله عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر وخمسة
عشر يوما وتوفيت خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها بعد موت ابي
طالب بثمانية ايام قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
اي ما ينبغي لهم ذلك وهو خبر بمعنى النهي والظاهر ان هذه الاية نزلت

كان م

ده

نع

في ابي طالب فان الاتيان بالفا المفيدة للترتيب في قوله فانزل بعد قوله
لاستغفرن لك مالم انه عنك يفيد ذلك وقد ذكر العلماء النزول هذه سببا
اخر فلا منافاة لان اسباب النزول قد تتعدد قال الحافظ اما نزول الآية
الثانية فواضح في قصة ابي طالب واما نزول الآية التي قبلها ففيه نظر
ويظهر ان المراد ان الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد ابي طالب
وهي بمدة عامة في حقه وحق غيره يوضح ذلك ما ياتي في التفسير فانزل الله
بعد ذلك ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وانزل
في ابي طالب انك لا تهدي من احببت كله ظاهر في انه مات على غير الاسلام
ويضعف ما ذكره السهيلي انه رأى في بعض كتب المسعودي انه اسلم
لان مثل ذلك لا يعارض ما في الصحيح انتهى وفيه تحريم الاستغفار
للمشركين وموالاتهم ومحبتهم لانه اذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم
ومحبتهم اولى قوله باب اما جاء ان سبب كفر بني آدم وتركهم
دينهم هو الغلو في امر نبي قوله تركهم جر عطفا على المضاف اليه اراد
المصنف رحمه الله تعالى بيان ما يؤول اليه الغلو في الصالحين من الشرك
بالله في الالهية الذي هو اعظم ذنب عصي الله به وهو بنا في التوحيد
الذي دلت عليه كلمة الاخلاص شهادة ان لا اله الا الله قوله وقول الله عز وجل
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الآية الغلو هو الافراط في التعظيم بالقول او
الاعتقاد اي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي انزله الله فتنزلوه المنزلة
التي لا تنبغي الا لله والخطاب وان كان لاهل الكتاب فانه عام يتناول
جميع الامة تحذيرا لهم ان يفعلوا فعل النصارى في عيسى عليه السلام و
اليهود في العزير كما قال تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل
فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ولهذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم وانما انا
عبد فقولوا عبد الله ورسوله متفق عليه اي لا تجاوزوا بي ما انزلني الله
اياه من الرفعة فكل من ادعى نبيا او وليا مردود الله فقد اتخذه الها وظاهر النصارى في
شركهم وظاهر اليهود في تفريطهم فان النصارى غلوا في عيسى عليه السلام و
اليهود عادوه وسبوه وتنقصوه فالنصارى افرطوا واليهود فرطوا وقد

قال

قال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا يأكلان الطعام الآية ففي هذه الآية وامثالها الرد على النصارى
واليهود قال شيخ الاسلام ومن تشبه من هذه الامة باليهود و
النصارى وغلى في الدين بافراط او تفريط فقد شابههم قال وعلي
رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فامر باخاديد خدت عند باب
كندة فقد فهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس مذهبه
ان يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول اكثر العلماء قوله في الصحيح
عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال هذه اسماء رجال صالحين
من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم
التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا ولم تعبد
حتى اذا هلك اولئك ونسي العلم عبدت رواه البخاري في صحيحه اي صحيح البخاري
وهذا الاثر اختصره المصنف رحمه الله ولفظ ما في البخاري عن ابن عباس
صارت الاوثان التي في قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب
بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني
غطيف بالجوف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير
لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين في قوم نوح الى آخره وروي عن عكرمة
والضحاك وابن اسحق نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد قال ثنا
مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس ان يغوث ويعوق ونسرا
كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا
قال اصحابهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة فصوروهم فلما ماتوا
وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون
المطر فعبدوهم قوله وهم ان انصبوا هو بكسر الصاد المهملة وتنوينها نصابا جمع
نصب والمراد به هنا الاصنام المصورة على صور اولئك الصالحين التي
نصبوها في مجالسهم وسموها باسمائهم وفي سياق حديث ابن عباس ما
يدل على ان الاصنام تعمي اوثانا فاسم الوثن يتناول كل معبود من دون
الله سواء كان ذلك المعبود قبرا او مشهدا او صورة او غير ذلك قوله

حتى اذا هلك اولئك اي الذين صوروا تلك الاصنام قوله وينسى العلم
وفي رواية البخاري وينسخ والكشميهني ونسخ العلم اي درست اثاره
بذهاب العلماء وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك
فوقعوا في الشرك ظنا منهم انه ينفعهم عند الله قوله عبدت لما قال
لهم ابليس ان من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فهو الذي
زين لهم عبادة الاصنام وامرهم بها فصار هو معبودهم في الحقيقة
كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان انه لكم
عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا
كثيرا افلم تكونوا تعقلون وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك
وان كان القصد بها حسنا فان الشيطان ادخل اولئك في الشرك
من باب الغلو في الصالحين والافراط في محبتهم كما قد وقع مثل ذلك
في هذه الامة اظهر لهم البدع والغلو في قالب تعظيم الصالحين و
محبتهم ليوقعهم فيما هو اعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله
وفي رواية انهم قالوا لما عظم اولئك هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم
عند الله اي يرجون شفاعة اولئك الصالحين الذين صوروا تلك
الاصنام على صورهم وسموها باسمائهم ومن هنا يعلم ان اتخاذ
الشفعاء رجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله كما تقدم بيانه
في الايات المحكمات قوله قال ابن القيم قال غير واحد من السلف
لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد
فعبدوهم قوله وقال ابن القيم هو الامام العلامة محمد بن ابي بكر بن
ايوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية قال الحافظ السخاوي
العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان
المجمع عليه بين الموافق والمخالف صاحب التصانيف السائرة والمحاسن
بجملة مات سنة احدى وخمسين وسبع مائة قوله قال غير واحد
من السلف هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير الا انه ذكر عكوفهم
على قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم وذلك من وسائل الشرك بل هو شرك
لان العكوف لله في المساجد عبادة فاذا عكفوا على القبور صار عكوفهم

تعظيما

تعظيما ومحبة عبادة لها قوله ثم طال عليهم الامد فعبدوهم اي طال عليهم
الزمان بسبب تلك العبادة والموصل اليها هو ما جرى من الاولين من
التعظيم في العكوف على قبورهم ونصب صورهم في مجالسهم فصارت
بذلك اوثانا تعبد من دون الله كما ترجم به المصنف رحمه الله تعالى فانهم
تركوا بذلك دين الاسلام الذي كان اولئك عليه قبل حدوث وسائل
هذا الشرك فكفروا بعبادة تلك الصور واتخاذهم شفعاء وهذا اول
شرك حدث في الارض قال القرطبي انما صوروا اوائلهم الصور ليتاسوا
بها ويتذكروا افعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدون الله
عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان
اسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها انتهى قال ابن القيم
وما زال الشيطان يوحي الى عباد القبور ويلقي اليهم البناء والعكوف
عليها من محبة اهل القبور ومن الانبياء والصالحين وان الدعاء عندها
مستجاب ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء به والاقسام على الله
به فان شان الله اعظم من ان يقسم عليه او يسئل باحد
من خلقه فاذا تقرر هذا ذلك عندهم نقلهم منه الى دعائه وعبادته
وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه
القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح
عنده فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته
واتخاذه عيدا ومنسكا وراوا ان ذلك انفع لهم في دنياهم و
اخراهم وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد
لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد التوحيد وان لا يعبد
الا الله فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى ان من نهى عن ذلك فقد
تنقص اهل المراتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم انه لا حرمة
لهم ولا قدر وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى واذا
ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون وسر ذلك في نفوس كثير من بلهاء
والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتى عادوا اهل التوحيد

ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا اهل الشرك وعظموهم
وزعموا انهم اولياء الله وانصار دينه ورسوله وما بالوا اولياءه ان اولياؤهم المتقون انتهى كلام ابن القيم
رحمه الله وفي القصة فوائد ذكرها المصنف رحمه الله منها
ان من فهم هذا الباب وما بعده تبين له غربة الاسلام
ورأى من قدرة الله وتقليبه القلوب العجب ومنها ان اول
شرك حدث في الارض سببه محبة الصالحين اي المحبة التي
فيها غلو ومنها معرفة اول شيء غير به دين الانبياء ومنها
معرفة سبب قبول البدع مع ان الشرائع والفطر تنكرها وان
سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل بامرين الاول محبة الصالحين
والثاني فعل اناس من اهل العلم والدين شيئا اراد وا به
خيرا فظن من بعدهم انهم اراد وا به غيره ومنها معرفة
جبلة الانسان في كون الحق يقصر في قلبه والباطل يزيد اي
في الغالب ومنها ان فيها شاهدا لما نقل عن بعض السلف
ان البدعة سبب الكفر وانها احب الى ابليس من المعصية لان
المعصية قد يتاب منها والبدعة لا يتاب منها ومنها معرفة
الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل ومنها
معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول
اليه اي من الشرك ومنها النهي عن التماثل والحكمة في ازالتها
ومنها عظم شان هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع
الغفلة عنها ومنها وهي اعجب قراءتهم اياها في كتب التفسير
والحديث ومعرفتهم لمعنى الكلام وكون الله تعالى حال بين قلوبهم
حتى اعتقدوا ان فعل قوم نوح هو افضل العبادات واعتقدوا ان
نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال يعني لو نهاهم ناه
ينتهي الله لهم عن الشرك لكفروه واستحلوا دمه وماله بذلك ومنها
التصريح بانهم لم يريدوا الا الشفاعة ومنها ظنهم ان الذنب صور
الصور اراد وا ذلك ومنها التصريح بانها لم تعبد حتى نسي العلم

ففيها

ت

ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده ومنها ان فقد العلم
موت العلم انتهى ومنها رد الشبه التي يسميها اهل الكلام عقليا
ويدفعون بها ما جاء به الكتاب والسنة من توحيد الصفات و
اثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه ومنها مضرة
التقليد ومنها ضرورة الامة الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
علما وعملا بما يدل عليه الكتاب والسنة فان ضرورة العبد الى ذلك
فوق كل ضرورة قوله وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد
الله ورسوله اخرجاه قوله عن عمر هو بن الخطاب بن نفيل بنون وفاء
مصغر العدوي امير المؤمنين وافضل الصحابة بعد الصديق رضي الله
عنهم ولي الخلافة عشر سنين ونصفا فاصلت الدنيا عدلا وفتحت
في ايامه ممالك كسرى وقيصر واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث
وعشرين قوله لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم الاطراء مجاوزة
الحد في المدح والكذب فيه قال ابو السعادات وقال غيره اي لا تمدحوني
بالباطل ولا تجاوزوا الحد في مدحي قوله انما انا عبد فقولوا عبد الله
ورسوله اي لا تمدحوني فتجعلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام
فادعوا فيه الالهية وانما انا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني ربي
فقولوا عبد الله ورسوله فاني المشركون الا مخالفة امره وارتكاب نهيه
فعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه وناقضوه اعظم مناقضة وظاهر
النصارى في غلوهم وشركهم ووقعوا في المحذور وجرى منهم من الغلو
والشرك شعرا ونثرا ما يطول عده وصنفوا فيه المصنفات وقد
ذكر شيخ الاسلام عن بعض اهل زمانه انه جوز الاستغاثة بالرسول
في كل ما يستغاث فيه بالله وصنف في ذلك مصنفا رد عليه شيخ الاسلام
ورده موجود بحمد الله ويقول انه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا
الله وذكر عنهم اشياء من هذا النمط نعوذ بالله من عمى البصيرة و
قد اشتهر في نظم البوصيري قوله يا اكرم الخلق مالي من الوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم وما بعده من الابيات التي

صلى الله عليه

مضمونها اخلاء الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في اضيق الحالات واعظم
الاضطرار لغير الله تعالى فانا قضوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اركانا بما
نهى عنه اعظم مناقضة وشاقوا الله ورسوله اعظم مشاقة وظنوا
ان الشيطان اظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه واظهر لهم التوحيد والاخلاص الذي بعث الله به في قالب
تنقصه وهؤلاء المشركون هم المنتقصون الناقصون افرطوا في تعظيمه
بما نهاهم عنه اشد النهي وفرطوا في متابعته فلم يعبؤوا باقواله وافعاله
ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له وانما يحصل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
بتعظيم امره ونهيه والاهتداء بهديه واتباع سنته والدعوة الى دينه
الذي دعى اليه ونصرته وهو الامر عمل به ومعاداة من خالفه فعكس
اولئك المشركون ما اراده الله ورسوله علماً وعملاً وتركوا ما نهى الله عنه
ورسوله فالله المستعان **قوله** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والغلو فانما اهلك من كان قبلكم الغلو هذا الحديث ذكره
المصنف بدون ذكر راويه وقد رواه الامام احمد والترمذي وابن ماجة
من حديث ابن عباس وهذا لفظ رواية احمد عن ابن عباس قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع هلم القط لي فلقطت له حصيات
هن حصا الخذف فلما وضعهن في يده قال نعم بامثال هؤلاء وايا كم
والغلو في الدين فانما اهلك من كان قبلكم بالغلو في الدين قال الشيخ
الاسلام هذا عام في جميع انواع الغلو في الاعتقادات والاعمال وسبب
هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار
بناء على انه ابلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي مجانبة هديه من كان
قبلنا ابعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به وان الشارك لهم في بعض هديهم
يخاف عليه من الهلاك قوله ولمسلم عن ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هلك المتنطعون قالها ثلاثا قال الخطابي
المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف عنه على مذاهب اهل الكلام الداخلين
فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ومن التنطع الامتناع
من المباح مطلقا كالذي يمتنع من اكل اللحم والخبز ومن لبس الكتان

والقطن

والقطن ولا يلبس الا الصوف ويمتنع من نكاح النساء ويظن ان هذا
من الزهد المستحب قال الشيخ تقي الدين فهذا جاهل ضال انتهى
وقال ابن القيم رحمه الله قال الغزالي والمتنطعون في البيع
والاستقصا وقال ابو السعادات هم المتعمقون الغالون في
الكلام المتكلفون بافاصيح طوقهم ماخوذ من النطع وهو الغار الاعلى
من الفم ثم استعمل في كل متعمق تولد فعله وقال النووي فيه
كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال
وحشية اللغة ودقايق الاعراب في مخاطبة العوام ونحوهم قوله
قالها ثلاثا اي قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والابلاغ
فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه
اجمعين **باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله**
عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده اي الرجل الصالح فان
عبادته هي الشرك الاكبر وعبادة الله عنده وسيلة الى عبادته
ووسائل الشرك محرمة لانها تؤدي الى الشرك الاكبر وهو اعظم
الذنوب قوله في الصحيحين عن عائشة ان ام سلمة ذكرت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بارض الحبشة
وما فيها من الصور الحديث قوله في الصحيح اي الصحيحين ولم
ان ام سلمة هي هند بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم القرشية المخزومية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابي
سلمة سنة اربع وقيل ثلاث وكانت قد هاجرت مع ابي سلمة الى
الحبشة مائتا سنة اثنتين وستين في ان ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الصحيحين ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون معبد النصارى
قوله اولئك بكسر الكاف خطابا للمرأة قوله اذا مات فيهم الرجل
الصالح او العبد الصالح هذا والله اعلم شك من بعض رواة الحديث
هل قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا او هذا ففيه التحري في الرواية وجواز
الرواية بالمعنى قوله وصوروا فيه تلك الصور الاشارة الى ما ذكر

ام سلمة وام حبيبة من القصاوير التي في الكنيسة قوله اولئك شرار
الخلق عند الله وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور وقد لعن
من فعل ذلك كما مر ياتي قال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى
يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشانهم ويجعلونها قبلة يتوجهون
في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي
وانما صوروا تلك الصور ليتاسوا بها ويتذكروا افعالهم فيجتهدوا
كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم
ووسوس لهم الشيطان ان اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور و
يعظمونها فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية
الى ذلك قوله فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل الى آخره هذا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ذكره المصنف
تنبيها على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل فان الفتنة
بالقبور كالفتنة بالاصنام بل اشد قال شيخ الاسلام وهذه العلة
التي لاجلها نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي
اوقعت كثيرا من الامم اما في الشرك الاكبر او فيما دونه من الشرك فان
النفوس قد اشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون انها طلاسم الكواكب
ونحو ذلك فان الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه اقرب الى النفوس
من الشرك بخشبة او حجر ولهذا تجد اهل الشرك يتضرعون عندها
ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت
الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها واكثرهم يرجون من بركة الصلاة
عندها والدعاء ما لا يرجون في المساجد فلاجل هذه المفسدة حسم النبي
صلى الله عليه وسلم مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وان لم
يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المسجد
كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لانها اوقات يقصد
المشركون فيها الصلاة للشمس فنهى امته عن الصلاة حينئذ وان لم
يقصد واما قصده المشركون سدا للذريعة واما اذا قصد الرجل الصلاة
عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا من المحادة لله ورسوله

والمخالفة

بعة

والمخالفة لدينه وابتداع دين لم ياذن به الله فان المسلمين قد اجمعوا
على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصلاة
عند القبور منهي عنها وانه لعن من اتخذها مساجد فمن اعظم المحدثات
واسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها
وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن ذلك والتغليظ
فيه وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها ساتا
منهم للسنة الصحيحة الصريحة وصرح اصحاب احمد وغيرهم من
اصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة اطلقت الكراهة و
الذي ينبغي ان تحمل على كراهة التحريم احسانا للظن بالعلماء وان لا
يظن بهم ان يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن
فاعله والنهي عنه انتهى كلامه رحمه الله قوله ولهما عنها اي عن
عائشة قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح
خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك
لعن الله اليهود والنصارى الحديث وقال في آخره اخرجاه قوله
ولهما اي البخاري ومسلم وهو يغني عن قوله في آخره اخرجاه قوله لما
نزل هو بضم النون وكسر الزاي اي نزل به ملك الموت والملائكة الكرام
عليهم السلام قوله طفق بكسر الفاء وفتحها والكسر افصح وبه جاء القرآن
ومعناه جعل قوله خميصة بفتح المعجمة والصاد المهملة كساء له اعلام
قوله فاذا اغتم بها كشفها اي من وجهه قوله لعن الله اليهود و
النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يبين ان من فعل مثل ذلك
حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى قوله يحذر ما
صنعوا الظاهر ان هذا من كلام عائشة رضي الله عنها لانها فهمت
من قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تحذير امته من هذا الصنيع الذي
كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور انبيائهم فانه من الغلو
في الانبياء ومن اعظم الوسائل الى الشرك ومن غربة الاسلام ان
هذا الذي لعن صلى الله عليه وسلم فاعليه تحذيرا لامته ان يفعلوه
معه صلى الله عليه وسلم ومع الصالحين من امته قد فعله الخلق الكثير

من متأخري هذه الامة واعتقدوه قربة من القربات وهو من اعظم السيئات
والمنكرات وما شعروا ان ذلك محادة لله ولرسوله قال القرطبي في
معنى هذا الحديث وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية الى عبادة من
فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام انتهى اذ لا فرق بين عبادة القبر
ومن فيه وعبادة الصنم وتامل قول الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب
حيث يقول واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء نكرة في سياق النفي تعم كل شرك قوله ولولا
ذلك اي ما كان يتخذ من اتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسجدا لابرز
قبره مع قبور اصحابه الذين كانت قبورهم في البقيع قوله غير انه
خشي ان يتخذ مسجدا روي بفتح الخاء وضمها فعلى الفتح يكون هو الذي
خشي ذلك صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يدفنوه في المكان الذي قبض فيه
وعلى رواية الضم يحتمل ان يكون الصحابة هم الذين خافوا ان يقع ذلك
من بعض الامة فابرزوا قبره خشية ان يقع ذلك من بعض الامة
غلوا وتعظيما بما ابدا واعاد من النهي والتحذير منه ولعن فاعله قال
القرطبي وبهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل اليها وجعلوها محدقة بقبره
صلى الله عليه وسلم خافوا ان يتخذ موضع قبره قبلة اذا كان مستقبل
المصلين فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة فبنوا جدارين
من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة
من ناحية الشمال حتى لا يتمكن احد من استقبال قبره انتهى قال
المصنف وفيه من المسائل ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنا
مسجدا يعبد الله فيه على قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل ومنها
النهي عن التماثيل بتغليظ الامر ومنها نهيه عن فعل عند قبره قبل
يوجد القبر ومنها انه من سيئ اليهود والنصارى في قبور انبيائهم
ومنها لعنه اياهم على ذلك ومنها ان مراده بذلك تحذيره ايانا
عن قبره ومنها انتهاء العلة في عدم ابرازه انتهى قوله ولمسلم
عن جندب بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل

قال

جد

قبل ان يموت بخمس وهو يقول اني ابرء الى الله ان يكون لي منكم
خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا
من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم
كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مسجدا
اني انهاكم عن ذلك قوله عن جندب ابن عبد الله اي ابن سفيان البجلي
وينسب الى جده صحابي مشهور مات بعد الستين قوله ابرء الى الله

بد

الحب

ان يكون لي منكم خليل اي امتنع مما لا يجوز لي ان افعله والخلة فوق المحبة
والخليل هو المحبوب غاية المحبة مشتق من الخلة بفتح الخاء وهي تخلل المودة
في القلب كما قال الشاعر قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا
هذا هو الصحيح في معناه كما ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وابن كثير و
غيرهم قال القرطبي وانما كان ذلك لان قلبه صلى الله عليه وسلم قد امتلئ
من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلة غيره قوله فان الله
قد اتخذني خليلا فيه بيان ان الخلة فوق المحبة قال ابن القيم رحمه الله
واما ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم
خليل الله وان محمدا حبيب الله فمن جهلهم فان المحبة عامة والخلة خاصة
وهي نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اتخذه خليلا
ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بمحبته لعائشة ولابيها ولعمر
ابن الخطاب وغيرهم وايضا فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
ويحب الصابرين وخلته خاصة بالخليلين قوله ولو كنت متخذا
من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا فيه بيان ان الصديق افضل
الصحابة وفيه الرد على الرافضة وعلى الجهمية وهما شر اهل البدع وقد كفر
بعض السلف من الشيعة والسبعين فرقة وبسبب الرافضة حدث
الشرك وعبادة القبور وهم اول من بنى عليها المساجد قاله المصنف
وهو كما قال بلا ريب وفيه اشارة الى خلافة ابي بكر رضي الله عنه لان
من كانت محبته لشخص اشد كان اولى به من غيره وقد استخلفه
على الصلاة بالناس وغضب صلى الله عليه وسلم لما قيل يصلي عمر وذلك في مرض
النبي صلى الله عليه وسلم فيه صلوات الله وسلامه عليه واسم ابي بكر عبد الله ابن عثمان

خليل

بد

النبي

بهم

ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة الصديق الاكبر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة باجماع من يعتد بقوله
من اهل العلم مات في جمادي الاولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث
وستون سنة رضي الله عنه قوله الآخر في استفتاح الاوان من كان
قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد الحديث قال الخطابي
واكثار النبي صلى الله عليه وسلم ضنيعهم هذا يخرج على وجهين احدهما
انهم يسجدون لقبور الانبيا تعظيما لهم الثاني انهم يتوخون الصلاة
في ملاقن الانبيا والتوجه اليها حالة الصلاة نظرا منهم بذلك الى
عبادة والمبالغة في تعظيم الانبيا والاول هو الشرك الجلي والثاني
الخفي فلذلك استحقوا اللعن قوله فقد نهى عنه في آخر حياته اي
كما في حديث جندب هذا من كلام شيخ الاسلام وكذا ما بعده قوله ثم انه
لعن وهو في السياق من فعله كما في حديث عائشة قلت فكيف
يسوغ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين ان تعظم القبور ويبنى
عليها ويصلى عندها واليها هذا اعظم مشاقة ومحادة لله تعالى ولرسوله
لو كانوا يعلمون يعقلون قوله والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن
مسجدا اي من اتخاذها مساجد الملعون فاعله وهذا يقتضي تحريم
الصلاة عند القبور واليها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا الارض
كلها مسجد الا المقبر والحمام رواه احمد واهل السنن وصححه ابن حبان
والحاكم قال ابن القيم رحمه الله تعالى وبالجملة فمن له معرفة بالشرك
واسبابه وذرائعه وقف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاصد جازم
جزما لا يحتمل النقيض ان هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته صيغة
لا تفعلوا وصيغة اني انهاكم عن ذلك ليس لاجل النجاسة بل هي لاجل
نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه وارتكب ما عنه نهاه وانتبع
هواه ولم يخش ربه ومولاه وقل نصيبه او عدم من لا اله الا الله
فان هذا وامثاله من النبي صلى الله عليه وسلم صيانة لحمى التوحيد ان يلحقه
الشرك ويغشاه وتجريد له وغضب لربه ان يجعل به سواه فابى
المشركون الا معصية لامره وارتكابا لنهيه وغرهم الشيطان بان هذا

تعظيم

تعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم لها اشد تعظيما واشد فيهم غلوا
كنتم بقربهم اسعد ومن اعدائهم ابعد ولعمر والله من هذا الباب
دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر ودخل على عباد الاصنام منذ كانوا
الى يوم القيمة فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم فحذر
الله اهل التوحيد لسلوك طريقتهم وانزل لهم مناز لهم التي انزلهم الله
اياها من العبودية وسلب خصائص الالهية عنهم قال الشارح و
ممن علل بخوف الفتنة بالشرك الامام الشافعي وابو بكر الاثرم وابو
محمد المقدسي وشيخ الاسلام وغيرهم وهو الحق الذي لا ريب فيه نعم
فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا اي لما علموا من تشديده
في ذلك وتغليظه ولعن من فعله قوله وكل موضع قصدت الصلاة فيه
فقد اتخذ مسجدا ايوان لم يبن مسجد بل كل موضع يصلى فيه يسمى
مسجدا يعني وان لم يقصد بذلك كما اذا عرض لمن اراد ان يصلي فاوقع
الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير ان يقصد
ذلك الموضع بخصوصه فصار بفعل الصلاة فيه مسجدا قوله كما قال
صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اي فسمى الارض مسجدا
تجوز الصلاة في كل بقعة منها الا ما استثني من المواضع التي لا تجوز
الصلاة فيها كالمقبرة ونحوها قال البغوي في شرح السنة اراد ان
اهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة الا في بيعهم وكنايسهم فاباح الله لهذه
الامة الصلاة حيث كانوا تخفيفا عليهم وتيسيرا ثم خص من جميع
المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس انتهى قوله ولاحمد بسند
جيد عن ابن مسعود مرفوعا ان من شرار الناس من تدركهم وهم احيا
والذين يتخذون القبور مساجد رواه ابو حاتم ابن حبان في
صحيحه قوله ان من شرار الناس بكسر الشين جمع شرير قوله من
تدركهم الساعة وهم احيا اي عند مقدماتها كخروج الدابة وطلوع الشمس
من مغربها وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع قوله والذين يتخذون
القبور مساجد معطوف على خبر ان في محل نصب على بنية تكرار العامل
اي ومن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد اي بالصلاة

عندها واليها وبناء المساجد عليها وتقدم في الاحاديث الصحيحة
ان هذا من عمل اليهود والنصارى وان النبي صلى الله عليه وسلم لعنهم على
ذلك تحذيرا للامة ان يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعل اليهود
والنصارى فما ارفع اكثرهم بذلك رأسا بل اعتقدوا ان هذا الامر
قربة الى الله وهو مما يبعدهم عنه ويطردهم عن رحمته ومغفرته
والعجب ان اكثر من يدعي العلم ممن هو من هذه الامة لا ينكرون
ذلك بل ربما استحسنوه ورغبوا في فعله فلقد اشتدت غربة
الاسلام وعاد المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة و
البدعة سنة نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير قال
شيخ الاسلام رحمه الله اما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة
الطوائف بالنهي عنه متابعة للاحاديث الصحيحة وصرح اصحابنا
وغيرهم من اصحاب مالك والشافعي بتحريمه قال ولا ريب في القطع
بتحريمه ثم ذكر الاحاديث في ذلك الى ان قال وهذه المساجد
المبنية على قبور الانبياء والصالحين او الملوك وغيرهم تتعين اذا
لتها بهدم او بغيره هذا مما لا اعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين
وقال ابن القيم رحمه الله تعالى يجب هدم القباب التي بنيت على القبور
لانها اسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم وقد افتى جماعة من
الشافعية بهدم ما في القرافة من الابنية منهم ابن الحبيري والظهير
التزمنتي وغيرهما وقال القاضي بدر لا يجوز ان تجصص القبور
ولا ان يبنى عليها قباب ولا غير قباب والوصية بها باطلة وقال
الاذرعي وانا بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الابنية و
انفاق الاموال الكثيرة فلا ريب في تحريمه وقال القرطبي في حديث
جابر نهى ان يجصص القبر او يبنى عليه وظاهر هذا الحديث قال مالك
وكره البناء والجص على القبور وقد اجازه غيره وهذا الحديث حجة عليه
وقال ابن رشد كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة وهو من
بدع اهل الطول احدثوه ارادة الفخر والمباهات والسمعة وهو مما لا
اختلاف فيه وقال الزيلعي في شرح الكنز ويكره ان يبنى على القبر وذكر

قاضيخان

قاضيخان انه لا يجصص القبر ولا يبنى عليه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر والمراد بالكراهة عند الحنفية
كراهة التحريم وقد ذكر ذلك ابن نجيم في شرح الكنز وقال الشافعي
رحمه الله اكره ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة
عليه وعلى من بعده من الناس وكلام الشافعي رحمه الله يبين ان مراده
بالكراهة كراهة التحريم قال الشارح وجزم النووي رحمه الله
في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقا وذكر في شرح مسلم نحوه ايضا
وقال ابو محمد عبد الله ابن احمد بن قدامة امام الحنابلة صاحب
المصنفات الكبار كالمغني والكافي ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى لحديث
وقد روينا ان ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الاموات واتخاذ هم صورهم
والتمسح بها والصلاة عندها انتهى ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك
لاحتمل عدة اوراق فتبين بهذا ان العلماء رحمهم الله تعالى بينوا
ان علة النهي ما يؤدي اليه ذلك من الغلو فيها وعبادتها من دون
الله كما هو الواقع والله المستعان وقد حدث بعد الائمة ومن
بعدهم بقولهم ان اناسا كثيرا في ابواب العلم بالله اضطربهم وغلط
عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم فجاءهم تقليدا
لنصوص الكتاب والسنة بقيود اوهنت الانقياد وغيرت بها ما
قصده الرسول صلى الله عليه وسلم بالنهي واراد فقال بعضهم النهي عن
البناء على المقبرة لقبور يختص بالمقبرة المسبلة والنهي عن الصلاة
فيها التخلص بصديد الاموات وهذا كله باطل لوجوه منها انه من
القول على الله بلا علم وهو حرام بنص الكتاب ومنها ان ما قالوه
لا يقتضي لعن فاعله والتغليظ وما المانع لمن اراد ان يقول من صلى
في بقعة نجسة فعليه لعنة الله ويلزم على ما قاله هؤلاء ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يبين العلة ولحال الامة في بيانها على من يجيء بعده صلى الله عليه وسلم
وبعد القرون المفضلة والائمة وهذا باطل قطعا عقلا وشرعا لما يلزم
عليه من ان الرسول صلى الله عليه وسلم عجز عن البيان او قصر في البلاغ وهذا

من ابطل الباطل فان النبي صلى الله عليه وسلم بلغ البلاغ المبين وقدرته فوق
فوق قدرة كل احد فاذا بطل اللازم بطل الملزوم ويقال ايضا هذا الفن
والتغليظ الشديد انما هو فيمن اتخذ قبور الانبياء مساجد وجاء في
بعض النصوص ما يعم الانبياء وغيرهم فلو كانت هذه هي العلة لكانت
منتفية في قبور الانبياء لكون اجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع
من الصلاة عند قبورهم فاذا كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور
يتناول قبور الانبياء بالنص علم ان العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذي
نقلت اقوالهم والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة والحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله قوله باب ما
جاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون
الله روى مالك في الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد هذا الحديث رواه مالك
مرسلا عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الحديث ورواه ابن ابي شيبة في مصنفه عن ابن عجلان عن زيد
ابن اسلم به ولم يذكر عطاء ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن ابي
سعيد الخدري مرفوعا وله شاهد عند الامام احمد باسناده عن
سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة رفعه اللهم لا تجعل قبري
يعبد وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور انبيائهم مساجد قوله روى
مالك في الموطا هو الامام مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر
ابن عمرو الاصبحي ابو عبد الله المدني امام دار الهجرة واحد الائمة
الاربعة واحد المتقنين للحديث حتى قال البخاري اصح الاسانيد
مالك عن نافع عن ابن عمر مات سنة تسع وسبعين ومائة
وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقيل اربع وتسعين قال الواقدي
قد بلغ تسعين قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد قد استجاب
الله دعاءه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى
فاجاب رب العالمين دعاءه واحاطه بثلاثة الجدران

حتى

صحة غدت ارجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيانة
ودل الحديث على ان قبر صلى الله عليه وسلم لو عبد لكان وثنا لكن جعله
الله تعالى بحال لا يتمكن احد من الناس فلا يوصل اليه ودل الحديث على ان
الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها وقد عظمت
الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
كيف انتم اذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير تجري على
الناس يتخذ فيها سنة اذا غيرت قيل غيرت السنة انتهى وكخوف
الفتنة نهى عمر رضي الله عنه عمن تتبع اثار النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن
وضاح سمعت عيسى بن يونس يقول امر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة
التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لان الناس كانوا يذهبون
فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة وقال المعرور بن سويد صليت
مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح ثم راى الناس يذهبون
مذهبا فقال اين يذهب هؤلاء فقيل يا امير المؤمنين مسجد صلى
فيه النبي صلى الله عليه وسلم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل
هذا كانوا يتتبعون اثار انبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا فمن ادركته
الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها وفي مغازي
ابن اسحق من زيادات يونس بن بكير عن ابي خلدة خالد بن دينار
حدثنا ابو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان
سريرا عليه رجل ميت عند راسه مصحف فاخذنا المصحف فحملنا
الى عمر فدعى له كعبا فنسخه بالعربية فانا اول رجل قرأه من العرب
قرأته مثل ما اقرأ القرآن فقلت لابي العالية ما كان فيه قال سيركم
وامركم وحزن كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل
قال حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه
وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه قلت وما يرجون
منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون فقلت
من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه
مات قال منذ ثلاث مئة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا

شعيرات من قفاه ان لحوم الانبيا لا تبليها الارض قال ابن القيم رحمه الله
ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا
يفتتن به ولم يبن عليه للدعا عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون
لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله قال شيخ الاسلام
هو انكار منهم لذلك فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب
الشارع قصدها فهو من المنكرات وبعضه اشد من بعض سواء قصدها
ليصلي عندها او ليقرأ عندها او ليذكر الله عندها او لينسك عندها بحيث
يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لانوعا
ولا عينا الا ان ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا قصد الدعا فيها كمن يزورها
ويسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة واما تحري
الدعا عندها بحيث يستشعر ان الدعا هناك اجوب منه في غيره فهذا هو
المنهي عنه انتهى ملخصا قوله اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد ففيه تحريم البنا على القبور وتحريم الصلاة عندها وان ذلك
من الكبائر وفي القرى للطبراني عن اصحاب مالك عن مالك انه كره
ان يقول زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعلل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد الحديث كره اضافة هذا اللفظ الى القبر
لئلا يقع التشبه بفعل اولئك سدا للذريعة قال شيخ الاسلام
ومالك قد ادرك التابعين وهم اعلم الناس بهذه المسئلة فدل على انه
لم يكن معروفا عندهم الفاظ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم الى ان قال
وقد ذكروا في اسباب كراهته لان يقول زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم لان
هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد الزيارة البدعية وهي قصد الميت
لسؤاله ودعائه والرغبة اليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله
كثير من الناس فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس مشروع
باتفاق الائمة فكره مالك ان يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد بخلاف
الصلاة عليه والسلام فان ذلك مما امر الله به واما لفظ الزيارة في
عموم القبور فلا يفهم منها مثل هذا المعنى الا تراه الى قوله فزوروا القبور
فانها تذكركم الاخرة مع زيارته لقبر امه فان هذا يتناول قبور الكفار
صلى الله عليه وسلم

فلا

فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به ونحو
ذلك مما يفعله اهل الشرك والبدع بخلاف ما اذا كان المزور معظما
في الدين كالانبيا والصالحين فانه كثيرا ما يعنى بزيارة قبورهم هذه الزيارة
البدعية الشركية فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا وان لم يكره ذلك
في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة انتهى وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يستعذ لامته مما يخاف وقوعه ذكره المصنف رحمه الله تعالى قوله ولابن
جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد افرايتم اللات
والعزى قال كان يلت لهم السويق فمات [illegible] على قبره وقد
قال ابو الجوزا عن ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج
قوله ولابن جرير هو الامام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب
التفسير والتاريخ وغيرهما قال ابن خزيمة لا اعلم على وجه الارض
اعلم من محمد بن جرير وكان من المجتهدين لا يقلد احدا وله اصحاب
يتفقهون على مذهبه يأخذون بأقواله ولد سنة اربع وعشرين و
مائتين ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة قو
عن سفيان الظاهر انه سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبد الله الكوفي
ثقة حافظ فقيه امام عابد كان مجتهدا وله اتباع يتفقهون على مذهبه
مات سنة احدى وستين ومائة وله اربع وستون سنة قوله عن
منصور هو بن المعتمر بن عبد الله السلمي ثقة ثبت فقيه مات سنة اثنتين
وثلاثين ومائة قوله عن مجاهد هو بن جبر بالجيم والموحدة ابو الحجاج
المخزومي مولاهم المكي ثقة امام في التفسير اخذه عن ابن عباس وغيره
مات سنة اربع ومائة قاله يحيى القطان وقال ابن حبان مات
سنة اثنتين او ثلاث ومائة وهو ساجد ولد سنة احدى وعشرين في
خلافة عمر قوله كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره في رواية
فيطعم من يمر من الناس فلما مات عبدوه وقالوا هو اللات رواه سعيد
ابن منصور ومناسبته للترجمة انهم غلوا في الصالح حتى عبدوه
وصار قبره وثنا من اوثان المشركين قوله وكذا قال ابو الجوزا هو أوس
ابن عبد الله الربعي بفتح الراء والباء مات سنة ثلاث وثمانين قال الشاعر

حدثنا مسلم هو ابن ابراهيم حدثنا ابو الاشعث حدثنا ابو الجوزاء عن
ابن عباس قال كان اللات يلت السويق سويق الحاج قال ابن خزيمة
وكذا العزى وكانت شجرة عليها بناء واستار بنخلة بين مكة و
الطايف كانت قريش يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم احد لنا العزى
ولا عزى لكم قوله وعن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
زايرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه اهل
السنن قلت وفي الباب حديث ابي هريرة وحديث حسان بن ثابت
فاما حديث ابي هريرة فرواه احمد والترمذي وصححه وحديث حسان
اخرجه ابن ماجة من رواية عبد الرحمن بن ثابت عن ابيه قال لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور وحديث ابن عباس هذا في
اسناده ابو صالح مولى ام هاني وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم
قال علي بن المديني عن يحيا القطان لم ار احدا من اصحابنا ترك
ابا صالح مولى ام هاني وما سمعت احدا من الناس يقول فيه شيئا
ولم يتركه شعبة ولا زايدة ولا عبد الله بن عثمان وقال ابن معين
ليس به باس ولهذا اخرجه ابن السكن في صحاحه انتهى من الذهب
الابريز عن الحافظ المزي قال شيخ الاسلام وقد جاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم من طريقين فعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور وذكر حديث ابن عباس ثم قال في
رجال هذا ليس رجال هذا فلم ياخذه احدهما عن الاخر وليس في الاسنادين
من يتهم بالكذب ومثل هذا حجة بلا ريب وهذا من اجود الحسن الذي
شرطه الترمذي فانه جعل الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيه متهم
ولم يكن شاذا اي مخالفا لما ثبت بنقل الثقات وهذا الحديث تعددت
طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه احد من الثقات هذا لو كان عن
صاحب واحد فكيف اذا كان هذا رواه عن صاحب وذاك عن
آخر فهذا كله يبين ان الحديث في الاصل معروف والذين رخصوا في
الزيارة اعتمدوا على ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها زارت قبر
اخيها وقالت لو شهدتك ما زرتك وهذا يدل على ان الزيارة

ليست

ليست مستحبة للنساء كما تستحب للرجال اذ لو كان كذلك لاستحبت زيارة
سواء شهدته ام لا قلت فعلى هذا فلا حجة فيه لمن قال بالرخصة و
هذا السياق لحديث عايشة رواه الترمذي من رواية عبد الله بن
ابي مليكة عنها وهو يخالف سياق الاثرم له عن عبد الله ابن ابي مليكة
ايضا ان عايشة رضي الله عنها اقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها
يا ام المؤمنين اليس نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور
فقالت نعم نهى عن زيارة القبور ثم امر بزيارتها فاجاب بهذا
الكلام عن هذا فقال ولا حجة في حديث عايشة فان المحتج عليها احتج
بالنهي العام فرفعت ذلك بان النهي منسوخ ولم يذكر لها التحريم النبي
الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن على الزيارة يبين ذلك قولها ثم
امر بزيارتها فهذا يبين انه امر بها امرا يقتضي الاستحباب و
الاستحباب انما هو ثابت للرجال خاصة ولو كانت تعتقد ان النسا
مامورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال
ولم تقل لاخيها لما زرتك واللعن صريح في التحريم والخطاب بالاذن
في قوله فزوروها لم يتناول النساء فلم يدخلن في الحكم الناسخ والعام
اذا عرف انه بعد الخاص لم يكن ناسخا له عند جمهور العلما وهو
مذهب الشافعي واحمد في اشهر الروايتين عنه وهو المعروف عند
اصحابه فكيف اذا لم يعلم ان هذا العام بعد الخاص اذ قد يكون قول
لعن الله زوارات القبور بعد اذنه للرجال في الزيارة يدل على ذلك
انه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج ومعلوم ان اتخاذ
المساجد والسرج المنهي عنه محكم كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة
وكذلك الاخر والصحيح ان النساء لم يدخلن في الاذن في زيارة القبور
لعدة اوجه احدها انه قوله صلى الله عليه وسلم فزوروها صيغة تذكير
وانما يتناول النسا ايضا على سبيل التغليب لكن هذا فيه قولان قيل
انه يحتاج الى دليل منفصل وحينئذ فيحتاج تناول ذلك النساء
الى دليل منفصل وقيل انه يحمل على ذلك عند الاطلاق وعلى هذا فيكون
دخول النسا بطريق العموم الضعيف والعام لا يعارض الادلة الخاصة

ولا يفسخها عند جمهور العلماء ولو كان النساء داخلات في هذا الخطاب لاستحب
لهن زيارة القبور وما علمنا احدا من الائمة استحب لهن زيارة القبور
ولا كان النساء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يخرجن
الى زيارة القبور ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم علل الاذن للرجال بان
ذلك يذكر الموت و يرقق القلب وتدمع العين هكذا في مسند احمد و
معلوم ان المرأة اذا فتح لها هذا الباب اخرجها الى الجزع والندب و
النياحة لما فيها من الضعف وقلة الصبر واذا كانت زيارة النساء
مظنة وسببا للامور المحرمة فانه لا يمكن ان يحد المقدار الذي لا يفضي الى
ذلك ولا التمييز بين نوع ونوع ومن اصول الشريعة ان الحكمة اذا
كانت خفية او منتشرة علق الحكم بمظنتها فيحرم هذا الباب سدا للذريعة
كما حرم النظر الى المزينة الباطنة وكما حرم الخلوة بالاجنبية وغير
ذلك وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة فانه ليس
في ذلك الا دعاؤها للميت وذلك ممكن في بيتها ومن العلماء من يقول
التشييع كذلك ويحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ارجعن ماذورات غير
ماجورات فاتكن تفتن الحي وتؤذين الميت وقوله لفاطمة اما انك
لو بلغت معهم الكدى لم تدخلي الجنة يؤيده ما ثبت في الصحيحين
من انه نهى النساء عن اتباع الجنائز ومعلوم ان قوله صلى الله عليه وسلم
من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان
هو داخل في العموم من صيغة التذكير فان لفظ من يتناول الرجال
والنساء باتفاق الناس وقد علم بالاحاديث الصحيحة ان هذا
العموم لم يتناول النساء النهي النبي صلى الله عليه وسلم لهن عن اتباع الجنائز
فاذا لم يدخلن في هذا العموم فكذلك في ذلك بطريق الاولى انتهى ملخصا
قلت ومما استدل به القائلون بالنسخ اجوبة ايضا منها
ان ما ذكروه عن عائشة و فاطمة رضي الله عنهما معارض بما ورد عنهما
في هذا الباب فلا يثبت به نسخ ومنها ان قول الصحابي وفعله ليس
حجة على الحديث بلا نزاع واما تعليمه عائشة كيف تقول اذا زارت
القبور ونحو ذلك فلا يدل على نسخ ما دلت عليه الاحاديث الثلاثة

من

من لعن زائرات القبور لاحتمال ان يكون ذلك قبل هذا النهي الاكيد
والوعيد الشديد والله اعلم قال محمد بن اسماعيل في كتابه تطهير
الاعتقاد والمشاهد التي صارت اعظم ذريعة الى الشرك والاثام
غالب من يعمرها الملوك والسلاطين اما على قريب لهم او على من
يحسنون الظن فيه من فاضل او عالم ويزوره الناس الذين يعرفونه
زيارة الاموات من دون توسل به ولا هتف باسمه بل يدعون له
ويستغفرون له حتى خفرض من يعرفه او اكثرهم فيأتي من بعدهم من يرى
قبرا قد شيد عليه البنا وسرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر
فيعتقدان ذلك لنفع او دفع ضر وتاتيه السدنة يكذبون على
الميت بانه فعل وفعل وانزل بفلان الضر وبفلان النفع حتى يغرسوا
في جبلته كل باطل والامر ما ثبت في الاحاديث النبوية من لعن من
سرج القبور وكتب عليها وبنا عليها واحاديث ذلك واسعة معروفة
فان ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة الى مفسدة عظيمة
انتهى ومنه تعلم مطابقة الحديث للترجمة والله اعلم قوله و
المتخذين عليها المساجد تقدم شرحه في الباب قبله قوله والسرج
قال ابو محمد المقدسي لو ابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من
فعله لان فيه تضييعا للمال في غير فائدة وافراطا في تعظيم القبور
اشبه تعظيم الاصنام وقال ابن القيم رحمه الله تعالى اتخاذها
مساجد وايقاد السرج عليها من الكبائر لم يروه اهل السنن
يعني ابا داود والترمذي وابن ماجة فقط ولم يروه النسائي
قوله با
الجناب هو الجانب والمراد حمايته عن ما يقرب منه او يخالطه
من الشرك واسبابه
قال ابن كثير رحمه الله
يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما ارسل اليهم رسولا من انفسهم اي
من جنسهم وعلى لغتهم كما قال ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم

رسولا منهم وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم اي منكم كما
قال جعفر بن ابي طالب للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى
ان الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله و
مخرجه وصدقه وامانته وذكر الحديث وقال سفيان بن عيينة
عن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقوله عزيز عليه ما عنتم اي
يعز عليه الشيء الذي يعنتامته ويشق عليها وهذا جاء في الحديث
المروي من طرق عنه انه قال بعثت بالحنيفية السمحة وفي الصحيح
ان هذا الدين يسر وشريعته كلها سمحة سهلة كاملة يسيرة على
من يسرها الله عليه قوله حريص عليكم اي على هدايتكم ووصول النفع
الدنيوي والاخروي اليكم وعن ابي ذر قال تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما طائر يقلب جناحيه في الهوى الا وهو يذكر لنا منه علما رواه
الطبراني قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي شيء يقرب من
الجنة ويباعد من النار الا وقد بينته لكم قوله بالمؤمنين رؤف
رحيم كما قال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك
فقل اني بريء مما تعملون الاية وهكذا امره تعالى في هذه الاية الكريمة
قلت فاقتضت هذه الاوصاف التي وصف الله بها رسوله صلى
الله عليه وسلم في حق امته ان انذرهم وحذرهم الشرك الذي هو اعظم
وبين لهم ذرائعه الموصلة اليه وابلغ في نهيهم عنها ومن ذلك تعظيم
القبور والغلو فيها والصلاة اليها ونحو ذلك مما يوصل الى عبادتها كما
تقدم وكما سيأتي في احاديث الباب قوله وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا في بيوتكم قبورا ولا تجعلوا
قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواه ابو
داود باسناد حسن رواته ثقات قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا قال
شيخ الاسلام اي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكونوا
بمنزلة القبور فامر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند
القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من

هذه

هذه الامة وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اجعلوا من صلاتكم في
بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعا لا
تجعلوا بيوتكم مقابر فان الشيطان ينفر من البيت الذي يسمع سورة
البقرة تقرأ فيه قوله ولا تجعلوا قبري عيدا قال شيخ الاسلام
العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا اما
بعود السنة او بعود الاسبوع او الشهر ونحو ذلك وقال ابن القيم
العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعا
ووده والاعتياد فاذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع
وانتيابه للعبادة او لغيرها كما ان المسجد الحرام ومنى ومزدلفة و
عرفة والمشاعر جعلها الله عيدا للحنفاء ومثابة كما جعل ايام العيد
فيها عيدا وكان للمشركين اعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالاسلام
ابطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وايام منى كما عوضهم
عن اعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر
قوله وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم قال شيخ الاسلام
يشير بذلك الى ان ما يناليني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم
من قبري وبعدكم فلا حاجة بكم الى اتخاذه عيدا انتهى قوله وعن

هذا الحديث والذي قبله جيدان حسنا الاسناد
اما الاول فرواه ابو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصايغ
قال اخبرني بن ابي ذيب المقبري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة فذكره
ورواته ثقات مشاهير لكن عبد الله بن نافع قال فيه ابو حاتم الرازي
ليس بالحافظ تعرف وتنكر وقال بن معين هو ثقة وقال ابو زرعة
لا باس به قال شيخ الاسلام ومثل هذا اذا كان لحديثه شواهد علم
انه محفوظ وهذا له شواهد متعددة وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي

ثقات

هو حديث حسن جيد الاسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها الى درجة
الصحة واما الحديث الثاني فرواه ابو يعلى والقاضي اسمعيل و
الحافظ الضياء في المختارة قال شيخ الاسلام فانظر هذه السنة
كيف خرجها من اهل المدينة واهل البيت الذين هم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لانهم الى ذلك احوج من غيرهم
فكانوا له اضبط انتهى وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا
عبد العزيز بن محمد اخبرني سهيل بن ابي سهيل قال رأيت الحسن بن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة
يتعشى فقال هلم الى العشا فقلت لا اريده فقال ما لي اراك عند
القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد
فسلم ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني
حيثما كنتم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
ما انتم ومن بالاندلس الا سوى وقال سعيد ايضا حدثنا محمد بن
عجلان عن ابي سعيد مولى مهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني
قال شيخ الاسلام فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين
يدلان على ثبوت الحديث لاسيما وقد احتج به من ارسله وذلك
يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين
فكيف وقد تقدم مسندا قوله عن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
المعروف بزين العابدين رضي الله عنه افضل التابعين من اهل بيته
واعلمهم قال الزهري ما رايت قرشيا افضل منه مات سنة ثلاث
وتسعين على الصحيح وابوه الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم
وريحانته حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد يوم عاشوراء
سنة احدى وستين وله ست وخمسون سنة قوله انه راى رجلا يجيء
الى فرجة بضم الفاء وسكون الراء وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوها
قوله فيدخل فيها فيدعوا فنهاه هذا يدل على النهي عن قصد القبور

المرسلان

المشاهد لاجل الدعا والصلاة عندها قال شيخ الاسلام ما علمت
احدا رخص فيه لان ذلك نوع من اتخاذه عيدا ويدل ايضا على ان قصد
القبر للسلام اذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه لان ذلك لم يشرع وكره
مالك لاهل المدينة كلما دخل الانسان المسجد ان ياتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم
لان السلف لم يكونوا يفعلون قال ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما
اصلح اولها وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم ياتون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلون فاذا قضوا الصلاة قعدوا او خرجوا ولم يكونوا ياتون القبر
للسلام لعلمهم ان الصلاة والسلام عليه في الصلاة اكمل وافضل واما
دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك او للصلاة والدعا
فلم يشرعه لهم بل نهاهم في قوله لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فان
صلاتكم تبلغني فبين ان الصلاة تصل اليه من بعد وكذلك السلام
ولعن من اتخذ قبور الانبيا مساجد وكانت الحجرة في زمانهم يدخل
اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها وبعد ذلك الى ان بني الحايط
الآخر وهم مع ذلك انكر من الوصول الى قبره لا يدخلونه اليه لا
لسلام ولا لصلاة ولا لدعا لانفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث
او علم وكان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما او سلاما فظنوه
انه هو كلمهم وافتاهم وبنى لهم الاحاديث او انه قد رد عليهم السلام
بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فاضلهم عند قبره
وقبر غيره حتى ظنوا ان صاحب القبر يامرهم وينهاهم ويفتيهم و
يحدثهم في الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر
ويظنون ان نفس ابدان الموتى خرجت تكلمهم وان روح الميت تجسدت
لهم فراوها كما راهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج والمقصود ان
الصحابة لم يكونوا يعتادون به الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله
من بعدهم من الخلوف وانما كان بعضهم ياتي من خارج فيسلم عليه اذا
قدم من سفر اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم كما كان ابن عمر يفعله قال صلى الله عليه وسلم
عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر اذا قدم من سفر اتى قبر النبي صلى الله
فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك

يا ابتاه ثم ينصرف قال عبيد الله ما نعلم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فعل ذلك الا ابن عمر وهذا يدل على انه لا يقف عند قبور الغير للدعاء اذا
سلم كما يفعله كثير قال شيخ الاسلام لان ذلك لم ينقل عن احد
من الصحابة فكان بدعة محضة وفي المبسوط قال مالك لا ارى
ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم ويمضي ونص احمد انه
يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وبالجملة فقد
اتفق الائمة على انه اذا دعى لا يستقبل القبر وتنازعوا هل يستقبله
عند السلام عليه ام لا وفي الحديث دليل على منع شد الرحال الى قبر غير
الله عليه وسلم والى قبر غيره من القبور والمشاهد لان ذلك من
اتخاذها اعيادا بل من اعظم اسباب الاشراك باصحابها وهذه هي
المسئلة التي افتى فيها شيخ الاسلام اعني من سافر لمجرد زيارة
قبور الانبياء والصالحين وتكلم فيها اختلاف العلماء فمن صحح ذلك
كالغزالي وابي محمد المقدسي ومن مانع لذلك كابن بطة ومن عقل
وابي محمد الجويني والقاضي عياض وهو قول الجمهور نص عليه مالك ولم يخالفهم
احد من الائمة وهو الصواب لما في الصحيحين عن ابي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى فدل في النهي شد الرحال الى زيارة القبور
والمشاهد فاما ان يكون نهيا واما ان يكون نفيا وجاء في رواية
بصيغة النهي فتعين ان يكون للنهي وهذا فهم منه الصحابة المنع
كما في الموطا والسنن عن بصرة بن ابي بصرة الغفاري انه قال
لابي هريرة وقد اقبل من الطور لو ادركتك قبل ان تخرج اليه لما خرجت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد
المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وروى الامام احمد باسناده
وعمرو بن شبة في اخبار المدينة باسناد جيد عن قزعة قال اتيت ابن
عمر فقلت اني اريد الطور فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد المسجد
الحرام ومسجد المدينة والمسجد الاقصى فدع عنك الطور ولا تاته
فابن عمر وبصرة بن ابي بصرة جعلا الطور مما نهي عن شد الرحال اليه لان
اللفظ الذي ذكراه فيه النهي عن شدها الى غير الثلاثة مما يقصد به القربة

فعلم

فعلم ان المستثنى منه عام في المساجد وغيرها وان النهي ليس خاصا
بالمساجد وهذا نهيا عن شدها الى الطور مستدلين بهذا الحديث
والطور انما يسافر من يسافر اليه لفضيلة البقعة فان الله سماه
الوادي المقدس والبقعة المباركة وكلم كليمه موسى هناك وهذا
هو الذي عليه الائمة الاربعة وجمهور العلماء ومن اراد بسط القول في
ذلك والجواب عما يعارضه فعليه بمكاتبة شيخ الاسلام فانه مجيبا لابن لا
فيما اعترض عليه به على ما دلت عليه الاحاديث واخذ به العلماء وقياس
الاولى لان المفسدة في ذلك ظاهرة واما النهي عن زيارة غير المساجد
الثلاثة فغاية ما فيها انها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال
ولا مزية تدعو اليه وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد
الهادي في كتابه الصارم المنكي في رده على السبكي وذكر فيه علل الاحاديث
الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر هو وشيخ الاسلام رحمه
الله انه لا يصح منها حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من
اصحابه مع انها لا تدل على محل النزاع اذ ليس فيها الا مطلق الزيارة
وذلك لا ينكره احد بدون شد الرحال فيحمل على الزيارة الشرعية التي ليس
فيها شرك ولا بدعة وقد رواه في المختارة المختار مكتابا جمع فيه
مؤلفه الاحاديث الجياد الزايدة على الصحيحين ومؤلفه هو ابو عبد الله
محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي احد الاعلام قال
الذهبي فاق عمره في هذا الشان مع الدين المتين والورع والفضيلة
التامة والاتقان فالله يرحمه ويرضى عنه وقال شيخ الاسلام تصحيح
في مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب مات سنة ثلاث وربعين
وستمائة قوله باب [illegible]

[illegible] والطاغوت الوثن يطلق على كل ما قصد بنوع من انواع العبادة
من دون الله من القبور والمشاهد وغيرها قوله الخليل عليه السلام
انما تعبدون من دون اوثانا وتخلقون افكا مع قوله قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين وقوله اتعبدون ما تنحتون فبذلك ان الوثن يطلق

على الاصنام وغيرها مما عبد من دون الله كما تقدم في الحديث قوله
يؤمنون بالجبت والطاغوت وروى ابن ابي حاتم عن عكرمة قال خطب
حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف الى اهل مكة فقالوا انتم اهل الكتاب
واهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد فقالوا ما انتم وما محمد فقالوا
نحن نصل الارحام ونحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن ونفك العناة
ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع ارحامنا واتبعه سراق الحجيج
من غفار فنحن خير ام هو فقالوا انتم خير واهدى سبيلا فانزل
الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت وا
لطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا
وفي مسند الامام احمد عن ابن عباس رض نحوه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الجبت السحر والطاغوت الشيطان وكذلك قال ابن عباس رض وابو
العالية ومجاهد والحسن وغيرهم وعن ابن عباس وعكرمة وابي
مالك الجبت الشيطان زاد ابن عباس بالحبشية وعن ابن عباس ايضا
الجبت الشرك وعنه الجبت الاصنام وعنه الجبت حيي بن اخطب
وعن الشعبي الجبت الكاهن وعن مجاهد الجبت كعب بن الاشرف قال
الجوهري الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك
قال المصنف وفيه معرفة الايمان بالجبت والطاغوت في هذا
الموضع هل هو اعتقاد قلب او هو موافقة اصحابها مع بغضها او
معرفة بطلانها وقوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد
الطاغوت يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هل اخبركم
بشر جزاء عند الله يوم القيمة مما تظنونه بنا هم انتم ايها المتصفون
بهذه الصفات المفسرة بقوله من لعنه الله اي ابعده من رحمته
وغضب عليه اي غضبا لا يرضى بعده ابدا وجعل منهم القردة والخنازير
وقد قال الثوري عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله عن
المعرور بن سويد ان بن مسعود رض قال سئل رسول الله عن القردة
والخنازير اهي مما مسخ الله فقال ان الله لم يهلك قوما او قال لم

يمسخ

يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عاقبة وان القردة والخنازير كانت
قبل ذلك ورواه مسلم قال البغوي في تفسيره قل يا محمد هل انبئكم
اخبركم بشر من ذلك يعني قولهم لم نر اهل دين اقل حظا في الدنيا و
الاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله
قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وقوله مثوبة ثوابا وجزاء نصب
على التفسير عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة و
الخنازير وهم اصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام
وعن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رض ان المسخين كلاهما من اصحاب
السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت
اي جعل منهم من عبد الطاغوت اطاع الشيطان فيما سول له وقرئ بن
مسعود من عبد الطاغوت وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر
التاء اراد العبد وهما لغتان عبد يعجز الباء وعبد بضمها مثل سبع
وسبع وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد وفي تفسير الطبرسي
قرأ حمزة وحده وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون وعبد الطاغوت
بنصب الباء وفتح التاء وقرأ بن عباس وبن مسعود وابراهيم النخعي والاعمش
وابان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض
التاء قال وحجة حمزة في قراءته وعبد الطاغوت انه يحمله على ما
عمل فيه جعل كانه وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله و
جعل الظلمات والنور وليس عبد لفظ جمع لانه ليس من ابنية الجموع
شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا تراك ان في الاسماء
المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه الافراد ومعناه الجمع كما
في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولانه بناء فعل يراد به
المبالغة والكثرة نحو يقظ ودبش وكان تقديره انه قد ذهب
في عبادة الطاغوت كل مذهب واما من فتح فقال وعبد الطاغوت
فانه عطفه على بناء المضي الذي في الصلة وهو قوله لعنه الله و
افرد الضمير في عبد وان كان المعنى فيه الكثرة لان الكلام محمول
على لفظ دون معناه وفاعله ضمير من كما انه فاعل الامثلة المعطوف

عليها ضمير من فاقرد لحمل ذلك جميعا على اللفظ واما قوله عبد
الطاغوت فهو جمع عبد وقال احمد بن يحيا عبد جمع عابد كبازل
وبزل وشارف وشرف وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد
انتهى وقال شيخ الاسلام في قوله وعبد الطاغوت الصواب
انه معطوف على ما قبله من الافعال اي من لعنه وغضب عليه ومن
جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت قال في الافعال
المتقدمة الفاعل فيها اسم الله تعالى مظهرا ومظمرا وهنا الفاعل
اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في عبد ولم يعد سبحانه من لانه
جعل هذه الافعال صفة لصنف واحد وهم اليهود قوله اولئك شر
مكانا مما تظنون بنا واضل عن سواء السبيل وهذا من باب استعمال
افعل التفضيل ما ليس في الطرف الاخر مشاركة كقوله اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا قاله العماد بن كثير
في تفسيره وهو ظاهر قوله وقول الله تعالى قال الذين غلبوا
على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا والمراد انهم فعلوا مع القنية
بعدهم ما يذم فاعله لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اراد
تحذير امته ان يفعلوا كفعلهم قوله وعن ابي سعيد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو
القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول
الله اليهود والنصارى قال فمن اعرف وهذا سياق مسلم
قوله سنن بفتح المهملة اي طريق من كان قبلكم قال المهلب
الفتح اولى قوله حذو القذة بالقذة بنصب حذو على المصدر و
القذة بضم القاف واحدة القذاذ وهو ريش السهم اي لتتبعن
طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم
القذة الاخرى فوقع كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبهذا تظهر مناسبة
الايات للترجمة وقد وقع ما اخبر به وهو من اعلام النبوة قوله
حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وفي حديث آخر حتى لو كان فيهم من

يأتي امه علانية لكان في امتي من يفعل ذلك اراد صلى الله عليه وسلم
ان امته لا تدع شيئا مما كان يفعله اليهود والنصارى لا فعلته كله
لا تترك منه شيئا وهذا قال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا
ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى
انتهى قلت فما اكثر الفريقين لكن من رحمة الله تعالى ونعمته ان
جعل هذه الامة لا تجتمع على ضلالة كما في حديث ثوبان الآتي قريبا
قوله قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن هو برفع اليهود خبر
مبتدء محذوف اي اهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم ويجوز
النصب بفعل محذوف تقديره تعني قوله قال فمن استفهام انكار
اي فليس غيرهم اولئك قوله ولمسلم عن ثوبان ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله زوى لي الارض فرايت مشارقها و
مغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها واعطيت
الكنزين الاحمر والابيض واني سالت ربي لامتي ان لا يهلكها
بسنة بعامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم
فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اذا قضيت قضاء فانه
لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا اهلكهم بسنة بعامة
وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم
ولو اجتمع عليهم من باقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا
ويسبي بعضهم بعضا ورواه البرقاني في صحيحه وزاد وانما
اخاف على امتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم
يرفع الى يوم القيمة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي
باحياء دوسي وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان وانه سيكون
في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم النبيين
لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من امتي على الحق منصورة لا
يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله تبارك وتعالى هذا
الحديث رواه ابو داود في سننه وابن ماجة بالزيادة التي ذكرها
المصنف قوله عن ثوبان هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم صحبه ولازمه

ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين قوله زوى لي الارض
قال النور بشيء زويت الشيء جمعته وقبضته يريد تقريب البعيد
منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب وحاصله انه طوى له الارض
وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره قال الطيبي اي جمعها الي
حتى ابصرت ما تملكه امتي من اقصى المشارق والمغارب منها قوله و
ان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها قال القرطبي هذا الخبر وجد
مخبره كما قال وكان ذلك من دلائل نبوته وذلك ان ملك امته
اتسع الى ان بلغ اقصى طنجة بالنون والجيم الذي هو منتهى عمارة المغرب
الى اقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند
والصغد ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولذلك
لم يذكر عليه السلام انه اراه ولا اخبر ان ملك امته يبلغه قوله
زوي لي منها يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل او يكون مبنيا للمفعول قوله
واعطيت الكنزين الاحمر والابيض قال القرطبي بهما كنز كسرى
وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما
وقد قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في
سبيل الله وعبر بالاحمر عن كنز قيصر لان الغالب عندهم كان الذهب
وبالابيض عن كنز كسرى لان الغالب عندهم كان الجوهر والفضة وقد جاء
ذلك في خلافة عمر فانه سيق اليه تاج كسرى وحليته وما كان في
بيوت اموالهم وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها وكذلك
فعل الله بقيصر والابيض والاحمر منصوبان على البدل قوله واني
سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة بعامة هكذا ثبت في اصل
المصنف رحمه الله بعامة بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم وفي بعضها بطوفان
قال القرطبي وكانها زائدة لان عامة صفة السنة والسنة المجدبة
والقحط سنة الذي يكون به الهلاك العام ويسمى الجدب والقحط سنة
ويجمع على سنين كما قال تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي الجدب
المتوالي قوله من سوى انفسهم اي من غيرهم من الكفار من اهلاك بعضهم
بعضا وسبي بعضهم بعضا كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبل والى زماننا

هذا

هذا نسئل الله العفو والعافية قوله فيستبيح بيضتهم قال الجوهري
بيضة كل شيء حوزته وبيضة القوم سلحتهم وعلى هذا فيكون
معنى الحديث ان الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى
يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والارض ولو اجتمع عليهم من باقطار
الارض وهي جوانبها وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم قوله حتى
يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا والظاهر ان حتى
عاطفة او تكون لانتهاء الغاية اي ان امر الامة ينتهي الى ان يكون
بعضهم يهلك بعضا الحديث وقد تسلط بعضهم على بعض كما هو
الواقع وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم قوله وان ربي قال
يا محمد انا اذا قضيت قضاء فانه لا يرد قال بعضهم اي اذا حكمت حكما
مبرما نافذا فانه لا يرد بشيء ولا يقدر احد على رده كما قال صلى الله
ولا راد لما قضيت قوله رواه البرقاني في صحيحه هو الحافظ الكبير
ابو محمد احمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ولد سنة ست
وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس وعشرين واربعمائة قال
الخطيب كان ثبتا ورعا لم نر في شيوخنا اثبت منه عارفا بالفقه
كثير التصانيف صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان مع
حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة قوله وانما اخاف على امتي
الائمة المضلين اي الامراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم
فيضلونهم كما قال تعالى وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا وكان بعض هؤلاء يقول لاصحابه من كان له حاجة
فليات الى قبري فاني اقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن اصحابه
ذراع من تراب او نحو هذا وهذا هو الضلال البعيد يدعو اصحابه
الى ان يعبدوه من دون الله ويسئلوه قضاء حاجاتهم وتفريج
كرباتهم وقد قال تعالى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس
المولى ولبئس العشير وقال تعالى واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا

ولاحياتا ولانشورا وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
وامثال هذا في القرآن كثير يبين تعالى الهدى من الضلال ومن
هذا الضرب من يدعي انه يصل مع الله الى حال تسقط عنه
التكاليف ويدعي ان الاولياء يدعون او يستغاث بهم في حياتهم
ومماتهم وانهم ينفعون ويضرون ويدبرون الامور على سبيل
الكرامة وانه يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم اسرار الناس وما في
ضمائرهم او يجوز بناء المساجد على قبور الاولياء والصالحين
وايقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والافراط والعبادة
لغير الله فما اكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه و
لرسوله وقوله صلى الله عليه وسلم وانما اخاف على امتي الائمة المضلين
الى بانما التي قد تأتي للحصر بيانا لشدة خوفه على امته من
ائمة الضلال وما وقع في خلد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الا
لما اطلعه الله عليه من غيبه انه سيقع نظير ما في الحديث قبله
من قوله لتتبعن سنن من كان قبلكم الحديث وقد بين الله تعالى
في كتابه صراطه المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين فكل من
احدث حدثا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
فهو ملعون وحدثه مردود كما قال صلى الله عليه وسلم من احدث
حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا وقال من احدث
وكل بدعة في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
وهذه احاديث صحيحة ومدار اصول الدين واحكامه على
هذه الاحاديث ونحوها وقد بين الله تعالى هذا الاصل في مواضع
من كتابه العزيز كما قال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا
تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وقال ثم جعلناك
على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم
لن يغنوا عنك من الله شيئا الآية ونظائرها في القرآن كثير وعن
زياد بن حدير قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الاسلام قلت

لا

لا قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الائمة
المضلين رواه الدارمي وقال يزيد بن عميرة كان معاذ بن
جبل لا يجلس مجلسا للذكر الا قال الله حكم قسط هلك المرتابون
وفيه واحذروا زيغة الحكيم فان الشيطان قد يقول الضلالة
على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق قلت لمعاذ وما
يدريني رحمك الله ان الحكيم قد يقول كلمة الضلالة والمنافق
قد يقول كلمة الحق قال فاجتنب من كلام الحكيم المشتبهات
التي يقال ما هذه ولا يثنينك ذلك عنه فانه لعله يراجع الحق
وتلق الحق اذا سمعته فان على الحق نورا رواه ابو داود وغيره
قوله واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيمة وكذلك
وقع فان السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع
وكذلك يكون الى يوم القيمة ولكن قد يكثر تارة ويقل اخرى و
يكون في جهة ويرتفع عن اخرى قوله ولا تقوم الساعة حتى يلحق
حي من امتي بالمشركين الخ واحد الاحياء هي القبائل وفي رواية ابي
داود حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين والمعنى انهم يكونون معهم
ويرتدون برغبتهم عن اهل الاسلام ويلحقهم باهل الشرك قوله و
حتى تعبد فئام من امتي الاوثان والفئام مهموز الجماعات الكثيرة
قاله ابو السعادات وفي رواية ابي داود وحتى تعبد قبائل من امتي
الاوثان وهذا هو شاهد الترجمة ففيه الرد على من قال نخلع ما
من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم
الاوثان وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما ناقضه من الشرك
والتنديد فالتوحيد هو اعظم مطلوب والشرك هو اعظم الذنوب
وفي معنى هذا الحديث ما في الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا لا
تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس على ذي الخلصة
قال وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية
وروى بحشل عن معمر قال اذا عليم الآن بيتا مبنيا مغلقا
قال العلامة ابن القيم رحمه الله في قصة هدم اللات لما اسلمت

تقيف فيه انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة
على هدمها وابطالها يوما واحدا وكذلك حكم المشاهد التي
بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله والابنية
التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز ابقاء شئ منها على وجه الارض
مع القدرة على ازالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى و
منات او اعظم شركا عندها وبها فاتبع هؤلاء سنن من كان
قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشر على اكثر
النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم فصار المعروف منكرا و
المنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة وطمست الاعلام
واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب لسفها وتفاقم الامر
واشتد الناس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي
الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين
ولاهل الشرك والبدع مجاهدين الى ان يرث الله الارض ومن
عليها وهو خير الوارثين انتهى ملخصا قلت فاذا كان هذا
في القرن السابع وقبله فما بعده اعظم فسادا قوله وانه سيكون
في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي قال القرطبي وقد
جاء عددهم معينا في حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكون في امتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم اربع نسوة
اخرجه ابو نعيم وقال هذا حديث غريب انتهى وحديث ثوبان
اصح من هذا قال القاضي عياض عد من تنبأ من زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه
جماعة على ضلالته فوجد هذا العدد فيهم ومن طالع كتب
الاخبار والتواريخ عرف صحة هذا وقال الحافظ قد ظهر
مصداق ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب
باليمامة والاسود العنسي باليمن وفي خلافة ابي بكر طليحة ابن
خويلد في بني اسد بن خزيمة وسجاح في بني تميم وقل الاسود
قبل ان يموت النبي صلى الله عليه وسلم وقتل مسيلمة في خلافة ابي بكر رضي الله عنه

وتاب

وتاب طليحة ومات على الاسلام في زمن عمر رضي الله عنه وقتل آن سجاح تابت ايضا
ثم خرج المختار بن ابي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في خلافة ابن
الزبير فاظهر محبة اهل البيت وادعى الناس الى طلب قتلة الحسين
فتتبعهم فقتل كثيرا ممن باشر ذلك واعان عليه فاحبه الناس ثم ادعى
النبوة وزعم ان جبريل عليه السلام يأتيه ومنهم الحارث الكذاب
خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل وخرج في خلافة بني العباس
جماعة وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقا فانهم لا يحصون
كثرة لكون غالبهم يشئ عن جنون او سوداء وانما المراد من قامت
له شوكة وبلا له شبهة كمن وصفنا وقد اهلك الله تعالى من وقع
له منهم ذلك وبقي منهم من يلحقه باصحابه وآخرهم الدجال الاكبر
قوله وانا خاتم النبيين قال الحسن خاتم الذي ختم به اي اتى
آخر النبيين كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين وانما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام
في آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته
فهو كاحد امته بل هو افضل هذه الامة قال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ليوشكن فيكم بن مريم حكما مقسطا فليكسرن
الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية قوله ولا تزال
طائفة من امتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم
قال يزيد بن هرون واحمد بن حنبل ان لم يكونوا اهل الحديث فلا
ادري من هم قال ابن المبارك وعلي بن المديني واحمد بن حنبل
والبخاري وغيرهم انهم اهل الحديث وعن ابن المديني رواية هم
العرب واستدل برواية من رووها اهل الغرب وفسر الغرب بالدلو
العظيمة لان العرب هم الذين يستقون بها قال النووي ويجوز ان
تكون الطائفة جماعة متعددة من انواع المؤمنين ما بين شجاع
ومبصر بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم ان يكونوا مجتمعين
في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في اقطار

نزال

الارض ويجوز ان يجتمعوا في البلد الواحد وان يكونوا في بعض دون بعض
منه ويجوز اخلاء الارض من بعضهم اولا فاولا الى ان لا يبقى الا فرقة
واحدة في بلد واحد فاذا انقرضوا جاء امر الله انتهى ملخصا مع زيادة
فيه قال الحافظ قال القرطبي وفيه على ان الاجماع حجة لان الامة
اذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة قال المصنف
وفيه الآية العظيمة انهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم
والبشارة بان الحق لا يزول بالكلية قلت واحتج به الامام احمد
على ان الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة قوله
حتى يأتي أمر الله الظاهر ان المراد به ما روي من قبض ارواح
من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الايات العظام ثم
لا يبقى الا اشرار الناس كما روى الحاكم ان عبد الله بن عمرو قال
لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق هم شر اهل الجاهلية فقال
عقبة بن عامر لعمر الله اعلم ما تقول واما انا فسمعت النبي صلى
عليه وسلم يقول لا تزال عصابة من امتي يقاتلون على امر الله ظاهرين
لا يضرهم من خالفهم حتى تاتيهم الساعة وهم على ذلك فقال عبد الله
ويبعث الله ريحا ريحها ريح المسك ومسها مس الحرير فلا تترك
احدا في قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته ثم يبقى شرار
الناس فعليهم تقوم الساعة وفي صحيح مسلم لا تقوم الساعة
حتى لا يقال في الارض الله الله وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث
عقبة وما اشبهه حتى تاتيهم الساعة ساعتهم وهي وقت موتهم
بهبوب الريح ذكره الحافظ وقد اختلف في محل هذه الطائفة فقال
ابن بطال انما تكون في بيت المقدس كما رواه الطبراني من حديث
ابي امامة قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس وقال معاذ
ابن جبل هم بالشام وفي كلام الطبري ما يدل على انه لا يجب ان تكون
في الشام او في بيت المقدس دائما بل قد تكون في موضع آخر في بعض
الازمنة قلت ويشهد له الواقع وحال اهل الشام واهل بيت
المقدس من ازمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الامر بعد شيخ

الاسلام ابن تيمية واصحابه في القرن السابع واول الثامن فانهم في زمانهم
على الحق يدعون اليه ويناظرون عليه ويجاهدون فيه وقد يجيء من
امثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة الى الحق والتمسك
بالسنة والله على كل شيء قدير ومما يؤيد هذا ان اهل الحق والسنة
في زمن الائمة الاربعة وتوفر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده
لم يكونوا في محل واحد بل هم في غالب الامصار فالشام منهم ائمة وفقهاء
الحرمين وفي مصر وفي العراق واليمن وكلهم على الحق وما ضلوه ويجاهدون
اهل البدع ولهم المصنفات التي صارت اعلاما لاهل السنة وحجة على كل
مبتدع فعلى هذا هذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق وقد تكون
في الشام وقد تكون في غيره فان حديث ابي امامة وقول معاذ لا يفيد
حصرها في الشام وانما يفيد انها تكون في الشام في بعض الازمان
لا في كلها وقوله تبارك وتعالى قال ابن القيم البركة نوعان
احدهما بركة هي فعله والفعل منها بارك ويتعدى بنفسه تارة
وباداة على تارة وباداة في تارة والمفعول منها مبارك وهو ما جعل
منها كذلك فكان مباركا بجعله تعالى والنوع الثاني بركة تضاف اليه
اضافة الرحمة والعزة والفعل منها تبارك ولهذا لا يقال لغيره ذلك
ولا يصح الا له عز وجل وهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك
كما قال المسيح عليه السلام وجعلني مباركا اينما كنت فمن بارك الله
فيه وعليه فهو المبارك واما صفته تبارك فمختصة به كما اطلقها
على نفسه في قوله تبارك الله رب العالمين تبارك الذي بيده الملك
افلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على
غيره وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوه
فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته
فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها وهذا معنى
قول من قال من السلف تبارك تعاظم وقال ابن عباس جل بكل
بركة قوله باب ما جاء في السحر اي والكهانة السحر في اللغة
عبارة عن ملخفي ولطف سببه ولهذا جاء في الحديث ان من البيان

السحر

لسحرا وسمي السحر سحرا لانه يقع خفيا آخر الليل قال ابو محمد المقدسي
في الكافي السحر عزائم ورقا وعقد يؤثر في القلوب والابدان فيمرض
ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه قال الله تعالى فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين المرء وزوجه وقال سبحانه ومن شر النفاثات
في العقد يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن
ولولا ان للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه وعن عائشة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه ليخيل اليه انه يفعل الشيء وما
يفعله وانه قال لها ذات يوم اتاني ملكان فجلس احدهما عند رأسي
والآخر عند رجلي فقال ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال
لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر في بئر ذروان
رواه البخاري قال وقول الله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له
في الاخرة من خلاق قال ابن عباس من نصيب قال قتادة وقد
علم اهل الكتاب فيما عهد اليهم ان الساحر لا خلاق له في الاخرة وقال
الحسن ليس له دين فدلت الآية على تحريمه وكذلك هو محرم في جميع
ادیان الرسل عليهم السلام كما قال تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى وقد
نص اصحاب احمد انه يكفر بتعلمه وتعليمه وروى عبد الرزاق عن صفوان
ابن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم شيئا من السحر
قليلا كان او كثيرا كان آخر عهده من الله وهو مسلم واختلفوا هل
يكفر الساحر او لا فذهب طائفة من السلف الى انه يكفر وبه قال
مالك وابو حنيفة واحمد قال اصحابنا الا ان يكون سحره بادوية و
تدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر وقال الشافعي اذا تعلم السحر
قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده اهل
بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وانها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر
وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته كفر انتهى وقد سماه
الله كفرا في قوله انما نحن فتنة فلا تكفر وقوله وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا قال ابن عباس في قوله انما نحن فتنة فلا تكفر و
ذلك انهما علما الخير والشر والكفر والايمان فعرفا ان السحر من الكفر

قال

قال وقوله ومنوه بالجبت والطاغوت تقدم الكلام عليهما
في الباب قبله وفيه ان السحر من الجبت قاله المصنف قال
عمر الجبت السحر والطاغوت الشيطان هذا الاثر رواه ابن
ابي حاتم وغيره قال وقال جابر الطواغيت كهان كان ينزل
عليهم الشيطان في كل حي واحد هذا الاثر رواه ابن ابي حاتم
نحوه مطولا عن وهب بن منبه قال سألت جابر بن عبد الله عن
الطواغيت التي كانوا يتحاكمون اليها قال انها في جهينة واحد
وفي اسلم واحدا وفي هلال واحد وفي كل حي واحد وهم كهان
تنزل عليهم الشياطين قوله قال جابر هو ابن عبد الله بن عمرو بن غيث
حرام الانصاري قوله الطواغيت كهان اراد ان الكهان من الطوا
فهو من افراد المعنى قوله كان ينزل عليهم الشيطان اراد الجنس
لا الشيطان الذي هو ابليس خاصة بل تنزل عليهم الشياطين و
يخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع فيصدقون في بعض
ويكذبون مائة قوله في كل حي واحد الحي واحد الاحياء وهم القبائل
اي في كل قبيلة كاهن يتحاكمون اليه ويسألونه عن الغيب وكذلك
كان الامر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فابطل الله ذلك بالاسلام
وحرست السماء بكثرت الشهب قوله وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا
رسول الله ما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي
حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات كذا اورده المصنف غير
معزو وقد رواه البخاري ومسلم قوله اجتنبوا اي ابعدوا وهو
ابلغ من قوله دعوا او اتركوا الآن النهي عن القربان ابلغ كقوله
ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قوله الموبقات بموحدة
وقاف اي المهلكات وسميت هذه موبقات لانها تهلك فاعلها
في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الاخرة من العذاب وفي حديث
عمر عند البخاري في الادب المفرد والطبري في التفسير وعبد الرزاق

مرفوعا وموقوفا قال الكبائر تسع وذكر السبعة المذكورة والحاد
في الحرم وعقوق الوالدين ولابن ابي حاتم عن علي قال الكبائر فذكر
السبع الا مال اليتيم وزاد العقوق والتعرب بعد الهجرة وفر يوم الزحف
وكث الصفقة قال الحافظ ويحتاج عند هذا الى الجواب عن الحكمة
في الاقتصار على سبع ويجاب بان مفهوم العدد ليس بحجة وهو
ضعيف او بانه اعلم اولا بالمذكورات ثم اعلم بما زاد فيجب الاخذ
بالزايد او ان الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل وقد
اخرج الطبراني واسماعيل القاضي عن ابن عباس انه قيل له الكبائر
سبع قال هن اكثر من سبع وسبع وفي رواية هي الى السبعين اقرب
وفي رواية الى السبع مائة قوله قال الشرك بالله هو ان يجعل
لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويرجوه كما يرجو الله ويخافه كما يخاف
الله وبدأ به لانه اعظم ذنب عصي الله به كما في الصحيحين عن ابن مسعود
سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل
لله ندا وهو خلقك الحديث واخرج الترمذي بسنده عن صفوان
ابن عسال قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي
فقال له صاحبه لا تقل نبي انه لو سمعك لكان له اربع اعين فاتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئلاه عن تسع ايات بينات فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تسحروا ولا تاكلوا الربى ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا
الفار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت
قال فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الحديث وقال
حسن صحيح قوله والشيخ تقدم معناه وهذا وجه مناسبة هذا
الحديث للترجمة قوله وقتل النفس التي حرم الله اي حرم قتلها الا
بالحق اي بان تفعل ما يوجب قتلها كالشرك والنفس بالنفس و
الزاني بعد الاحصان قوله وقتل النفس التي حرم الله اي نفس المسلم
المعصوم وقتل المعاهد كما في الحديث من قتل معاهدا لم يرح رائحة

الحديث

قيل

الجنة واختلف العلماء فيمن قتل مؤمنا متعمدا هل له توبة ام لا فذهب
ابن عباس وابو هريرة وغيرهما الى انه لا توبة له استدلالا بقوله
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها قال ابن عباس
نزلت هذه الاية وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء وفي رواية
لقد نزلت في آخر ما نزل ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نزل وحي ويروى في ذلك انه ارتد لما ذهب اليه كما عند
الامام احمد والنسائي وابن المنذر عن معاوية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يموت
كافرا او الرجل يقتل مؤمنا متعمدا وذهب جمهور الامة سلفا
وخلفا الى ان القاتل له توبة فيما بينه وبين الله فان تاب و
اناب وعمل صالحا بدل الله سيئاته حسنات كما قال تعالى والذين
لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا يزنون الى قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الاية
قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقد قال ابو هريرة وغيره هذا
جزاه ان جازاه قوله واكل الربى اي تناوله باي وجه كان كما قال
تعالى الذين يأكلون الربى لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس الاية قال ابن دقيق العيد وهو مجرب لشؤم الخاتمة
نعوذ بالله من ذلك قوله واكل مال اليتيم بعني التعدي فيه وعبر
بالاكل لانه اعم وجوه الانتفاع كما قال تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قوله والتولي يوم
الزحف اي الادبار عن الكفار وقت التحام القتال وانما يكون
كبيرة اذا فر الى غير فئة او غير متحرف لقتال كما قيد به في الاية
قوله وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وهو بفتح الصاد المحفوظات
من الزنا وبكسرها الحافظات فروجهن منه والمراد الحرائر العفيفات
والمراد رميهن بزنا او لواط والغافلات اي عن الفواحش وما يرمين به فهو كناية عن البريات لان الغافل بريء عما يهمت به والمؤ
اي بالله تعالى احترازا من قذف الكافرات قال وعن جندب مرفوعا

حد الساحر ضربه بالسيف رواه الترمذي وقال الصحيح
انه موقوف قوله عن جندب ظاهر الطبراني في الكبير انه جندب بن
عبد الله البجلي لا جندب الخير الازدي قاتل الساحر فانه رواه في
ترجمة جندب البجلي من طريق خالد العبد عن الحسن عن جندب عن النبي
صلى الله عليه وسلم وخالد العبد ضعيف قال الحافظ والصواب انه عن جندب
وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن
جندب الخير انه جاء الى ساحر فضربه بالسيف حتى مات وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وجندب الخير هو جندب
ابن كعب وقيل جندب بن زهير وقيل هما واحد كما قاله ابن حبان ابو
عبد الله الازدي الغامدي صحابي روى له السكن من حديث بريدة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يضرب ضربة واحدة فيكون امنة حده
قوله حد الساحر ضربه بالسيف وروي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح
ولهذا الحديث اخذ احمد ومالك وابو حنيفة فقالوا يقتل الساحر
وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله
وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز ولم يرى
الشافعي عليه القتل بمجرد السحر الا ان عمل في سحره ما يبلغ الكفر وبه
قال ابن المنذر وهو رواية عن احمد والاول اولى لحديث ولان عمر
وعمل به الناس في خلافته من غير نكير قال وفي صحيح البخاري
عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب ان اقتلوا كل ساحر
وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر هذا الاثر رواه البخاري كما
قال المصنف لكن لم يذكر قتل السواحر قوله عن بجالة بفتح الموحدة
بعدها جيم بن عبدة بفتحتين التميمي العنبري البصري ثقة قوله
كتب الينا عمر بن الخطاب ان اقتلوا كل ساحر وساحرة وظاهره انه
يقتل من غير استتابة وهو كذلك على المشهور عن احمد وبه قال مالك
لان علم السحر لا يزول بالتوبة وعن احمد يستتاب فان تاب قبلت
توبته وبه قال الشافعي لان ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك يستتاب
وتقبل توبته ولذلك صح ايمان سحرة فرعون وتوبتهم قوله وصح

عن حفصة انها امرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت هذا الاثر
رواهما مالك في الموطأ وحفصة هي ام المؤمنين بنت عمر بن الخطاب
تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خنيس بن حذافة ومات سنة
خمس واربعين قوله وكذا صح عن جندب اشار المصنف بهذا
الى قتله الساحر كما رواه البخاري في تاريخه عن ابي عثمان النهدي
قال كان عندنا وليد رجل يلعب فذبح انسانا وابان راسه فجينا
فاعاد راسه فجاء جندب الازدي فقتله ورواه البيهقي في الدلائل
مطولا وفيه فامر به الى الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ولها
طرق كثيرة قوله قال احمد عن ثلاثة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
احمد هو الامام احمد بن محمد بن حنبل قوله عن ثلاثة اي صح قتل الساحر
عن ثلاثة او جاء قتل الساحر عن ثلاثة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يعني عمر وحفصة وجندبا والله اعلم **باب** بيان شيء من
انواع السحر قلت ذكر الشارح ههنا شيئا من الخوارق وكرامات
الاولياء وذكر ما اغتر به كثير من الناس من الاحوال الشيطانية
التي غرت كثيرا من العوام والجهال وظنوا انها تدل على ولاية من
جرت على يده ممن هو من اولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن ثم قال
وليتنبه الاسلام كتاب الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان
فراجعه انتهى قال قال احمد ثنا محمد بن جعفر ثنا عوف ثنا حيان ابو
ابن العلاء ثنا قطن بن قبيصة عن ابيه انه سمع ابنى صلى الله عليه وسلم
قال ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت قال عوف العيافة
زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض والجبت قال الحسن رنة
الشيطان اسناده جيد ولبي داود وابن حبان في صحيحه المسند
منه قوله قال احمد هو الامام احمد بن محمد بن حنبل ومحمد بن جعفر
هو المشهور بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور مات سنة ست
ومائتين وعوف هو ابن ابي جميلة بفتح الجيم العبدي البصري المعروف
بعوف الاعرابي ثقة مات سنة ست او سبع واربعين وله
ست وثمانون سنة وحيان بن العلاء هو بالتحتية ويقال حيان بن

مخارق ابو العلا البصري مقبول وقطن بفتحتين ابو سهل البصري
صدوق قوله عن ابيه هو قبيصة بفتح اوله بن مخارق بضم الميم
ابو عبد الله الهلالي صحابي نزل البصرة قوله ان العيافة والطرق
الطيرة من الجبت قال عوف العيافة زجر الطير والتفاؤل باسمائها
واصواتها ومنزها وهو من عادات العرب وكثر في اشعارهم يقال
عاف يعيف عيفا اذا زجر وحدس وظن قوله والطرق الخط يخط
بالارض كذا فسره عوف وهو كذلك وقال ابو السعادات هو الضرب
بالحصا الذي يفعله النسا واما الطيرة فيأتي الكلام عليها في بابها
ان شاء الله تعالى قوله من الجبت اي السحر قال القاضي والجبت
في الاصل الفشل الذي لا خير فيه ثم استعير لما يعبد من دون الله
وللساحر والسحر قوله قال الحسن رنة الشيطان قلت
ذكر ابراهيم بن مسلم بن مفلح ان في تفسير يقي بن مخلد ان ابليس
رنت اربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة حين
ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين انزلت فاتحة الكتاب
قال سعيد بن جبير لما لعن الله ابليس تغيرت صورته عن صورة
الملائكة ورنت رنة فكل رنة منها في الدنيا الى يوم القيمة رواه
ابن ابي حاتم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة رنت ابليس رنة اجتمعت اليه جنوده ورواه
الحافظ الضيا في المختارة الرنين الصوت وقد رنت ترن رنينا و
بهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله قوله ولابي داود وابن حبان
في صحيحه المسند منه ولم يذكر التفسير الذي فسره به عوف وقد
رواه ابو داود بالتفسير المذكور بدون كلام الحسن قوله وعن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس شعبة من النجوم فقد
اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد رواه ابو داود باسناد صحيح
وكذا صححه النووي والذهبي ورواه احمد وابن ماجة قوله اقتبس
قال ابو السعادات اقتبست العلم واقتبسته اذا علمته انتهى قوله شعبة
اي طائفة من علم النجوم والشعبة الطائفة ومنه الحديث الحيا شعبة
من الايمان

من الايمان جزء منه قوله فقد اقتبس شعبة من السحر المحرم تعلله
قال الشيخ الاسلام فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
علم النجوم من السحر وقد قال تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى قوله
زاد ما زاد اي كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الاثم الحاصل
بزيادة الاقتباس من شعبه فانما يعتقده في النجوم من التاثير
باطل كما ان تاثير السحر باطل والله اعلم قوله وبنسائي من حديث
ابي هريرة من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد
اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه هذا الحديث ذكره المصنف
من حديث ابي هريرة وعزاه للنسائي وقد رواه النسائي مرفوعا
وحسنه بن مفلح قوله وللنسائي هو الامام الحافظ احمد بن
شعيب بن علي بن سنان بن بحير بن دينار ابو عبد الرحمن صاحب
السنن وغيرها روى عن محمد بن المثنى وبن بشار وقتيبة وخلق
وكان اليه المنتهى في العلم بعلل الحديث مات سنة ثلاث وثلاثمائة
وله ثمان وثمانون سنة قوله من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر
اعلم ان السحرة اذا اراد وا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على
كل عقدة حتى ينعقد كما يريدونه من السحر قال تعالى ومن شر النفاثات
في العقد يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك النفث هو النفخ مع ريق
وهو دون التفل والنفث فعل الساحر فاذا تكيفت نفسه بالخبث
والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالارواح الخبيثة نفخ
في تلك العقدة نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج
للشر والاذى مقترن للريق الممازج لذلك وقد تساعد هو والروح
الشيطانية على اذى المسحور فيصيبه السحر باذن الله الكوني القدري
لا الشرعي قاله بن القيم رحمه الله قوله ومن سحر فقد اشرك نص في
ان الساحر مشرك اذ لا يتاتى السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ
عن بعضهم قوله ومن تعلق شيئا وكل اليه اي من تعلق قلبه شيئا بحيث
يعتمد عليه ويرجوه وكله الله اليه ذلك الشيء فمن تعلق على ربه والهه و
سيده ومولاه رب كل شيء ومليكه كفاه ووقاه وحفظه وتولاه

فنعم المولى ونعم النصير قال تعالى ليس الله بكاف عبده ومن تعلق على السحرة
والشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله الله الى من تعلقه فهلك
ومن تأمل ذلك في احوال الخلق ونظر بعين البصيرة رأى ذلك
عيانا وهذا من جوامع الكلم والله اعلم قال وعن عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اهل انبئكم ما العضه
هي النميمة القالة بين الناس رواه مسلم قوله الا اهل انبئكم
اخبركم والعضه بفتح المهملة وسكون المعجمة قال ابو السعادات
هكذا يروى في كتب الحديث والذي في كتب الغريب الا انبئكم ما
العضه بكسر العين وفتح الضاد قال الزمخشري اصلها العضهه
فعلة من العضه وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة
والشفه وتجمع على عضين ثم فسره بقوله هي النميمة القالة
بين الناس فاطلق عليها العضه لانها لا تنفك عن الكذب والبهتان
غالبا ذكره القرطبي وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن ابي كثير قال
يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة وقال
ابو الخطاب في عيون المسائل ومن السحر السعي بالنميمة والافساد
بين الناس قال في الفروع ووجهه انه يقصد الاذى بكلامه
عمله على وجه المكر والحيلة اشبه السحر وهذا يعرف بالعرف والـ
لعادة انه يؤثر وينتج ما يعمله السحر او اكثر فيعطى حكمه تسوية
بين المتماثلين او المتقاربين لكن يقال انما يكفر لوصف السحر وهو
امر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وانما يؤثر عمله ما
يؤثره فيعطى حكمه الا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة
انتهى ملخصا وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة وهو يدل على تحريم
النميمة وهو مجمع عليه قال ابن حزم اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة
في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على انهما من الكبائر قوله القالة
بين الناس قال ابو السعادات اي كثرة القول وايقاع الخصومة
بين الناس ومنه الحديث ففشت القالة بين الناس قال وفيها
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان لسحرا

الساحر

البيا

قال

البيان البلاغة والفصاحة قال صعصعة بن صوحان صدق
نبي الله فان الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق
فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وقال ابن عبد البر تؤلته
طائفة على الذم لان السحر مذموم وذهب اكثر اهل العلم و
جماعة اهل الادب الى انه على المدح لان الله تعالى مدح البيان
قال وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل سأله عن حاجة
فاحسن المسئلة فاعجبه قوله قال هذا والله السحر الحلال
انتهى والاول اصح والمراد به البيان الذي فيه تمويه على
السامع وتلبيس كما قال بعضهم في زخرف القول تزيين الباطل
والحق قد يعتريه سوء تعبير وقوله ان من البيان لسحرا
هذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق
في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الجهال
حتى يقبل الباطل وينكر الحق نسأل الله الثبات والاستقامة على
الهدى واما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل و
يبينه فهذا هو الممدوح وهكذا حال الرسل واتباعهم ولهذا
علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم وبالجملة فالبيان
لا يحمد الا اذا لم يخرج الى حد الاسهاب والاطناب وتغطية الحق
وتحسين الباطل فاذا خرج الى هذا فهو مذموم وعلى هذا تدل
الاحاديث كحديث الباب وحديث ان الله يبغض البليغ من
الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها رواه احمد و
ابو داود وقد ترجم باب ما جاء في الكهان ونحوهم الكاهن هو
الذي يأخذ عن مسترق السمع وكانوا قبل المبعث كثيرا واما بعد
المبعث فانهم قليل لان الله تعالى حرس السماء بالشهب واكثر
ما يقع في هذه الامة ما يخبر الجن مواليهم من الانس عن الاشياء
الغائبة مما يقع في الارض من الاخبار فيظنه الجاهل كشفا او
كرامة وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر هم
عن الجن ولي لله وهو من اولياء الشيطان كما قال تعالى ويوم

يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا قال النار مثوىكم خالدين فيها الاية قوله رواه مسلم في صحيحه
عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اتى عرافا فسئله عن شئ فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة
اربعين ليلة قوله عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم هي حفصة
ذكره ابو مسعود الدمشقي لانه ذكر هذا الحديث في الاطراف فعينها
قوله من اتى عرافا سيأتي بيان العراف ان شاء الله تعالى وظاهر
الحديث ان الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه او
شك في خبره فان في بعض روايات الصحيح من اتى عرافا فسأله
عن شئ لم تقبل له صلاة اربعين ليلة قوله لم تقبل له صلاة اذا
كانت هذه حال السائل فكيف بالمسئول قال النووي وغيره
معناه انه لا ثواب له فيها وان كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه
ولا بد من هذا التاويل في هذا الحديث فان العلماء متفقون على
انه لا يلزم من اتى العراف اعادة صلاة اربعين ليلة انتهى ملخصا
وفي الحديث النهي عن اتيان الكاهن ونحوه قال القرطبي يجب على
من قدر على ذلك من محتسب وغيره ان يقيم من يتعاطى شيئا من
ذلك من الاسواق وينكر عليهم اشد النكير وعلى من يجيئ اليهم
ولا يغتر بصدقهم في بعض الامور ولا بكثرة من يجيئ اليهم ممن
ينتسب الى العلم فانهم غير راسخين في العلم بل من الجهال بما في
اتيانهم من المحذور قال وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل
على محمد صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود وفي رواية لابي داود او
اتى امرأة قال مسدد امرأته حائضا او اتى امرأة قال مسدد
امرأته في دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فناظر
هذا الحديث من السنن حذف منه هذه الجملة واقتصر على ما يناسب
الترجمة قال وللاربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن

من اتى

من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم هكذا بياض المصنف لاسم الراوي وقد رواه
احمد والبيهقي والحاكم عن ابي هريرة مرفوعا قوله من اتى كاهنا
قال بعضهم لا تعارض بين هذا وحديث من اتى عرافا فسأله عن شئ
لم تقبل له صلاة اربعين ليلة هذا على قول من يقول هو كفر دون
كفر واما على قول من يقول بظاهر الحديث فيسئل عن وجه الجمع
بين الحديثين وظاهر الحديث انه يكفر متى اعتقد صدقه باي
وجه كان وكان غالب الكهان قبل النبوة انما ياخذون عن
الشياطين قوله فقد كفر بما انزل على محمد قال القرطبي المراد
بالمنزل الكتاب والسنة انتهى وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون
كفر فلا ينقل عن الملة ام يتوقف فلا يقال يخرج عن الملة او لا
يخرج وهذا اشهر الروايتين عن احمد رحمه الله قال ابو يعلى
بسنده حدثنا سعيد بن مسعود مثله موقوفا ابو يعلى اسمه احمد بن
علي بن المثنى الموصلي الامام صاحب التصانيف كالمسند وغيره
روى عن يحيى بن معين وابي خيثمة وابي بكر بن ابي شيبة وخلق
وكان من الائمة الحفاظ مات سنة سبع وثلاث مائة وهذا
الاثر رواه البزار ايضا ولفظه من اتى كاهنا او ساحرا فصدقه
بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على كفر الكاهن
والساحر لانهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر وللصدق لما يعتقد
ذلك ويرضى به وذلك كفر ايضا قال وعن عمران بن حصين ليس
منا من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له او سحر او سحر له ومن
اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
رواه البزار بسند جيد ورواه الطبراني باسناد حسن من حديث
ابن عباس دون قوله ومن اتى كاهنا الى آخره قوله ليس منا فيه
وعيد شديد على ان هذه الامور من الكبائر وتقدم ان الكهانة والسحر
كفر قوله من تطير اي فعل الطيرة او تطير له اي قبل قول المتطير
له وتابعه وكذا معنى او تكهن او تكهن له كالذي ياتي الكاهن و

يتبع ص

يصدقه ويتابعه وكذلك من عمل السحر له السحر فكل من تلقى
هذه الامور عن من تعاطاها فقد برئ منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكونها اما شرك كالطيرة او كفر كالكهانة والسحر فمن
رضي بذلك وتابع فهو كالفاعل لقوله الباطل واتباعه قوله
رواه البزار هو احمد بن عمرو بن عبد الخالق ابو بكر البزار البصري
صاحب المسند الكبير وروى عن بشار وبن المثنى وطبقتهما
مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين قوله قال البغوي
بفتحتين هو الحسين بن مسعود بن الفراء الشافعي صاحب التصانيف
وعالم اهل خراسان كان ثقة فقيها زاهدا مات في شوال سنة
ست عشرة وخمسمائة قوله العراف الذي يدعي معرفة الامور
ظاهره ان العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها
والضالة ومكانها وقال شيخ الاسلام ان العراف اسم للكاهن
والمنجم والرمال ونحوهم كالحازر الذي يدعي علم الغيب او يدعي
الكشف وقال ايضا والمنجم يدخل في اسم العراف وعن بعضهم هو في
معناه وقال ايضا والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره
من العلماء وحكى ذلك عن العرب وعند آخرين هو من جنس الكاهن
واسوء حالا منه فيلحق به من جهة المعنى وقال الامام احمد
العراف طرف من السحر والساحر اخبث وقال ابو السعادات
العراف المنجم والحازر الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله به
وقال ابن القيم من اشتهر باحسان الزجر عندهم سموه عرافا
وعرافا والمقصود من هذا معرفة من يدعي علم شيء من المغيبات
فهو اما داخل في اسم الكاهن واما مشارك له في المعنى فيلحق به
وذلك ان اصابة المخبر ببعض الامور الغائبة في بعض الاحيان
يكون بالكشف ومنه ما هو من الشياطين ويكون الفأل والزجر
والطيرة والضرب بالحصى والخط بالارض والتنجيم والكهانة والسحر
ونحو هذا من علوم الجاهلية ونعني بالجاهلية كل ما ليس من اتباع
الرسل عليهم السلام كالفلاسفة والكهان والمنجمين وجاهلية

العرب

العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فان هذه علوم قوم
ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام وكل هذه الامور يسمي
صاحبها كاهنا وعرافا او في معناهما فمن اتاهم فصدقهم بما يقولون
لحقه الوعيد وقد ورث هذه العلوم عنهم اقوام فادعوا بها علم
الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه وادعوا انهم اولياء وان ذلك
كرامة ولا ريب ان من ادعى الولاية واستدل باخباره ببعض
المغيبات فهو من اولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن اذ الكرامة قد
يجريها الله على يد عبده المؤمن المتقي اما بدعاء او باعمال صالحة لا صنع
للولي فيها ولا قدرة له عليها بخلاف من يدعي انه ولي لله ويقول للناس
اعلموا اني اعلم المغيبات فان مثل هذه الامور قد تحصل بما ذكرنا من
الاسباب وان كانت اسبابا محرمة كاذبة في الغالب ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم في وصف الكهان فيكذبون معها مائة كذبة فيبقى
انهم يصدقون مرة ويكذبون مائة وهكذا حال من سلك سبيل
الكهان ممن يدعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس ومعلوم ان نفس دعواه
دليل على كذبه لان دعواه الولاية تزكية النفس المنهي عنها بقوله
تعالى فلا تزكوا انفسكم وليس هذا من شأن الاولياء بل تسانهم الانزواء
على نفوسهم وعيبها لها وخوفهم من ربهم فكيف يأتون الناس يقولون
اعرفوا انا اولياء وانا نعلم الغيب وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في
قلوب الخلق واقتناص الدنيا بهذه الامور وحسبك بحال الصحابة
والتابعين وهم سادات الاولياء رضي الله عنهم افكان عندهم
من هذه الدعاوي والشطحات شيء لا والله بل كان احدهم لا يملك نفسه
من البكاء اذا قرأ القرآن كالصديق رضي الله عنه وكان عمر يسمع نشيجه
من وراء الصفوف يبكي في صلاته وكان يمر بالاية في ورده بالليل
فيمرض منها ليالي يعودونه وكان تميم الداري يتقلب في فراشه لا
يستطيع النوم الا قليلا خوفا من النار ثم يقوم الى صلاته ويكفيك
في صفات الاولياء ما ذكره الله تعالى من صفاتهم في سورة الرعد والمؤمنين
والفرقان والذاريات والطور فالمتصفون بتلك الصفات هم الاولياء

الاصفياء لا اهل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما
اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب المجرد دعواه
علم الغيب كفر فكيف يكون المدعي لذلك وليا لله ولقد عظم
الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم
من المشركين ولبسوا بها على خفافيش القلوب نسأل الله السلامة
والعافية في الدنيا والاخرة **قوله** وقال ابن عباس في آخره
ابا جاد الى آخره هذا الاثر رواه الطبراني عن ابن عباس
واسناده ضعيف ولفظه معلم حروف ابي جاد دارس في النجوم ليس
له عند الله خلاق يوم القيمة ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ
رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف ابي جاد ليس له عند الله خلاق
قوله ما ارى يجوز فتح الهمزة بمعنى لا اعلم ويجوز ضمها بمعنى لا اظن
وكتابة ابي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم
الحرف وهو الذي فيه الوعيد فاما تعلمها للتهجي وحساب
الجمل فلا باس به **قوله** وينظرون في النجوم اي يعتقدون ان
لها تاثيرا كما سياتي في باب التنجيم وفيه من الفوائد عدم الاغترار
بما يؤتاه اهل الباطل من معارفهم وعلومهم كما قال تعالى فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن **قوله** باب ما جاء في النشرة بضم النون كما في
القاموس قال ابو السعادات النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج
به من كان يظن ان به مسا من الجن سميت نشرة لانه ينشر
لها عنه ما خامره من الداء اي يكشف ويزال قال الحسن النشرة
من السحر وقد نشرت عنه تنشيرا ومنه الحديث فلعل طبا اصابه
ثم نشره بقال اعوذ برب الناس اي رقاه وقال ابن الجوزي النشرة
حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه الا من يعرف السحر
قال **قوله** عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان رواه احمد بسند جيد وابو
داود وقال سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله

هذا الحديث

تعليق

هذا الحديث رواه احمد ورواه عنه ابو داود في سننه والفضل بن زياد
في كتاب المسائل عن عبد الرزاق عن عقيل ابن معقل بن منبه عن عمه
وهب بن منبه عن جابر فذكره قال ابن مفلح اسناد جيد وحسن
الحافظ اسناده **قوله** سئل عن النشرة الالف واللام في النشرة للعهد
اي النشرة المعهودة التي كان اهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان
قوله وقال سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله يريد
احمد رحمه الله ان ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان
كما يكره التمائم مطلقا **قوله** وبلحارث عن قتادة قال لابن المسيب
رجل به طب يؤخذ عن امرأته أيحل عنه او ينشر قال لا
باس به انما يريد به الاصلاح فاما ما ينفع فلم ينه عنه
قوله عن قتادة هو بن دعامة بكسر الدال الدوسي ثقة ثقة من
احفظ التابعين قال لوانه ولد اكمه مات سنة بضع وخمسين
ومائة **قوله** رجل به طب بكسر الطاء اي سحر يقال طب الرجل
بالضم اذا سحر ويقال كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما يقال للديغ
سليم وقال ابن الانباري الطب من الاضداد يقال لعلاج الداء طب
والسحر من الداء ويقال له طب **قوله** يؤخذ بفتح الواو ومهموز وتشديد
الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة اي يحبس عن امرأته ولا يصل الى
جماعها والاخذة بضم الهمزة الكلام الذي يقوله الساحر **قوله**
ايحل بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول **قوله** او ينشر بتشديد المعجمة
قوله لا باس به يعني ان النشرة لا باس بها لانهم يريدون به الاصلاح
وازالة السحر ولم ينه عن ما يراد به الاصلاح وهذا من بن المسيب
يحمل على نوع من النشرة لا يعلم انه سحر **قوله** ويروى عن الحسن
انه قال لا يحل السحر الا ساحر هذا الاثر ذكره بن الجوزي في جامع
المسانيد والحسن هو بن ابي الحسن واسمه سيار بالتحتية والمهملة
البصري الانصاري مولاهم ثقة فقيه امام من خيار التابعين
مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين قوله قال ابن القيم
النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان حل بسحر مثله وهو

من عمل الشيطان الى آخره ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما
رواه بن ابي حاتم وابو الشيخ عن ليث بن ابي سليم قال بلغني
ان هؤلاء الايات شفاء من السحر باذن الله تقرأ في اناء فيه
ماء ثم يصب على راس المسحور الاية التي في يونس فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله الى قوله ولو كره
المجرمون وقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون الى آخر الايات
الاربع وقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث
اتى وقال ابن بطال في كتاب وهب بن منبه انه ياخذ سبع
ورقات من سدر اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضرب به بالماء
ويقرا فيه اية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات
ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل اذا حبس
عن اهله قلت قول العلامة بن القيم والثاني النشرة
بالرقية والتعوذات والادوية المباحة جائز يشير الى مثل
هذا وعليه يحمل كلام من اجاز النشرة من العلماء والله اعلم قوله
باب ما جاء في التطير اي من النهي عنه والوعيد مصدر تطير
يتطير تطيرا والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن اسم مصدر
من تطير طيرة واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير
والظباء وغيرها وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه
الشرع وابطله واخبر انه لا تاثير له في جلب او دفع ضر قال
المدائني سالت روبة بن العجاج ما السانح قال ما ولاك ميامنه
قلت فما البارح قال ما ولاك مياسره والذي يجيء من امامك
فهو الناطح والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد
لما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب
لكونها من القاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ذكرها
المصنف في كتاب التوحيد تحذيرا مما ينافي كمال التوحيد
الواجب قوله وقول الله تعالى الا انما طائرهم عند الله ولكن
اكثرهم لا يعلمون ذكر تعالى في هذه الاية في سياق قوله تعالى فاذا

جاءتهم

جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه الاية المعنى ان آل فرعون اذا اصابتهم الحسنة اي
الخصب والسعة والعافية كما فسره مجاهد وغيره قالوا لنا
هذه اي نحن الجديرون والحقيقون به ونحن اهله وان تصبهم
سيئة اي بلاء وقحط يطيروا بموسى ومن معه فيقولوه هذا
بسبب موسى واصحابه اصابنا بشومهم فقال تعالى الا انما طائرهم
عند الله قال بن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم وفي
رواية شومهم عند الله ومن قبله اي انما جاءهم الشوم من قبله
بكفرهم وتكذيبهم بايات الله ورسله قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون اي
ان اكثرهم جهال لا يدبرون ولو فهموا وعقلوا العلموا انه ليس فيما
جاء به موسى عليه السلام الا الخير والبركة والسعادة والفلاح
لمن آمن به واتبعه قوله وقول الله تعالى قالوا طائركم معكم اي به
المعنى والله اعلم حظكم وما نابكم من شر معكم بسبب افعالكم و
كفركم ومخالفتكم الناصحين ليس هو من اجلنا ولا بسببنا بل
ببغيكم وعدوانكم فطائركم الباغي الظالم معه فاوقع به من
الشر والرفه وسببه الحالت له وذلك بقضاء الله وقدره
وحكمته وعدله كما قال تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم
كيف تحكمون ويحتمل ان يكون المعنى طائركم معكم اي راجع عليكم
فالتطير الذي حصل لكم انما يعود عليكم وهذا من باب القصر
في الكلام ونظيره قوله عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب
فقولوا وعليكم ذكره القيم وقوله ائن ذكرتم اي من اجل انا
ذكرناكم وامرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام بل انتم قوم
مسرفون وقال قتادة ائن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا ومناسبة
الايتين للترجمة ان التطير من عمل اهل الجاهلية والمشركين و
قد ذمهم الله به ومقتهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
التطير واخبر انه شرك كما سياتي في احاديث الباب قال
ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى

ولا طيرة ولا هامة ولا صفر اخرجاه في مسلم ولا عدوى
عمول قال ابو السعادات العدوى اسم من الاعداء كالدعوى
يقال اعداه الداء يعديه اعداء اذا اصابه مثل ما بصاحب الداء وقد
في رواية لمسلم ان ابا هريرة كان يحدث بحديث لا عدوى ويحدث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يورد ممرض على مصح ثم ان ابا
هريرة اقتصر على حديث لا يورد ممرض على مصح وامسك عن
حديث لا عدوى فراجعوه وقالوا سمعناك تحدثه فابى ان
يعترف به قال ابو سلمة الراوي عن ابي هريرة فلا ادري انسي
ابو هريرة او نسخ احد القولين الآخر وقد روى حديث لا
عدوى جماعة من الصحابة انس بن مالك وجابر بن عبد الله و
السايب بن يزيد وابن عمر وغيرهم وفي بعض رواياتهذا الحديث
وفر من المجذوم كما تفر من الاسد وقد اختلف العلماء في ذلك
واحسن ما قيل فيه قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم
وابن رجب وابن مفلح وغيرهم ان قوله لا عدوى على الوجه الذي
يعتقده اهل الجاهلية من اضافة الفعل الى غير الله تعالى وان هذه
الامور تعدي بطبعها والا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح
من به شيء من الامراض سببا لحدوث ذلك فلهذا قال وفر من
المجذوم كما تفر من الاسد وقال لا يورد ممرض على مصح وقال في
الطاعون من سمع به في ارض فلا يقدم عليه وكل ذلك بتقدير الله
تعالى ولاحمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا لا يعدي شيء شيئا
ثلاثا فقال اعرابي يا رسول الله النقبة من الجرب تكون بمشفر
البعير او بذنبه في الابل العظيمة فتجرب بكلها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن اجرب الاول لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر
خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصايبها ورزقها فاخبر صلى الله
عليه وسلم ان ذلك كله بقضاء الله وقدره والعبد ماموربا تقاء
اسباب الشر اذا كان في عافية فكما انه يؤمر ان لا يلقي نفسه في
الماء وفي النار مما جرت العادة انه يهلك او يضر فكذلك

اجتناب

اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم والقدوم على بلد الطاعون فان هذه تها
كلها اسباب للمرض والتلف فالله سبحانه هو خالق الاسباب ومسبباتها
لا خالق غيره ولا مقدر غيره واما اذا قوي التوكل على الله وايمان
بقضاء الله وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الاسباب
اعتمادا على الله ورجاء منه ان لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال
تجوز مباشرة ذلك لا سيما اذا كانت مصلحة عامة او خاصة صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي ان النبي صلى
اخذ بيد مجذوم فادخلها معه في القصعة ثم قال كل بسم الله
ثقة بالله وتوكلا عليه وقد اخذ به الامام احمد وروي ذلك عن
عمر وابنه وسلمان رضي الله عنهم ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد
من اكل السم ومنه مشي سعد بن ابي وقاص وابي مسلم الخولاني على
متن البحر قاله ابن رجب رحمه الله قوله ولا طيرة قال ابن القيم يحتمل
ان يكون نفيا او نهيا اي لا تطيروا ولكن قوله في الحديث ولا عدوى
ولا صفر ولا هامة يدل على ان المراد النفي وابطال هذه الامور التي
كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا ابلغ من النهي لان النفي يدل
على بطلان ذلك وعدم تاثيره والنهي انما يدل على المنع منه وفي
صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنا اناس يتطيرون قال ذلك شيء يجده احدكم في نفسه فلا
يصدنكم فاخبر ان تاذيه وتشاؤمه بالطيرة انما هو في نفسه
وعقيدته لا في المتطير به فوهمه وخوفه واشراكه هو الذي يطير
ويصده لا ما راه وسمعه فاوضح صلى الله عليه وسلم لامته الامر
وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا ان الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة
ولا فيها دلالة ولا نصبها سببا لما يخافونه ويحذرونه ولتطمئن
قلوبهم وتسكن نفوسهم الى وحدانيته تعالى التي ارسل بها رسله
وانزل بها كتبه وخلق لاجلها السموات والارض وعمر الدارين الجنة
والنار لسبب التوحيد فقطع صلى الله عليه وسلم علق الشرك من قلوبهم
لئلا يبقى فيها علقة منها ولا يتلبسوا بعمل من اعمال اهل النار البتة

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين و
توكل على الله قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها وبادر
خواطرها من قبل استمكانها قال عكرمة كنا جلوسا عند ابن
عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال له
ابن عباس لا خير ولا شر فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد
تاثيره في الخير والشر وخرج طاوس مع صاحب له في سفر
فصاح غراب فقال الرجل خير فقال طاوس وأي خير عند هذا
لا تصحبني انتهى ملخصا وقد جاءت احاديث ظن بعض الناس
انها تدل على جواز الطيرة كقوله صلى الله عليه وسلم الشوم في ثلاث
في المرأة والدابة والدار ونحو هذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى
اخباره صلى الله عليه وسلم بالشوم في هذه الثلاثة ليس فيها
اثبات الطيرة التي نفاها الله وانما غايته ان الله سبحانه قد
يخلق منها اعيانا مشومة على من قارنها وسكنها واعيانا مسلوبة
لا يلحق من قارنها منها شوم ولا شر وهذا كما يعطي سبحانه الولد
ولدا مباركا يريد الخير على وجهه ويعطي غيرهما ولدا مشوما
يريد الشر على وجهه وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية او غيرها
فكذلك الدار والمرأة والفرس والله سبحانه خالق الخير والشر
والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الاعيان سعودا مباركة
ويقضي بالسعادة من قارنها وحصول اليمن والبركة له
ويخلق بعضها نحوسا يتنحس بها من قارنها وكل ذلك بعض اثره و
قدره كما خلق سائر الاسباب وربطها بمسبباتها المتضادة
والمختلفة خلق المسك وغيره من الارواح الطيبة ولذ بها
من قارنها من الناس وخلق ضدها وجعلها سببا لالم من قارنها
من الناس والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك
في الديار والنساء والخيل فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر
قوله ولا هامة بتخفيف الميم على الصحيح قال الفراء الهامة طير
من طير الليل كانه يعني البومة قال ابن الاعرابي كانوا يتشاءمون بها

اذا

اذا وقعت على بيت احدهم يقول نعت الي نفسي او احد من افراد
فجاء الحديث بنفي ذلك وابطاله قوله ولا صفر بفتح الفاء روى ابو
عبيدة في غريب الحديث عن روبة انه قال هي حية تكون في البطن
تصيب الماشية والناس وهي عدى من العرب عند العرب وعلى
هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى وممن قال بهذا
سفيان بن عيينة والامام احمد والبخاري وابن جرير وقال الهروي
المراد به شهر صفر والنفي لما كان اهل الجاهلية يفعلونه في النسيء
وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه وهو قول مالك
وروى ابو داود عن محمد بن راشد عن من سمعه يقول ان اهل الجا هلية
يتشاءمون بصفر ويقولون انه شهر مشوم فابطل النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال ابن رجب ولعل هذا القول اشبه الاقوال والتشاؤم بصفر
هو من جنس الطيرة المنهي عنها وكذا التشاؤم بيوم من الايام كيوم
الاربعا وتشاؤم اهل الجاهلية بشوال في النكاح خيل خاصة تؤيد
ولا نوء النوء واحد الانواء وسيأتي الكلام عليه في بابه انشاء الله تعالى
قوله ولا غول هو بالضم اسم وجمعه اغوال وغيلان وهو المراد هنا
قال ابو السعادات الغول واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين
كانت العرب تزعم ان الغول في الفلاة تتراءى للناس تتلون تلونا في صور
شتى وتغولهم اي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم
وابطله او يكون المعنى بقوله لا غول انها لا تستطيع ان تفعل لصالح
ذكر الله والتوكل عليه ويشهد له الحديث الآخر لا غول ولكن السعالى
سحرة الجن اي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل ومنه الحديث اذا
تغولت الغيلان فبادروا بالاذان اي ادفعوا شرها بذكر الله وهذا
يدل على انه لم يرد بنفيها عدمها ومن حديث ابي ايوب كان لي تمر في سهوة
فكانت الغول تجيئ فتاخذ قال فسألت عن ذلك ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا صفر ونحبب الفال قالوا وما
الفأل قال الكلمة الطيبة قوله ويعجبني الفال قال ابو السعادات
الفال يستعمل فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون الا فيما يسوء وربما

استعملت فيما يستريب فقال تفاءلت بكذا وتفاءلت على التخفيف والقلب
وقد اولع الناس بترك الهمزة تخفيفا وانما احب الفال لان الناس
اذا املوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف او قوي
فهو على خير واذا قطعوا املهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من
الشر واما الطيرة فان فيها سوء الظن بالله تعالى وتوقع البلاء والتفاؤل
ان يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول يا سالم او يكون طالبا ضالته
فيسمع آخر يقول واجد فيقع في ظنه انه يبرأ من مرضه ويجد ضالته
ومنه الحديث قيل يا رسول الله ما الفال قال الكلمة الطيبة قوله قالوا
وما الفال قال الكلمة الطيبة بين صلى الله عليه وسلم ان الفال يعجبه فدل
على انه ليس من الطيرة المنهي عنها قال ابن القيم ليس في الانجاب
بالفال ومحبته شيء من الشرك بل ذلك ابانة عن مقتضى الطبيعة
وموجب الفطرة الانسانية التي تميل الى ما يوافقها ويلائمها كما اخبر
صلى الله عليه وسلم انه حبب اليه من الدنيا النساء والطيب وكان يحب
الحلوا والعسل ويحب حسن الصوت بالقرآن والاذان ويستمع اليه و
يحب معالي الاخلاق ومكارم الشيم وبالجملة يحب كل كمال وخير وما
يفضي اليهما والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الاعجاب بسماع الاسم
الحسن ومحبته وميل نفوسهم اليه وكذلك جعل فيها الارتياح والانبساط
والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنية والبشر والفوز
والظفر ونحو ذلك فاذا قوعت هذه الاسماء لاسماع استبشرت بها
النفس وانشرح لها الصدر وقوي بها القلب واذا سمعت اضدادها
اوجب لها ضد هذه الحال فاحزنها ذلك واثارها خوفا وطيرة و
انكماشا وانقباضا عما قصدت له وعزمت عليه فاورثها ضررا في
الدنيا ونقصا في الايمان ومفارقة الشرك وقال الحليمي انما كان صلى
الله عليه وسلم يحب الفال لان التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب
محقق والتفاؤل حسن ظن به والمؤمن مامور بحسن الظن بالله تعالى
على كل حال قال ابو داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر
قال لما نزلت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى احسنها

الصالحة

السائل ومن رد مسلما فاذا رأى احدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي
بالحسنات الا انت ولا يذهب السيئات الا انت ولا حول ولا قوة
الا بك قوله عن عقبة بن عامر عامر هكذا وقع في نسخ التوحيد
وصوابه عروة بن عامر كذا اخرجه احمد وابو داود وعنهما هو
مكي اختلف في نسبه فقال احمد عن عروة بن عامر القرشي وقال
غيره الجهني واختلف في صحبته فقال البارودي له صحبة وذكره
ابن حبان في ثقات التابعين وقال المزي لا صحبة له نفض قوله
فقال احسنها الفال قد تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفال
وروى الترمذي في صحيحه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
خرج لحاجته يحب ان يسمع يا نجيح يا راشد وروى ابو داود عن
بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شيء وكان اذا بعث عاملا
سئل عن اسمه فاذا اعجبه فرح به وان كره اسمه رؤي كراهية ذلك
في وجهه واسناده حسن وهذا فيه استعمال الفال قال ابن القيم
اخبر صلى الله عليه وسلم ان الفال من الطيرة وهو خيرها فابطل الطيرة
واخبر ان الفال منها ولكنه خير منها ففصل بين الفال والطيرة
بينهما من الامتياز والتضاد ونفع احدهما ومضرة الاخر ونظير هذا
منعه من الرقى بالشرك واذنه في الرقية اذا لم يكن فيها شرك بما
فيها من المنفعة الخالية من المفسدة قوله ولا ترد مسلما قال الطيبي
تعريض بان الكافر بخلافه قوله اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب
السيئات الا انت اي لا تاتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات بل انت
وحدك لا شريك لك الذي تاتي بالحسنات وتدفع السيئات ففيه نفي
تعلق القلب بغير الله في جلب نفع او دفع ضر وهذا هو التوحيد و
هو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة وتصريح بانها لا
تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ويعد من اعتقدها سفيها مشركا قوله و
حول ولا قوة الا بك استعانة بالله تعالى على فعل التوكل وعدم الالتفات
الى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها وذلك لان
انما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو اقوى الاسباب في جلب الخير ودفع

المكروهات والحول والقوة والانتقال من حال الى حال والقوة على
ذلك بالله وحده ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون
حول الله وقوته ومشيئته وهذا هو التوحيد في الربوبية وهو
الدليل على توحيد الالهية الذي هو افراد الله تعالى بجميع انواع العبادة
وهو توحيد القصد والارادة وقد تقدم بيان ذلك والحمد لله تعالى
قوله وعن ابن مسعود مرفوعا الطيرة شرك الطيرة شرك وما
منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل رواه ابو داود وفي رواية الترمذي
وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ورواه ابن ماجة من
حديثه ولفظ ابي داود الطيرة شرك الطيرة شرك الطيرة شرك
ثلاثا وهذا صريح في تحريم الطيرة وانها من الشرك لما فيها من تعلق
القلب على غير الله تعالى قال ابن عبد البر اذا كانت تكره الطيرة وكذا قال غير
واحد من اصحابنا قال ابن مفلح والاولى القطع بتحريمها لانها شرك وكيف
يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية قال في شرح السنن
وانما جعل الطيرة من الشرك لانهم كانوا يعتقدون ان الطيرة تجلب
لهم نفعا او تدفع عنهم ضرا اذا عملوا بموجبها فكانهم اشركوا مع الله
قوله وما منا الا قال ابو القاسم الاصبهاني والمنذري في الحديث
اضمار التقدير وما منا الا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك انتهى
وقال الخطابي حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة و
هذا من ادب الكلام قوله ولكن الله يذهبه بالتوكل اي لكن لما
توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر اذهبه الله عنا بتوكلنا
عليه وحده قوله وجعل آخره من قول ابن مسعود قال ابن القيم
وهو الصواب قال الطيرة نوع من الشرك قال ولاحمد من حديث
ابن عمرو من ردته الطيرة عن حاجته فقد اشرك قالوا فما كفارة
ذلك قال ان تقول اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك
ولا اله غيرك هذا الحديث رواه احمد والطبراني عن عبد الله بن
عمرو بن العاص وفي اسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقاة قوله
من حديث ابن عمرو هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وايل السهمي

ابو

ابو محمد وقيل ابو عبد الرحمن احد السابقين المكثرين من الصحابة
واحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الاصح
بالطائف قوله من ردته الطيرة عن حاجته فقد اشرك
ذلك ان الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي او المسموع فاذا رده
شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كارادة السفر ونحوه فقد
عما اراده وسعى فيما راى وسمع تشاؤما فقد دخل في الشرك كما
تقدم فلم يخلص بتوكله على الله بالتفاته الى ما سواه فيكون للشيطان
منه نصيب قوله فما كفارة ذلك الى آخره فاذا قال ذلك ذهب
عنه ما وقع في قلبه ولم يلتفت اليه كفر الله عنه ما وقع في قلبه
ابتداء لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده
والاعراض عما سواه وتضمن الحديث ان الطيرة لا تضر من كرهها
ومضى في طريقه واما من لم يخلص بتوكله على الله واسترسل مع
الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره لانه اعرض عن
واجب الايمان بالله وان الخير كله بيديه فهو الذي يجلب لعبده
بمشيئته وارادته وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته و
لطفه واحسانه فلا خير الا منه وهو الذي يدفع الشر عن عبده
فما اصابه من ذلك فبذنبه كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك قوله ولا من حديث الفضل
ابن عباس عما الصيرة ما امضاك او رد ذلك هذا الحديث عند
الامام احمد من حديث الفضل بن عباس قال خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما فبرح ظبي فمال في شقة فاحتضنته فقلت
يا رسول الله تطيرت قال انما الطيرة ما امضاك او رد ذلك وفي اسناده
انقطاع اي بين مسلمة راوي ابيه وبين الفضل وهو الفضل بن العباس
ابن عبد المطلب بن عم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن معين قتل يوم
اليرموك وقال غيره قتل يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة وهو
ابن اثنتين وعشرين سنة وقال ابو داود قتل بدمشق كان على
درع النبي صلى الله عليه وسلم قوله انما الطيرة ما امضاك او رد ذلك

هذا احد الطيرة المنهي عنها لانها ما يحمل الانسان على المضي فيما اراد
ويمنعه من المضي فيه كذلك واما الفال الذي كان يحب النبي
صلى الله عليه وسلم فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف
ما يمضيه او يرده وفاته للقلب عليه نوع اعتماد فافهم الفرق و
الله اعلم باب ما جاء في التنجيم قال الخطابي الاسلام التنجيم
هو الاستدلال بالاحوال الفلكية على الحوادث الارضية وقال
الخطابي علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه اهل التنجيم من علم
الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كمعرفتهم وقت
هبوب الريح ومجيء المطر وتغير الاسعار وما في معناها من الامور
التي يزعمون انها تدرك بمسير الكواكب في مجاريها
واجتماعها وافتراقها ويدعون ان لها تاثيرا في السفليات وهذا
منهم تحكم على الغيب وتعاطي لعلم قد استاثر الله به لا يعلم غيبه
سواه قوله قال البخاري في صحيحه قال قتادة خلق الله هذه
النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات
يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك اخطا واضاع نصيبه
وتكلف ما لا علم له به هذا الاثر علقه البخاري في صحيحه واخرجه
عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم واخرجه
الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة ولفظه قال انما جعل الله
هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى
بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال
برايه واخطا حظه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ورايت
ناسا جهلة بامر الله قد احدثوا في هذه النجوم كهانة من اعرس
بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا و
كذا والعمري ما من نجم الا يولد به الاحمر والاسود والطويل والقصير
والحسن والذميم وما اعلم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر
بشيء من هذا الغيب ولو ان احدا علم الغيب علمه آدم الذي خلقه
الله بيده واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شيء انتهى وتامل

ما انكره

ما انكره هذا الامام مما حدث من هذه المنكرات في عصر التابعين وما
زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذه الاعصار
وعمت به البلوى في جميع الامصار فقل ومستكثر وعز في الناس
من ينكره وعظمت المصيبة في الدين فانا لله وانا اليه راجعون
قوله خلق الله هذه النجوم لثلاث قال الله تعالى ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى وعلامات
وبالنجم هم يهتدون وفيه اشارة الى ان النجوم في السماء الدنيا كما
روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما السماء الدنيا فان الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجا
وقرا منيرا وزينها بمصابيح وجعلها رجوما للشياطين و
حفظا من كل شيطان رجيم قوله وعلامات اي دلالات على الجهات
يهتدى بها اي يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى وهو الذي جعل
لكم النجوم لتهتدوا بها في البر والبحر اي ليعرفوا بها جهة قصدكم
وليس المراد انه يهتدى بها في علم الغيب كما يعتقده المنجمون وقد
تقدم وجه بطلانه وانه لا حقيقة له كما قال قتادة فمن تاول
فيها غير ذلك اي زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث
فقد اخطا حيث زعم شيئا ما انزل الله به من سلطان واضاع
نصيبه من كل خير لانه اشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه فان قيل
المنجم قد يصدق قيل صدقه كصدق الكاهن يصدق في كلمة ويكذب
في مائة وصدقه ليس عن علم بل قد يوافق قدرا فيكون فتنة في
حق من صدقه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم الى قوله وعلامات فقوله وعلامات معطوف على
ما تقدم مما ذكره في الارض ثم استانف فقال وبالنجم هم يهتدون
ذكره ابن جرير عن ابن عباس بمعناه وقد جاءت الاحاديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم بابطال علم التنجيم كقوله من اقتبس شعبة من النجوم
فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وعن رجل بن حيوة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال مما اخاف على امتي التصديق بالنجوم والتكذيب با

لقدر

وحيف الائمة رواه عبد بن حميد وعن ابي محجن مرفوعا اخاف على امتي
ثلاثا حيفا الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر رواه ابن عساكر
وحسنه السيوطي وعن انس مرفوعا اخاف على امتي بعدي خصلتين
تكذيبا بالقدر وايمانا بالنجوم رواه ابو يعلى وابن عدي والخطيب
في كتاب النجوم وحسنه السيوطي ايضا والاحاديث في ذم التنجيم
والتحذير منه كثيرة قوله وذكره قادم تعلم منازل
القمر ولم يرخص من عيينة فيه ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم
لمنازل احمد واسحق قال الخطابي انما علم النجوم الذي يدرك
من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة
القبلة فانه غير داخل فيما نهي عنه وذلك ان معرفة رصد
الظل ليس شيئا باكثر من ان الظل ما دام متناقصا فالشمس
بعد صاعدة نحو وسط السماء من الافق الشرقي واذا اخذ
في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الافق الغربي
وهذا علم يصح ادراكه بالمشاهدة الا ان اهل هذه الصناعة قد
دبروها بما اتخذوا له من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعات
مدته ومراصدته واما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة
فانها كواكب رصدها اهل الخبرة بها من الائمة الذين لا نشك
في عنايتهم بامر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما اخبروا به
عنها مثل ان يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة
عنها فكان ادراكهم للدلالة منها بالمعاينة وادراكنا ذلك بقبول
خبرهم اذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم
انتهى وروى ابن المنذر عن مجاهد انه كان لا يرى بأسا ان يتعلم
الرجل منازل القمر وروي عن ابراهيم انه كان لا يرى بأسا ان يتعلم
الرجل من النجوم ما يهتدي به قال ابن رجب والمأذون في تعلمه علم
التسيير لا علم التأثير فانه باطل محرم قليله وكثيره واما علم التسيير
فيتعلم منه ما يحتاج اليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز
عند الجمهور قوله ذكره حرب عنهما هو الامام الحافظ حربن

اسماعيل

اسماعيل ابو محمد الكرماني الفقيه من جلة اصحاب الامام احمد روى
عن احمد واسحق وابن المديني وابن معين وغيرهم وله كتاب المسائل
التي سئل عنها الامام احمد وغيره مات سنة ثمانين ومائتين
واما اسحق فهو ابن ابراهيم بن مخلد ابو يعقوب الحنظلي النيسابوري
الامام المعروف بابن راهويه روى عن ابن المبارك وابي اسامة
وابن عيينة وطبقتهم قال احمد اسحق عندنا امام من ائمة المسلمين
روى عنه البخاري ومسلم وابو داود وغيرهم وروى هو ايضا عن احمد
عن احمد مات سنة تسع وثلاثين ومائتين قال وعن ابي
موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون
الجنة مدمن خمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر رواه احمد
وابن حبان بهذا الحديث رواه ايضا الطبراني والحاكم
وقال صحيح واقره الذهبي وتمامه ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه
الله من نهر الغوطة نهر يجري من فروج المومسات يؤذي اهل
النار ريح فروجهن قوله عن ابي موسى هو عبد الله بن قيس بن سليم
ابن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد ابو موسى الاشعري صحابي
جليل مات سنة خمسين قوله ثلاثة لا يدخلون الجنة هذا من
نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها وقالوا امروها كما جاءت
ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم واحسن ما يقال
ان كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الاسلام فانه يرجع
الى مشيئة الله فان عذبه به فقد استوجب العذاب وان غفر له
فبفضله وعفوه ورحمته قوله مدمن الخمر اي المداوم على شربها
قوله وقاطع الرحم يعني القرابة كما قال تعالى فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم الاية قوله ومصدق
بالسحر اي مطلقا ومنه التنجيم لما تقدم من الحديث وهذا وجه
مطابقة الحديث للترجمة قال الذهبي في الكبائر ويدخل في تعلم
السيمياء وعملها وعقد المرء عن زوجته ومحبة الزوج لامرأته
وبغضها وبعضه واشباه ذلك بكلمات مجهولة قال وكثير من الكبائر

بل عامتها الا القليل بجهل خلق من الامة تحريمه وما بلغه الزجر
فيه ولا الوعيد عليه انتهى قوله باب ما جاء في الاستسقاء
بالانواء اي من الوعيد والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر الى
الانواء جمع نوء وهي منازل القمر قال ابو السعادات وهي ثمان
وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها ومنه قوله تعالى
والقمر قدرناه منازل يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة
مع طلوع الفجر وتطلع اخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق
فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة وكانت العرب تزعم ان مع
سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه اليها
ويقولون مطرنا بنوء كذا وانما سمي نوءا لانه اذا سقط الساقط
منها ناء الطالع بالمشرق اي نهض وطلع قال وقوله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون الاية روى الامام احمد والترمذي
وحسنه وابن جرير وابن ابي حاتم والضياء في المختارة عن علي
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم
يقول شكركم انكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا
وكذا وهذا اولى ما فسرت به الاية وروي ذلك عن علي وابن عباس
وقتادة والضحاك وعطا الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور
المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالاية قال ابن
القيم اي تجعلون حظكم ونصيبكم من هذا الرزق الذي جاءكم
التكذيب به يعني القرآن قال الحسن تجعلون حظكم ونصيبكم من
القرآن انكم تكذبون قال وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن الا
التكذيب قال وقوله عن ابي مالك الاشعري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن
الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم
والنياحة وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة
وعليها سربال من قطران ودرع من جرب رواه مسلم ابو
مالك اسمه الحارث بن الحارث الشامي صحابي تفرد عنه بالرواية
ابو سلام

ابو سلام وفي الصحابة ابو مالك الاشعري اثنان غير هذا قوله اربع
في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن ستفعلها هذه الامة امامع
العلم بتحريمها او مع الجهل بذلك مع كونها من اعمال اهل الجاهلية
المذمومة المكروهة المحرمة والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث
سموا بذلك لفرط جهلهم وكل ما يخالف ما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو جاهلية فقد خالف فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كثير من امورهم او اكثرها وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة
السنة قال شيخ الاسلام اخبر ان بعض امر الجاهلية لا يتركه
الناس كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا يقتضي ان كل ما كان من امر
الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الاسلام والا لم يكن في اضافة
هذه المنكرات الى الجاهلية ذم لها ومعلوم ان اضافتها للجاهلية
خرج مخرج الذم وهذا كقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
فان في ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية الاولى وذلك يقتضي
المنع من مشابهتهم في الجملة قوله والفخر بالاحساب اي التعاظم
على الناس بالاباء ومآثرهم وذلك جهل عظيم اذ لا كرم الا بالتقوى
كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا الاية ولابي داود
ابي هريرة مرفوعا ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها
بالاباء انما هو مؤمن تقي او فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق
من تراب ليدعن رجال فخرهم باقوام انما هم فحم من فحم جهنم
او ليكونن اهون على الله من الجعلان الحديث قوله والطعن في
الانساب اي الوقوع فيها بالعيب والتنقص ولما عير ابو ذر رضي
الله عنه رجلا بامه قال النبي صلى الله عليه وسلم اعيرته بامه انك امرؤ
فيك جاهلية متفق عليه قال علي اذ الطعن في الانساب من عمل
الجاهلية وان المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة
بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه
قاله شيخ الاسلام قوله والاستسقاء بالنجوم اي نسبة المطر الى

النوء وهو سقوط النجم كما اخرج الامام احمد وابن جرير عن جابر
السوائي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخاف على
امتي ثلاثا استسقاء بالنجوم وحيف السلطان وتكذيبا بالقدر
فاذا قال قائلهم مطرنا بنجم كذا او بنوء كذا فلا يخلوا اما ان
يعتقد ان له تاثيرا في نزول المطر فهذا شرك وكفر وهو الذي
يعتقده اهل الجاهلية كاعتقادهم ان دعاء الميت والغايب
يطلبهم نفعا او يدفع عنهم ضرا وانه يشفع لهم بدعائهم
اياه فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بالنهي عنه وقتال من فعله كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين كله لله والفتنة الشرك واما ان يقول
مطرنا بنوء كذا مثلا لكن مع اعتقاده ان المؤثر هو الله وحده
لكنه اجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم فهذا
انه يحرم نسبة ذلك الى النجم ولو على طريق المجاز فقد صرح
ابن مفلح في الفروع بانه يحرم قول مطرنا بنوء كذا وجزم في الانصاف
بتحريمه ولم يذكر اخلافا وذلك ان القائل لذلك نسب ما وقع
من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره الى مخلوق مسخر لا ينفع و
لا يضر ولا قدرة له على شيء فيكون ذلك شركا اصغر والله اعلم
قوله والنياحة اي رفع الصوت بالندب على الميت لانها تسخط
لقضاء الله وذلك ينافي الصبر الواجب وهي من الكبائر لشدة
الوعيد والعقوبة قوله النايحة اذا لم تتب قبل موتها فيه تنبيه
على ان التوبة تكفر الذنب وان عظم هذا مجمع عليه في الجملة و
تكفر ايضا بالحسنات الماحية والمصايب ودعاء المسلمين بعضهم
لبعض وبالشفاعة باذن الله وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك
به شيئا وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعا ان الله تعالى يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر رواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان قوله
تقام يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب قال
القرطبي السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص يعني انهن

يلطخن

يلطخن بالقطران فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار
بجسادهن اعظم وراثحتهم انتن والمها سبب الحرب
اشد وروي عن ابن عباس ان القطران هو النحاس المذاب قال
وعن زيد بن خالد قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما
انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا
الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر
فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر
بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي
مومن بالكوكب زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور مات سنة
ثمان وسبعين وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة قوله
صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بنا فاللام بمعنى الباء
قال الحافظ وفيه اطلاق ذلك مجازا وانما الصلاة لله و
بالحديبية بالمهملة وتخفيف يائها وتثقل قوله على اثر بكسر
الهمزة وسكون المثلثة على المشهور وهو ما يعقب الشيء في
سماء اي مطر لانه ينزل من السحاب والسماء يطلق على كل ما ارتفع
قوله فلما انصرف اي من صلاته اي التفت الى المامومين
كما يدل عليه قوله اقبل على الناس ويحتمل انه اراد بالسلام قوله
هل تدرون لفظ استفهام ومعناه التنبيه وفي النسائي
الم تسمعوا ما قال ربكم الليلة وهذا من الاحاديث القدسية
وفيه القاء العالم المسئلة على اصحابه ليختبرهم قوله
قالوا الله ورسوله اعلم فيه حسن الادب للمسئول اذا
سئل عما لا يعلم ان يكل العلم الى عالمه وذلك يجب قوله
اصبح من عبادي الاضافة للعموم يدل للتقسيم الى مومن
وكافر كقوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن قوله
مومن بي وكافر اذا اعتقد ان للنوء تاثيرا فانزال المطر فهذا
كفر لانه شرك في الربوبية والمشرك كافر وان لم يعتقد ذلك

هو من الشرك الاصغر لكونه نسب نعمة الله الى غيره ولان الله
لم يجعل النوء سببا لانزال المطر فيه وانما هو فضل من الله ورحمة
يحبسه اذا شاء وينزله اذا شاء ودل هذا الحديث على انه لا يجوز
لاحد ان يضيف افعال الله الى غيره ولو على سبيل المجاز وايضا الباء
تحتمل معاني وكلها لا تصدق بهذا اللفظ فليست للسببية ولا
للاستعانة لما عرفت من ان هذا باطل ولا تصدق ايضا على انها
للمصاحبة لان المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه
وانما يجيء المطر في الوقت الذي اراد الله مجيئه فيه برحمته و
حكمته وفضله فكل معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه
فاسد فيظهر على هذا تحريم هذه اللفظة مطلقا لفساد المعنى
وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب الفروع والانصاف قال
المصنف وفيه التفطن للايمان في هذا الموضع يشير الى انه لا اطلاع
قوله فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فالفضل والرحمة
صفتان لله ومذهب اهل السنة والجماعة ان ما وصف الله به
نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الذات
كالحياة والعلم وصفات الافعال كالرحمة التي يرحم بها عباده
كلها صفات لله قائمة بذاته ليست قائمة بغيره فتفطن لهذا
فقد غلط فيه طوائف وفي هذا الحديث ان نعم الله لا يجوز ان تضاف
الا اليه وحده وهو الذي يحمد عليها وهذه حال اهل التوحيد وقوله
واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا الى تقدم ما يتعلق بذلك قال
المصنف وفيه التفطن للكفر في هذا الموضع يشير الى ان نسبة
النعمة الى غير الله كفر وهذا وقع بعض العلماء بتحريمه وان لم
يعتقد تاثير النوء في انزال المطر فيكون من كفر النعم لعدم
نسبتها الى الذي انعم بها ونسبتها الى غيره كما سياتي في قوله تعالى
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال القرطبي في شرح حديث زيد بن
خالد وكانت العرب اذا طلع نجم من المشرق وسقط آخر من المغرب
فحدث عند ذلك مطر او ريح فمنهم من ينسبه الى الطالع ومنهم

من

من ينسبه الى الغارب نسبة ايجاد واختراع ويطلقون ذلك
في القول المذكور في الحديث فنهى الشارع عن اطلاق ذلك لئلا يعتقد
احد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم انتهى قوله فمنهم من ينسبه
نسبة ايجاد يدل على ان بعضهم لا يعتقد ذلك كما قال تعالى ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله
فدل على ان منهم من يعرف ويقر بان الله هو الذي اوجد المطر
وقد يعتقد هؤلاء ان للنوء فيه شيئا من التاثير والقرطبي في
شرحه لم يصرح ان العرب كلهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي
ذكره فلا اعتراض عليه بالاية للاحتمال المذكور قوله وفي
حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء
كذا وكذا فانزل الله هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى
قوله تكذبون ولفظه عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس
شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق
نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم وهذا
قسم من الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء و
جواب القسم انه لقرآن كريم فتكون لا صلة لتاكيد النفي
فتقدير الكلام ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه سحر او كهانة بل
هو قرآن كريم قال ابن جرير قال بعض اهل العربية معنى قوله
فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استؤنف القسم بعد فقيل
اقسم ومواقع النجوم قال ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه
نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا ثم نزل
مفرقا في السنين بعد ثم قرأ ابن عباس هذه الاية ومواقعها
نزولها شيئا بعد شيء وقال مجاهد مواقع النجوم مطالعها ومشا
واختاره ابن جرير وعلى هذا فتكون المناسبة بين المقسم به و
المقسم عليه وهو القرآن من وجوه احدها ان النجوم جعلها الله
يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وايات القرآن يهتدى بها في ظلمات

لتهم

رقها

الغي والجهل فتلك هداية في الظلمات الحسية والقرآن هداية في الظلمات
المعنوية فجمع بين الهدايتين معا في النجوم من الزينة الظاهرة وفي القرآن
من الزينة الباطنة ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين وفي القرآن
من رجوم شياطين الانس والجن والنجوم آياته المشهودة العيانية
والقرآن آياته المتلوة السمعية مع ما في مواقعها عند الغروب من
العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول ذكره ابن
القيم وقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم قال ابن كثير اي وان
هذا القسم الذي اقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظم المقسم
به عليه وقوله إنه لقرآن كريم هذا هو المقسم عليه وهو القرآن
اي انه وحي الله وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار انه سحر او كهانة
او شعر بل هو قرآن كريم اي عظيم كثير الخير لانه كلام الله قال ابن
القيم فوصفه بما يقتضي حسنه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته
فان الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء احسنه
وافضله والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه
ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من
النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال الازهري الكريم
اسم جامع لما يحمد والله تعالى كريم جميل الفعال وانه لقرآن
كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة وقوله في
كتاب مكنون اي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر قاله ابن
كثير وقال ابن القيم اختلف المفسرون في هذا فقيل هو اللوح
المحفوظ والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في
قوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة و
يدل على انه الكتاب الذي بايدي الملائكة قوله لا يمسه الا المطهرون
فهذا يدل على انه بايديهم يمسونه قوله لا يمسه الا المطهرون قال
ابن عباس لا يمسه الا المطهرون قال الكتاب الذي في السماء وفي
رواية لا يمسه الا المطهرون يعني الملائكة وقال قتادة لا يمسه
عند الله الا المطهرون فاما في الدنيا فانه يمسه المجوسي النجس
والمنافق

والمنافق الرجس واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم ورجحه
وقال ابن بيدر زعمت قريش ان هذا القرآن تنزلت به الشياطين
فاخبر الله تعالى انه لا يمسه الا المطهرون كما قال تعالى وما تنزلت
به الشياطين الى قوله انهم عن السمع لمعزولون قال ابن كثير هذا
قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله وقال البخاري في صحيحه في
هذه الآية لا يجد طعمه الا من آمن به قال ابن القيم هذا من اشارة
الآية وتنبيهها وهو انه لا ينتفع به وبقراءته وفهمه وتدبره الا
من شهد انه كلام الله تكلم به حقا وانزله على رسوله وحيا الا
ينال معانيه الا من لم يكن في قلبه منه حرج بوجه من الوجوه وقال
اخرون لا يمسه الا المطهرون من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية
خبر ومعناه الطلب قالوا والمراد بالقرآن ها هنا المصحف واحتجوا
على ذلك بما رواه مالك في الموطا عن عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر وقوله تنزيل من رب
العالمين قال ابن كثير اي هذا القرآن منزل من الله
رب العالمين وليس كما يقولون انه سحر وكهانة او شعر بل هو
الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع وفي هذه الآية
انه كلام الله تكلم به قال ابن القيم ونظيره ولكن حق القول مني
وقوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق هو اثبات علو الله
على خلقه فان النزول والتنزيل الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر
هو وصول الشيء من اعلا الى اسفل ولا يرد عليه قوله وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج لانا نقول الذي انزلها فوق سماواته
فانزلها لنا بامره قال ابن القيم وذكر التنزيل مضافا الى
ربوبيته للعالمين المستلزمة لملكه لهم وتصرفه فيهم وحكمه
عليهم واحسانه وانعامه عليهم وان من هذا شانه مع الخلق
كيف يليق به مع ربوبيته التامة ان يتركهم سدى ويدعهم

تعالى

هذا وخلقهم عبثا لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم
فمن اقر بانه رب العالمين اقر بان القرآن تنزيله على رسوله و
استدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم
وصحة ما جاء به وهذا الاستدلال اقوى واشرف من الاستدلال
بالمعجزات والخوارق وان كانت دلالتها اقرب الى اذهان عموم الناس
وتلك انما تكون لخواص العقلاء قوله افهذا الحديث انتم مدهنون
قال مجاهد اي تريدون ان نمالئكم فيه وتركنوا اليهم قال ابن
القيم ثم وبخهم الله سبحانه على وضعهم الادهان في غير موضعه
وانهم يداهنون فيما حقه ان يصدع به ويعرق به ويعض عليه
بالنواجذ وتنثنى عليه الخناصر وتعقد عليه القلوب والافئدة و
يحارب ويسالم لاجله ولا يلتوي عنه يمنة ولا يسرة ولا يكون
للقلب التفات الى غيره ولا محاكمة الا اليه ولا مخاصمة الا به ولا
اهتداء في طرق المطالب العالية الا بنوره ولا شفاء الا به فهو روح
الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وفائدة الفلاح وطريق
النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر فكيف تطلب المداهنة بما
هذا شانه ولم ينزل للمداهنة وانما نزل بالحق وللحق والمداهنة
انما تكون في باطل قوي لا تمكن ازالته او في حق ضعيف لا تمكن اقامته
فيحتاج المداهن الى ان يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل
فاما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به وقوله وتحبون
ان تدهن فلو تدهن فيدهنون تقدم الكلام عليها اول الباب والله سبحانه و
اعلم

باب قول الله تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله الآية لما كانت محبته سبحانه
هي اصل دين الاسلام الذي بنى عليه قطب رحاه فبكمالها يكمل
وينقصها ينقص توحيد الانسان قوله باب قول الله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا الآية قال في شرح المنازل الخبي
ان من احب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من

دون

دون الله اندادا هذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فان
احدا من اهل الارض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فان
اكثر اهل الارض قد اتخذوا من دون الله اندادا في الحب والتعظيم
ثم قال تعالى والذين امنوا اشد حبا لله وفي تقدير الآية قولان
احدهما والذين امنوا اشد حبا لله من اصحاب الاندادا لاندادهم
والهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله وروى بن جرير عن
مجاهد في قوله تعالى يحبونهم كحب الله مباهاتهم ومضاهاتهم الحق بالاندادا
والذين امنوا اشد حبا لله من الكفار لاوثانهم ثم روى عن بن
زيد قال هؤلاء المشركون اندادهم الهتهم التي عبدوا مع الله يحبونهم
كما يحب الذين امنوا الله والذين امنوا اشد حبا لله من حبهم
الهتهم انتهى والثاني والذين امنوا اشد حبا لله من المشركين
بالاندادا لله فان محبة المؤمنين خالصة ومحبة اصحاب الاندادا
قد ذهبت اندادهم بقسط منها والمحبة الخالصة اشد من المشركة
والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى يحبونهم كحب الله
فان فيها قولين ايضا احدهما يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد
اثبت لهم محبة الله ولكنها محبة شركوا فيها مع الله تعالى اندادهم
والثاني ان المعنى يحبون اندادهم كما يحب المؤمنون الله
ثم بين تعالى ان محبة المؤمنين لله اشد من محبة اصحاب الاندادا
لاندادهم وكان شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله يرجح القول
الاول ويقول اذا قالوا انهم شركوا بين الله وبين اندادهم في
المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له وهذه التسوية
المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم وهم في النار انهم يقولون
لالهتهم واندادهم وهي محضرة معهم في العذاب تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم لم
يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وانما سووهم به في
المحبة والتعظيم وهذا ايضا هو العدل المذكور في قوله تعالى الحمد
لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا

قف

من يعدلون اي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم
وقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وهذه تسمى
اية المحنة قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله عز
وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اشارة الى دليل
المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول صلى الله عليه
وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فالمحصل المتابعة فلا محبة له
حاصلة ومحبته لكم منتفية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم
عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
وذكر لهم اربع علامات احدها انهم اذلة على المؤمنين قيل معناه
ارقاء رحماء مشفقين عليهم عاطفين عليهم فلما ضمن اذلة هذا
المعنى عداه بادات على قال عطا للمؤمنين كالولد لوالده والعبد
لسيده وعلى الكافرين كالاسد على فريسته اشداء على الكفار رحماء
بينهم العلامة الثانية

العلامة الثالثة الجهاد في سبيل الله تعالى بالنفس واليد واللسان
والمال وذلك يحقق دعوى المحبة العلامة الرابعة انهم لا تاخذهم
في الله لومة لائم وهذا علامة صحة المحبة فكل محب لغير الله اللوم
على محبوبه فليس بمحب على الحقيقة وقال تعالى اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه فذكر المقامات الثلاثة الحب وهو ابتغاء القرب اليه والتوسل
اليه بالاعمال الصالحة والرجاء والخوف يدل على ان ابتغاء الوسيلة
امر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب ومن المعلوم قطعا انه
لا تنافس الا في قرب من يحب قربه وحب قربه تبع لمحبة ذاته
بل محبة ذاته اوجبت محبة القرب منه وعند الجهمية والمعطلة
ما من ذلك كله شيئ فانه عندهم لا تقرب ذاته من شيئ ولا يقرب
من ذاته شيئ ولا يحب لذاته ولا يحب فانكر واحياة القلوب ونعيم
الارواح وبهجة النفوس وقرة العيون واعلى نعيم الدنيا والاخرة

ولذلك

ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة وضرب دونهم ودون اسعادها
عن معرفته ومحبته فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه الا عند
تعطيل اسمائه وصفاته فذكرهم اعظم اثامهم واوزارهم بل يعاقبون
من يذكره باسمائه وصفاته ونعوت جلاله ويرمونهم بالالحاد والتي
هم احق بها واهلها وحسب ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على
كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته
وتوحيده والله المستعان وقال رحمه الله تعالى ايضا الاعظم
المحبة بحد اوضح منها فلا حدود لا تزيدها الا خفاء فحدها وجودها
ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس
في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها
واجمع ما قيل في ذلك ما ذكره ابو بكر الكتاني رحمه الله عن الجنيد رحمه
الله قال ابو بكر جرت مسئلة في المحبة بمكة اعزها الله في ايام
الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان اصغرهم سنا فقالوا ما عندك
يا عراقي فاطرق راسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه
متصل بذكر ربه قائم بادائ حقوقه ناظر اليه بقلبه احرق قلبه
نور هيبته وصفا شربه من كاس مودته وانكشف له الحيام من
استار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق فعن الله وان تحرك
فبامر الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ
وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين وذكر رحمه
الله ان الاسباب الجالبة للمحبة عشرة احدها قراءة القران بالتدبر
والتفهم لمعانيه وما اريد به الثاني التقرب الى الله تعالى بالنوا
بعد الفرائض الثالث دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب
والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا الرابع ايثار محابه
على محابك عند غلبات الهوى الخامس مطالعة القلب لاسمائه
وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها
الساد مشاهدة بره واحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة السابع
وهي اعجبها انكسار القلب بين يدي الله تعالى في الخلوة وقت النزو

فل

الالهي وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة التاسع
مجالسة المحبين الصادقين والتقاط اطايب ثمرات كلامهم ولا
تتكلم الا اذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت ان فيه مزيد الملك
ومنفعة لغيرك التاسع مباعدة كل سبب يحول بين القلب و
بين الله عز وجل فمن هذه الاسباب العشرة وصل المحبوب الحبيب
منازل المحبة ودخول على الحبيب قوله وقول الله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتوعد من احب اهله وماله
وعشيرته وتجارته ومسكنه فاثرها او بعضها على فعل ما اوجبه
الله عليه من الاعمال التي تحبها تعالى ويرضاها كالهجرة والجهاد ونحو
ذلك قال العماد بن كثير اي ان كانت هذه الاشياء احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا اي انتظروا اما
ذا يحل بكم من عقابه رواه الامام احمد وابو داود واللفظ له
من حديث ابي عبد الرحمن السلمي عن عطا الخراساني عن نافع عن ابن
عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة
واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله
عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم فلا بد من ايثار ما احبه الله
من عبده وارادة على ما يحبه العبد وارادة فيحب ما يحبه الله
ويبغض ما يبغضه ويوالي فيه ويعادي فيه ويتابع رسوله
صلى الله عليه وسلم كما تقدم في اية المحنة ونظائرها قوله وعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين اخرجاه اي البخاري
ومسلم قوله لا يؤمن احدكم اي الايمان الواجب والمراد كما
حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم احب الى العبد من ولده ووالده
والناس اجمعين بل ولا يحصل هذا الكمال حتى يكون الرسول صلى الله
عليه وسلم احب اليه من نفسه كما في الحديث ان عمر قال يا رسول
الله لانت احب الي من كل شيء الا نفسي فقال والذي نفسي بيده

يريده بدل

حتى اكون

حة اكون احب اليك من نفسك فقال عمر فانك الآن احب الي
من نفسي فقال الآن يا عمر رواه البخاري فمن قال ان المنفي هو
الكمال فان اراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويعرض للعقوبة
فقد صدق وان اراد ان المنفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط
في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قاله شيخ الاسلام رحمه الله
فمن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم بدون متابعته وتقديم
قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى ويقولون امنا بالله و
بالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك
بالمؤمنين فنفى الايمان عمن تولى عن طاعة الرسول صلى الله عليه
لكن كل مسلم يكون محبا بقدر ما معه من الاسلام وكل مسلم لا بد
ان يكون مؤمنا وان لم يكن الايمان المطلق لان ذلك لا يحصل الا
لخواص المؤمنين قال شيخ الاسلام وعامة الناس اذا اسلموا
بعد كفر او ولدوا على الاسلام والتزموا شرائعه وكانوا من اهل
لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهم مسلمون ومعهم ايمان مجمل
لكن دخول حقيقة الايمان الى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا ان اعطاهم
الله ذلك والا فكثير من الناس لا يصلون الى اليقين ولا الى الجهاد
ولو شكوا لشكوا ولو امروا بالجهاد لما جاهدوا اذ ليس عندهم من
علم اليقين ما يدرأ الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله
ما يقدمونه على الاهل والمال فهؤلاء ان عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا
الجنة وان ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فان لم يعصم
الله عليهم بما يزيل الريب لا صاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من
النفاق انتهى وفي هذا الحديث ان الاعمال من الايمان لان المحبة
عمل القلب وفيه ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة تابعة
لمحبة الله تعالى لازمة لها فانها محبة لله ولاجله تزيد بزيادة
محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها وكل من كان محبا لله
فانما يحب في الله ولاجله كما يحب الايمان والعمل الصالح وهذه
المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك كالاعتماد عليه ورجائه

صلى الله عليه وسلم

قلب بدل

في حصول مرغوب منها ودفع مرهوب منه وما كان فيها ذلك فمحبة
مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة اليه من دون الله
فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله ولاجله التي هي من كمال التوحيد
وبين المحبة مع الله التي هي محبة الانداد من دون الله لما يتعلق
بقلوب المشركين من الالهية التي لا تجوز الا لله وحقه قوله ولهما
عنه ش اي البخاري ومسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله و
رسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله و
ان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف
في النار وفي رواية لا يجد احد حلاوة الايمان الى آخره قوله ثلاث
اي ثلاث خصال قوله من كن فيه اي وجدت فيه تامة قوله وجد
هنا حلاوة الايمان الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما
يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه وهي شيء محسوس
يجده اهل الايمان في قلوبهم قال السيوطي في اللوشيح وجد حلاوة
الايمان فيه استعارة تخييلية شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء
حلو واثبت له لازم ذلك الشيء واضافه اليه وقال النووي
معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وايثار ذلك على امور
الدنيا ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك لرسوله
صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن معاذ حقيقة الحب في الله ان لا يزيد
بالبر ولا ينقص بالجفا قوله ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما يعني بالسوى ما يحبه الانسان بطبعه كمحبة الولد
والمال والازواج ونحوها فتكون احب هنا على بابها وقال
الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع كذا قال
واما المحبة الشركية التي قد تقدم بيانها فقليلها وكثيرها ينافي
محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الاحاديث احبوا
الله بكل قلوبكم فمن علامات محبة الله ورسوله ان يحب ما يحبه
الله ويكره ما يكرهه الله ويؤثر مرضاته على ما سواه ويسعى

فيما يرضيه

المشاق

فيما يرضيه ما استطاع ويبعد عن ما حرمه ويكرهه اشد الكراهة
ويتابع رسوله ويمتثل امره ويترك نهيه كما قال تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله فمن آثر امر غيره على امره وخالف نهيه
فهي عنه فذلك علم على عدم محبته لله ورسوله فان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
من لوازم محبة الله فمن احب الله واطاعه احب الرسول و
اطاعه ومن لا فلا كما في اية المحنة ونظائرها والله المستعان
قال شيخ الاسلام اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان لان وجود الحلاوة للشيء
يتبع المحبة له فمن احب شيئا واشتهاه اذا حصل له مراده
فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة امر يحصل
عقيب ادراك الملايم الذي هو المحبوب او المشتهى قال فحلاوة
الايمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله
وذلك بثلاثة امور تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها
فتكميلها ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فان
محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها باصل الحب بل الابد ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما قلت ومحبة الله تعالى
تستلزم محبة طاعته فانه يجب من عبده ان يطيعه والمحب
يحب ما يحبه محبوبه ولا بد ومن لوازم محبة الله ايضا محبة
اهل طاعته كمحبة انبيائه ورسله والصالحين من عباده فمحبة
ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الايمان كما في حديث ابن عباس
الآتي قال وتفريعها ان يحب المرء لا يحبه الا لله قال ودفع ضدها
ان يكره ضد الايمان كما يكره ان يقذف في النار انتهى وقوله احب صلى الله عليه وسلم
اليه مما سواهما فيه جمع ضمير الله سبحانه وضمير رسوله صلى
وفيه قولان احدهما ثنى الضمير هنا ايماء الى ان المعتبر هو
المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فانها وحدها لا تغني
وامر بالافراد في حديث الخطيب اشعارا بان كل واحد من العصيا نين
مستقل باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل

استقلال كل من المعطوفين في الحكم الثاني حديث الخطيب على
الادب والاولى وهذا على الجواز وجواب ثالث وهو ان هذا
ورد على الاصل وحديث الخطيب ناقل فيكون ارجح قوله كما
يكره ان يقذف في النار اي يستوي عنده الامران وفيه رد على
الغلاة الذين يتوهمون ان صدور الذنب من العبد ينقص حبه
مطلقا وان تاب منه والصواب انه ان لم يتب كان نقصا و
ان تاب فلا وهذا كان المهاجرون والانصار افضل هذه الامة مع
كونهم في الاصل كفارا فهداهم الله الى الاسلام والاسلام يجب ما
قبله وكذلك الهجرة كما صح الحديث بذلك قوله وفي رواية لا
يجد احد هذه الرواية اخرجها البخاري في الادب من صحيحه ولفظه
لا يجد احد حلاوة الايمان حتى المرء لا يحبه الا لله وحتى ان يقذف
في النار احب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه
وحتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقد تقدم ان
المحبة هنا عبارة عما يجده المؤمن من اللذة والبهجة والسرور
والاجلال والهيبة ولوازم ذلك قال الشاعر

يحبّها

ما بها عنك اجلالا وما بك قدرة عليّ ولكن ملء عين حبيبها

قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من احب في الله وابغض في الله
ووالى في الله وعادى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد
طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت
عامة مواخات الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئا
رواه بن جرير وابن ابي حاتم وبن ابي شيبة وبن ابي حاتم الجملة الاولى منه فقط
قوله من احب اي احب اهل الايمان بالله واطاعته من اجل ذلك
قوله وابغض في الله اي ابغض من كفر بالله واشرك به وفسق
عن طاعته لاجل ما فعلوه مما يسخط الله وان كانوا اقرب الناس
اليه كما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او
عشيرتهم الاية قوله ووالى في الله هذا والذي قبله من لوازم محبة
العبد لله

العبد لله تعالى فمن احب الله احب فيه ووالى اولياءه وعادى اهل
معصيته وابغضهم وجاهد اعداءه ونصر انصاره وكلما قويت محبة
العبد لله في قلبه قويت هذه الاعمال المترتبة عليها وبتمامها يكمل
توحيد العبد ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه فتأمل
ومستكثر ومحروم قوله فانما تنال ولاية الله بذلك اي تولية
لعبده وولاية بفتح الواو ولا غير اي الاخوة والمحبة والنصرة
وبالكسر الامارة والمراد هنا الاول ولاحمد والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجد عبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب
لله وابغض لله فقد استحق الولاية لله وفي حديث آخر اوثق عرى
الايمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل رواه الطبراني قوله
ولن يجد عبد طعم الايمان الخ اي لا يحصل له ذوق الايمان ولذته
وسروره وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك اي حتى يحب في
الله ويبغض في الله ويعادي فيه ويوالي فيه وفي حديث ابي امامة
مرفوعا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد
استكمل الايمان رواه ابو داود قوله وقد صارت عامة مواخات
الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئا اي لا ينفعهم بل
يضرهم كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
فاذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن بن عباس في خير القرون
فماذا الامر بعد ذلك لا شدة حتى وقعت الموالات على الشرك والا
لبدع والفسوق والعصيان وقد وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
بقوله بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وقد كان الصحابة
رضي الله عنهم من المهاجرين والانصار في عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم
وعهد ابي بكر وعمر يؤثر بعضهم بعضا على نفسه محبة في الله وتقربا
اليه كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة و
عن ابن عمر قال لقد رأيتنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
منا احد يرى انه احق بدينار ولا درهم من اخيه المسلم رواه ابن
ماجة قول وقال بن عباس في قوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب قال

المودة ش هذا الاثر رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر
وابن ابي حاتم والحاكم وصححه قوله قال المودة اي التي كانت في الدنيا
خانتهم احوج ما كانوا اليها وتبرأ بعضهم من بعض كما قال تعالى
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الاية قال
العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى قوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب الاية فهؤلاء
المتبوعون كانوا على الهدى واتباعهم ادعوا انهم على طريقهم ومنهاجهم
وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم ويزعمون ان محبتهم لهم
تنفعهم مع مخالفتهم فيتبرؤن منهم يوم القيمة فانهم اتخذوهم اولياء
من دون الله وهذا حال كل من اتخذ من دون الله ولجة و
اولياء يواليهم ويعادي بهم ويرضى لهم ويغضب لهم فان اعماله
كلها باطلة يوم القيمة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها
ونصبه اذ لم يجرد موالاته ومعاداته ومحبته وبغضه وانتصاره
وايثاره لله ورسوله فابطل الله عز وجل ذلك العمل كله وقطع تلك
الاسباب فينقطع يوم القيمة كل سبب ووصلة ووسيلة ومودة
كانت لغير الله ولا يبقى الا السبب الواصل بين العبد وربه وهو
حظه من الهجرة اليه والى رسوله وتجريد عبادته وحده ولوازم
من الحب والبغض والعطاء والمنع والموالاة والمعاداة والتقريب
والابعاد وتجريد متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم تجريدا محضا بريئا
من شوايب الالتفات الى غيره فضلا عن الشرك بينه وبين غيره فضلا
عن تقديم قول غيره عليه فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه
وهذه هي النسبة التي بين العبد وبين ربه وهي نسبة العبودية
المحضة وهي اختيته التي يحول ما يحول واليها مرجعه والحق
الا تجريده متابعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اذ هذه العبودية
انما جاءت على السنتهم وما عرفت الا بهم ولا سبيل اليها الا بمتابعتهم
وقد قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فهذه
هي الاعمال

قلت هي الاعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم
ولغير وجهه يجعلها الله هباء منثورا لا ينتفع منها صاحبها
بشيء اصلا وهذا من اعظم الحسرات على العبد يوم القيمة ان يرى
سعيه ضائعا وقد سعد اهل السعي النافع بسعيهم انتهى ملخصا

قوله باب قول الله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين

الخوف من افضل مقامات الدين واجلها واجمع انواع العبادة التي يحب الله تعالى قال الله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى وهم من خشيته مشفقون وقال تعالى فاياي فارهبون وقال فلا تخشوا الناس واخشون وامثال هذه الايات في القرآن كثير والخوف من حيث هو على ثلاثة اقسام احدها خوف السر وهو ان يخاف من غير الله من وثن او طاغوت ان يصيبه بما يكره كما قال تعالى عن قوم هود انهم قالوا له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه الاية وقال تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوهم من الاوثان يخافونها ويخوفون بها اهل التوحيد اذا انكروا عبادتها وامروا باخلاص العبادة لله وهذا ينافي التوحيد الثاني ان يترك الانسان ما يجب عليه خوفا من الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد وهذا هو سبب نزول هذه الاية كما قال تعالى للذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الاية وفي الحديث ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رايت المنكر ان لا تغيره فيقول رب خشيت الناس فيقول اياي كنت احق ان تخشى الثالث الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو او سبع او غير ذلك فهذا لا يذم كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام فخرج منها خائفا يترقب الاية ومعنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه اي يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافون وهذا نهي من

الله تعالى للمؤمنين ان يخافوا غيره وامرهم ان يقصروا لخوفهم على الله تعالى
فلا يخافون الا اياه وهذا هو الاخلاص الذي امر الله به عباده
ونهيه منهم فاذا اخلصوا له الخوف وجميع العبادة اعطاهم ما
يرجون وآمنهم مما يخافون في الدنيا والاخرة قال تعالى اليس الله بكاف
عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد
قال العلامة ابن القيم رحمه الله ومن كيد عدوه له ان يخوف
المؤمنين من جنده واوليائه ليلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف
ولا ينهوهم عن منكر واخبر تعالى ان هذا من كيد الشيطان وتخويفه
ونهانا ان نخافه قال والمعنى عند جميع المفسرين يخوفكم باوليائه
قال قتادة يعظمهم في صدوركم فكلما قوي ايمان العبد زال من قلبه
خوف اولياء الشيطان وكلما ضعف ايمانه قوي خوفه منهم فذلت

شروطهم هذه الاية على ان اخلاص الخوف من كمال الايمان قوله وقول الله تعالى
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى
الزكوة ولم يخش الا الله الاية شرط الله تعالى ان مساجد الله لا يعمرها
الا اهل الايمان بالله واليوم الاخر الذين امنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم
واخلصوا له الخشية دون من سواه فاثبت لهم عمارة المساجد
بعد ان نفاها عن المشركين لان عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح
والشرك وان عمل فعمله حسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا او كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
وما كان كذلك فالعدم خير منه فلا تكون المساجد عامرة الا
بالايمان الذي حظه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب
الشرك والبدع وذلك كله داخل في مسمى الايمان المطلق عند اهل
السنة والجماعة قوله ولم يخش الا الله قال ابن عطية يريد
خشية التعظيم والعبادة والطاعة ولا محالة ان الانسان يخشى
المحاذير الدنيوية وينبغي ان يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه
وقال ابن القيم رحمه الله الخوف عبودية القلب فلا يصلح الا لله
كالذل والانابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب

قوله

قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وقال ابن ابي طلحة عن
ابن عباس يقول لعل اولئك هم المهتدون وكل عسى في القرآن فهي واجبة
وفي الحديث اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان
قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر رواه
احمد والترمذي والحاكم وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا
اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الاية قال ابن كثير الله ﷻ
يقول تعالى مخبرا عن قوم يدعون الايمان بالسنتهم ولم يتبعد في قلوبهم
انهم اذا جاءتهم محنة اعتقدوا انها من نقمة الله بهم فارتدوا عن
الاسلام قال ابن عباس يعني فتنة اي يرتد عن دينه اذا اوذي
في الله وقال ابن القيم الناس اذا ارسل اليهم الرسل بين امرين
اما ان يقول احدهم امنا واما ان لا يقول ذلك بل يستمر على التكذيب
والكفر فمن قال امنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه والفتنة الابتلاء
والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب ومن لم يقل امنا فلا يحسب
انه يعجز الله ويفوته وليسبقن من امن بالرسل واطاعهم عاداه
اعداؤهم واذوه فابتلي بما يؤلمه ومن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب
في الدنيا والاخرة وحصل له ما يؤلمه وكان هذا الالم اعظم وادوم من
الم اتباعهم فلا بد من حصول الالم لكل نفس آمنت او رغبت عن الايمان
لكن المؤمن يحصل له الالم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا
والاخرة والمعرض عن الايمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير في الالم
الدائم والانسان لا بد له ان يعيش مع الناس والناس لهم ارادات و
تصورات فيطلبون منه ان يوافقهم عليها وان لم يوافقهم آذوه وعنفوه
وان وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم كمن عنده
دين وتقى حل بين قوم فجار ظلمة ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم الا
بموافقته لهم او سكوته عنهم فان وافقهم او سكت عنهم سلم من شرهم
في الابتداء ثم يتسلطون عليه بالاهانة والاذى اضعاف ما كان يخافه
ابتداء لو انكر عليهم وخالفهم وان سلم منهم فلا بد ان يهان ويعاقب
على يد غيرهم فالحزم كل الحزم في الاخذ بما قالت ام المؤمنين معاوية

رضي الله عنه من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن ارضى
الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا فمن هداه الله والهمه
رشده ووقاه شر نفسه اشتمل من الموافقة على فعل المحرم وصبر
على عداوتهم ثم تكون له العاقبة في الدنيا والاخرة كما كانت للرسل و
اتباعهم ثم اخبر عن حال الداخل في الايمان بلا بصيرة وانه اذا اوذي
في الله جعل فتنة الناس له وهي اذاهم وبلاهم اياه بالمكروه وهو
الالم الذي لا بد ان ينال الرسل واتباعهم ممن خالفهم جعل ذلك في
فراره منه فتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فر منه
للمؤمنون بالايمان فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من الم عذاب الله
الى الايمان وتحملوا ما فيه من الالم الزائل المفارق عن قرب وهذا من
ضعف بصيرته فر من الم اعداء الرسل الى موافقتهم ومتابعتهم
ففر من الم عذابهم الى الم عذاب الله فجعل الم فتنة الناس في الفرار منه
بمنزلة عذاب الله وغبن كل الغبن اذا استجار من الرمضا بالنار
وفر من الم ساعة الى الم الابد واذا نصر الله جنده واولياءه قال اني
كنت معكم والله اعلم بما انطوى عليه صدره من النفاق انتهى وفي الآية
رد على المرجئة والكرامية وفيه التحذير من مداهنة الخلق في الحق وا
لمعصوم من عصمه الله قوله عن ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف
اليقين ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم
على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية
كاره شرح هذا الحديث رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي واعله بجبر
مرواه السدي وقال ضعيف وفيه ايضا عطية العوفي ذكره الذهبي
في الضعفا والمتروكين ومعنى الحديث صحيح وتمامه وانه بحكمته
جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط قوله ان من ضعف اليقين الضعف يضم ويحرك ضد
القوة ضعف ككرم ونصر ضعفا وضعفا وصعافة وضعافة
فهو ضعيف وضعوف وضعفان والجمع ضعاف وضعفا وضعفة
وضعفى وضعافى والضعف في الراي وبالضم في البدن فهي ضعيفة

وضعوف

وضعوف في اليقين كمال الايمان قال ابن مسعود رضي الله عنه اليقين الايمان كله
والصبر نصف الايمان ورواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد
من حديثهم مرفوعا قال ويدخل في ذلك تحقيق الايمان بالقدر السابق
كما في حديث به عباس مرفوعا فان استطعت ان تعمل بالرضى في
اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا
وفي رواية قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم
ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك قوله
ان ترضي الناس بسخط الله اي تؤثر رضاهم على رضى الله وذلك اذا لم
يقم بقلبه من اعظام الله واجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب
رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف
في القلوب ويفرج الكروب ويغفر الذنوب وبهذا الاعتبار يدخل
في نوع من الشرك لانه آثر رضى المخلوق على رضى الله وتقرب اليه
بما يسخط الله ولا يسلم من هذا الا من سلمه الله ووفقه لمعرفته
ومعرفة ما يجوز على الله تعالى من اثبات صفاته على ما يليق بجلاله و
تنزيهه تعالى عن كل ما ينافي كماله ومعرفة توحيده في ربوبيته و
الهيته وبالله التوفيق قوله وان تحمدهم على رزق الله اي انما
وصل اليك من ايديهم بان تضيفه اليهم وتحمدهم عليه فان
المتفضل في الحقيقة هو الله وحده الذي قدره لك واوصله
اليك واذا اراد ما قيض له اسبابا ولا ينافي هذا حديث من
لا يشكر الناس لا يشكر الله لان شكرهم انما هو بالدعا لهم لكونه
الله ساقه على ايديهم فتدعو لهم او تكافيهم لحديث من صنع اليكم
معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى
تروا انكم كافيتموه فاضافة الصنيعة اليهم لكونهم صاروا
سببا في ايصال المعروف اليك والذي قدره وساقه هو الله
وحده قوله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله اي لانه لم يقدر
لك ما طلبته على ايديهم فلو قدر لك لساقته المقادير اليك
فمن علم ان المتفرد بالعطا والمنع هو الله وحده وانه هو الذي

يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يمدح مخلوقا
على رزق الله ولم يذمه على منع ويفوض امره الى الله ويعتمد عليه
في امر دينه ودنياه وقد فسر هذا المعنى بقوله في الحديث ان
يرزق الله لا يحركه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره كما قال
تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا
مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم قال شيخ الاسلام اليقين
يتضمن اليقين في القيام بامر الله وما وعد الله اهل طاعته و
يتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره فاذا ارضيتهم بسخط
الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا بامره فانه انما يحمل الانسان على
ذلك اما ميل الى ما في ايديهم فيترك القيام فيهم بامر الله لما يرجو
منهم واما ضعف تصديقه بما وعد الله اهل طاعته من النصر
والتاييد والثواب في الدنيا والاخرة فانك اذا ارضيت الله هو
ينصرك ويرزقك ويكفيك مؤنتهم وارضاؤهم بما يسخط اغلب
خوفا منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين واذا تقدر
لك ما تظن انهم يفعلونه معك فالامر في ذلك الى الله لا اليهم فانه ما شاء
كان وما لم يشا لم يكن فاذا ذممتهم على ما يقدر كان ذلك من ضعف
يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك
ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود ومن ذمه الله ورسوله
منهم فهو المذموم ولما قال بعض وفد بني تميم اي محمد اعطني فان حمدي
زين وذمي شين قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله ودل الحديث على ان
الايمان يزيد وينقص وان الاعمال من مسمى الايمان قوله وعن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من التمس رضا الله بسخط الناس رضي
الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط
الله عليه واسخط عليه الناس رواه ابن حبان في صحيحه هذا الحديث
رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجل من اهل المدينة
قال كتب معاوية الى عائشة ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري
علي فكتبت عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه
الله مؤنة الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله
الى الناس والسلام عليك ورواه ابو نعيم قوله من التمس
اي طلب قال شيخ الاسلام وكتبت عائشة الى معاوية
ورويانها رفعته من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة
الناس ومن ارضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا
هذا لفظ المرفوع ولفظ الموقوف من ارضى الله بسخط الناس
رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن ارضى الناس بسخط الله
عاد حامده من الناس له ذاما وهذا من اعظم الفقه في الدين
فان من ارضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبدا صالحا
والله يتولى الصالحين والله كاف عبده ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والله يكفيه مؤنة الناس
بلا ريب واما كون الناس كلهم يرضوه عنه فقد لا يحصل ذلك
لكن يرضوه عنه اذا سلموا من الاغراض واذا تبين لهم العاقبة
ومن ارضي الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا كالظالم
الذي يعض على يديه واما كون حامده ينقلب ذاما فهذا يقع
كثيرا ويحصل في العاقبة فان العاقبة للتقوى فلا تحصل ابتداء
عند هوائهم انتهى وقد احسن من قال
اذا اصحى منك الود با غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب
قال بن رجب فمن تحقق ان كل مخلوق فوق التراب فهو تراب
فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الارباب ام كيف
يرضي التراب بسخط الملك الوهاب ان هذا لشيء عجاب وتقدم
عقوبة من خاف الناس واثر رضاهم على الله فان العقوبة قد
تكون في الدنيا عيانا بالله من ذلك كما قال تعالى فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون

باب قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين

قال ابو السعادات يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به ووكلت
امري الى فلان اذا اعتمدت عليه ووكل فلان فلانا اذا استكفاه امره
ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه انتهى واراد المصنف
بهذه الترجمة بالاية بيان ان التوكل فريضة يجب اخلاصه لله تعالى
فان تقديم المعمول يفيد الحصر اي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره فهو
من اجمع انواع العبادة واعظمها لما ينشئ عنه من الاعمال الصالحة
فانه اذا اعتمد على الله في جميع اموره الدينية والدنيوية دون كل
من سواه صح اخلاصه ومعاملته مع الله تعالى فهو من اعظم منازل
اياك نعبد واياك نستعين فلا يحصل كمال التوحيد بانواعه الثلاثة
هنه الا بكمال التوكل على الله كما في الاية وكما قال تعالى ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله
قف الا هو فاتخذه وكيلا والايات في الامر به كثيرة جدا قال الامام احمد
التوكل عمل القلب وقال ابن القيم في معنى الاية المترجم بها فجعل
التوكل على الله شرطا في الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه
وفي الاية الاخرى قال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين فجعل دليل صحة الاسلام التوكل وكلما قوي ايمان
العبد كان توكله اقوى واذا ضعف الايمان ضعف التوكل واذا كان
التوكل ضعيفا كان دليلا على ضعف الايمان ولابد والله تبارك
وتعالى يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والايمان وبين التوكل
والتقوى وبين التوكل والاسلام وبين التوكل والهداية فظهر ان
التوكل اصل جميع مقامات الايمان والاحسان ولجميع اعمال الاسلام
وانه منزلته منها كمنزلة الجسد من الراس فكما لا يقوم الراس الا على
البدن فكذلك لا يقوم الايمان ومقاماته واعماله الا على ساق
التوكل قال الشيخ الاسلام وما رجي احد مخلوقا ولا توكل عليه
الا خاب ظنه فيه فانه مشرك ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق قال الشارح قلت

لكن

لكن التوكل على الله قسمان احدهما التوكل في الامور التي لا يقدر عليها
الا الله كالذين يتوكلون على الاموات والطواغيت في جلب مطالبهم
من نصر او حفظ او رزق او شفاعة فهذا شرك اكبر الثاني
التوكل في الاسباب الظاهرة كمن يتوكل على امير او سلطان فيما
اقدره الله عليه من رزق او دفع اذى ونحو ذلك فهو نوع شرك
اصغر والوكالة الجائزة هي توكيل الانسان في فعل ما يقدر عليه
نيابة عنه لكن ليس له ان يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل
على الله في تيسير امره الذي يطلبه بنفسه او نايبه وذلك من جملة
الاسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي
اوجد السبب والمسبب قال تعالى وقوله تعالى انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية عن ابن عباس قال ان المنافقون
لا يخل قلوبهم شيئ من ذكر الله عند اداء فرايضه ولا يؤمنون بشيئ
من ايات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون اذا غابوا ولا يؤدون
زكاة اموالهم فاخبر الله انهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين
فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فادوا فرايضه
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ووجل القلب من الله يستلزم
القيام بفعل ما امر به وترك ما نهى عنه قال السدي الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هو الرجل يريد ان يظلم او قال ان يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه رواه ابن ابي شيبة وابن
جرير من قوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا استدل الصحابة
والتابعون ومن بعدهم من اهل السنة بهذه الاية ونظايرها
على زيادة الايمان ونقصانه قال عمير بن حبيب الصحابي ان
الايمان يزيد وينقص فقيل له وما زيادته ونقصانه قال اذا
ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته واذا غفلنا ونسينا و
ضيعنا فذلك نقصانه رواه ابن سعد وقال مجاهد الايمان يزيد
وينقص وهو قول وعمر رواه ابن ابي حاتم وحكى الاجماع على ذلك
الشافعي واحمد وابو عبيد وغيرهم وقوله وعلى ربهم يتوكلون

اي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين اليه امورهم ولا يرجون سواه
ولا يقصدون الا اياه ولا يرغبون الا اليه يعلمون ان ما شاء كان
وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك
له وفي الاية وصف المؤمنين حقا بثلاث مقامات الاحسان وهو
الخوف وزيادة الايمان والتوكل على الله وحده وهذه المقامات تقتضي
كمال الايمان وحصول اعماله الباطنة والظاهرة مثال ذلك الصلاة
فمن اقام الصلاة وحافظ عليها واذى الزكاة كما امره الله استلزم
ذلك العمل بما يعتد عليه من الواجبات وترك جميع المحرمات كما قال
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر قال وقوله
تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال ابن
القيم اي الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا تحتاجون معه الى
احد وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية وقيل المعنى حسبك الله
وحسبك المؤمنون قال ابن القيم وهذا خطأ محض لا يجوز حمل
الاية عليه فان الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة
قال الله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك
بنصره وبالمؤمنين ففرق بين الحسب والتاييد فجعل الحسب له
وحده وجعل التاييد له بنصره وبعباده واثنى على اهل التوحيد
من عباده حيث افردوه بالحسب فقال تعالى الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ونظير هذا
قوله سبحانه وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون فتامل كيف جعل الايتاء لله والرسول وجعل الحسب
له وحده فلم يقل وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جعله خالصا لوجهه
كما قال انا الى الله راغبون فجعل الرغبة اليه وحده كما قال والى ربك
فارغب فالرغبة والتوكل والانابة والحسب لله وحده كما ان العبادة
والتقوى والسجود والنذر والحلف لا يكون الا لله سبحانه وتعالى
وبهذا يتبين مطابقة الاية للترجمة فاذا كان هو الكافي لعبده

وجب

وجب الا يتوكل الا عليه ومتى التفت بقلبه الى سواه وكله الى من التفت
اليه كما في الحديث من تعلق شيئا وكل اليه قال وقول الله تعالى و
من يتوكل على الله فهو حسبه قال ابن القيم اي كافيه ومن كان الله
كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره الا اذى لا بد منه
كالحر والبرد والجوع والعطش واما ان يضره بما يبلغ به مراده
فلا يكون ابدا وفرق بين الاذى الذي هو في الظاهر ايذاء وفي
الحقيقة احسان واضرار بنفسه وبين الضرر الذي يشتفي به
منه قال بعض السلف جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه وجعل جزاء
التوكل عليه نفس كفايته فقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه فلم يقل
فله كذا وكذا من الاجر كما قال في الاعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي
عبده المتوكل عليه وواقيه فلو توكل العبد على الله حق توكله و
كادته السموات والارض ومن فيهن لجعل الله له مخرجا ورزقه وكفاه م
ونصره انتهى وفي اثر رواه احمد في الزهد عن وهب بن منبه
قال الله عز وجل في بعض كتبه بعزتي انه من اعتصم بي فكادته
السموات بمن فيهن والارضون بمن فيهن فانا اجعل له من ذلك
مخرجا ومن لم يعتصم بي فاني اقطع يديه من اسباب السماء والارض
من تحت قدميه الارض فاجعله في الهوى ثم اكله الى نفسه كفاك
لعبدي يمنا لا اذا كان عبدي في طاعتي اعطيه قبل ان يسالني و
استجيب له قبل ان يدعوني فانا اعلم بحاجته التي ترفق به منه
وفي الاية دليل على فضل التوكل وانه اعظم الاسباب في جلب المنافع
ودفع المضار لان الله علق الجملة الاخيرة على الاولى تعليق الجزاء
على الشرط فيمتنع ان يكون وجود الشرط كعدمه لانه تعالى رتب
الحكم على الوصف المناسب له فعلم ان توكله هو سبب كون الله
حسبا له فيها وفيها تنبيه على القيام بالاسباب مع التوكل لانه
تعالى ذكر التقوى ثم ذكر التوكل كما قال تعالى واتقوا الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام بالاسباب
المامور بها فالتوكل بدون القيام بالاسباب المامور بها عجز

محض وان كان مشوبا بنوع من التوكل فلا ينبغي للعبد ان يجعل توكله
ولا عجزه توكلا بل يجعل توكله من جملة الاسباب التي لا يتم المقصود
الا بها كلها ذكره ابن القيم بمعناه قال وعن ابن عباس قال حسبنا
الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القي في النار
وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا الآية رواه البخاري قوله حسبنا الله
اي كافينا فلا نتوكل الا عليه قال تعالى اليس الله بكاف عبده قوله ونعم
الوكيل اي نعم الموكول اليه كما قال تعالى واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم
المولى ونعم النصير وفي مخصوص نعم محذوف تقديره هو قال ابن القيم هو
حسب من توكل عليه وكافي من لجأ اليه وهو الذي يؤمن خوف الخائف
ويجير المستجير فمن تولاه واستنصره وتوكل عليه وانقطع بكليته
اليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه ومن خافه واتقاه منه
مما يخافه ويحذره وجلب اليه ما يحتاج من المنافع قوله قالها
ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القي في النار قال تعالى قالوا حرقوه وانصروا
الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم الآية
قوله وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وذلك بعد
منصرفه من قريش والاحزاب من احد بلغه ان ابا سفيان ومن معه
قد اجمعوا الكرة عليكم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا
حتى انتهى الى حمراء الاسد فالقى الله الرعب في قلب ابي سفيان فرجع
الى مكة بمن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون
قالوا نريد المدينة قال فهل انتم مبلغون محمدا عني رسالة قالوا نعم
قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه
لنستاصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء
الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل
ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة وانها قول الخليلين
عليهما الصلاة والسلام في الشدائد وجاء في الحديث اذا وقعتم في

الامر

الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قوله باب قول الله تعالى
افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
قصد المصنف رحمه الله بهذه الآية التنبيه على ان الامن من مكر
الله من اعظم الذنوب وانه ينافي كمال التوحيد كما ان القنوط
من رحمة الله كذلك وذلك يرشد الى ان المؤمن يسير الى الله بين
الخوف والرجاء كما دل على ذلك الكتاب والسنة وارشد اليه السلف
والائمة ومعنى الآية ان الله تبارك وتعالى لما ذكر حال اهل القرى
المكذبين للرسل بين ان الذي حملهم على ذلك هو الامن من مكر الله
وعدم الخوف منه كما قال تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون
افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الهالكون
وذلك انهم امنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا
ان يكون ذلك مكرا قال الحسن من وسع الله عليه فلم ير انه يمكر
به فلا رأي له وقال قتادة بغت القوم امر الله وما اخذ الله قوما
قط الا عند سلوتهم وعزتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله وفي الحديث
اذا رايت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو
استدراج رواه احمد وابن جرير وابن ابي حاتم وقال اسماعيل بن
رافع من الامن من مكر الله اقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة
رواه ابن ابي حاتم وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف يستدرجهم
الله بالنعم اذا عصوه ويملي لهم ثم ياخذهم اخذ عزيز مقتدر وهذا
هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك ذكره ابن جرير بمعناه قال وقوله
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والقنوط استبعاد الفرج
واليأس منه وهو يقابل الامن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم وقد
تقدم ما فيه لما فاته لكمال التوحيد وذكر المصنف رحمه الله هذه
الآية مع التي قبلها تنبيها على انه لا يجوز لمن خاف الله ان يقنط
من رحمته بل يكون خائفا راجيا يخاف ذنوبه ويعمل بطاعته ويرجو
رحمته كما قال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر

الاخرة ويرجوا رحمة ربه وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فالرجاء
مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان ليوقع العبد في المخاوف
مع ترك الاسباب المنجية من المهالك بخلاف حال اهل الايمان الذين
اخذوا بالاسباب النجاة خوفا من الله وهربا من عقابه وطمعا في
المغفرة والرجا لثوابه والمعنى ان الله تعالى حكى قول خليله ابراهيم
عليه السلام لما بشرته الملائكة بابنه اسحق قال ابشرتموني على
ان مسني الكبر فبم تبشرون لان العادة ان الرجل اذا كبر سنه و
سن زوجته استبعدا ان يولد له منها والله على كل شئ قدير فقالت
الملائكة بشرناك بالحق الذي لا ريب فيه فان الله اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون فلا تكن من القانطين اي من الايسين فقال
عليه السلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فانه يعلم من
قدرة الله ورحمته ما هو ابلغ من ذلك واعظم لكنه والله اعلم
قال ذلك على وجه التعجب قوله الا الضالون قال بعضهم الا المخطئون
طريق الصواب او الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال الشرك بالله و
اليأس من روح الله والامن من مكر الله هذا الحديث رواه
البزار وابن ابي حاتم من طريق شبيب بن بشر فقال ابن معين ثقة
وليثه ابن ابي حاتم وقال ابن كثير في اسناده نظر ولا اشبه
ان يكون موقوفا قوله الشرك بالله هو اكبر الكبائر قال ابن القيم
الشرك بالله هضم للربوبية وتنقص للالهية وسوء ظن برب
العالمين انتهى ولقد صدق ونصح قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهذا لا يغفره الله الا
بالتوبة منه قوله واليأس من روح الله اي قطع الرجا والامل من
الله فيما يخافه ويرجوه وذلك اساءة ظن بالله وجهل به وبسعة
رحمته وجوده ومغفرته قوله والامن من مكر الله اي من استدراج

للعبد

عن عكرمة عن ابن عباس ورجال الاول ثقات الا شبيب بن بشر

للعبد وسلبه ما اعطاه من الايمان نعوذ بالله من ذلك وذلك
جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها واعلم ان هذا
الحديث لم يرد فيه حصر الكبائر في الثلاث بل الكبائر كثيرة و
هذه الثلاث من اكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة و
ضابطها ما قاله المحققون من العلماء كل ذنب ختمه الله بنار
او لعنة او غضب او عذاب نزاد شيخ الاسلام بن تيمية او
نفي الايمان قلت ومن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
او قال ليس منا من فعل كذا وكذا وعن ابن عباس هي الى سبع ما
اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار قوله وعن ابن مسعود قال اكبر الكبائر الشرك
بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح
الله رواه عبد الرزاق ورواه ابن جرير باسناد صحاح عن ابن
مسعود رضي الله عنه قوله اكبر الكبائر الاشراك بالله اي في ربوبيته
او عبادته وهذا بالاجماع قوله والقنوط من رحمة الله قال ابو
السعادات هو اشد اليأس وفيه التنبيه على الرجا والخوف فلا
يقنط ولا ييأس بل يرجو رحمة الله وكان السلف يستحبون
ان يقوى في الصحة الخوف وفي المرض الرجا وهذه طريقة ابي سليمان
الداراني وغيره قال وينبغي للقلب ان يكون الغالب عليه الخوف
فاذا غلب الرجا الخوف فسد القلب قال تعالى ان الذين يخشون
ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير وقال يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب والابصار وقال تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون وهم لها سابقون وقال
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة
ربه الاية قدم الحذر على الرجا في هذه الاية قوله باب
من الايمان بالله الصبر على اقدار الله قال الامام احمد رحمه الله تعالى
ذكر الله الصبر في ستين موضعا من كتابه وفي الحديث الصحيح
الصبر ضياء رواه احمد ومسلم وللبخاري في مسلم مرفوعا ما اعطي

في الخيرات

احد عطاء خير واوسع من الصبر قال عمر وجدنا خير عيشنا
بالصبر رواه البخاري قال علي ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس
من الجسد ثم رفع صوته فقال الا انه لا ايمان لمن لا صبر له
واشتقاقه من صبر اذا حبس ومنع والصبر حبس النفس عن
الجزع وحبس اللسان عن التشكي واللطم وحبس الجوارح عن
لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها ذكره ابن القيم واعلم ان الصبر
ثلاثة اقسام صبر على ما امر الله به وصبر عما نهى الله عنه وصبر
على ما قدره الله من المصايب قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
واول الآية ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بمشيئته وارادته
وحكمته كما قال في الآية الاخرى ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها الآية وقال تعالى
بشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون الآية قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال ابن عباس
يأمر الله يعني عن قدره ومشيئته ومن يؤمن بالله يهد قلبه اي
ومن اصابته مصيبة فعلم انها بقضاء الله وقدره فصبر و
احتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عن
ما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه
ما كان اخذ منه قوله والله بكل شيء عليم تنبيه على ان ذلك
انما يصدر عن علمه المتضمن لحكمته وذلك يوجب الصبر والرضى
قوله قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند
الله فيرضى ويسلم هذا الاثر رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وعلقمة
هو بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي صلى الله عليه
وسمع من ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وبن مسعود وعايشة
وغيرهم رضي الله عنهم وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم مات
بعد الستين قوله هو الرجل تصيبه المصيبة الى آخره هذا الاثر
رواه الاعمش عن بن ضبيان قال كنا عند علقمة فقرء عليه هذه الآية
ومن يؤمن بالله يهد قلبه فقال هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها

وقول الله تعالى

من عند

من عند الله فيرضى ويسلم هذا سياق بن جرير وفي هذا دليل على
ان الاعمال من مسمى الايمان قال سعيد بن جبير ومن يؤمن
بالله يهد قلبه يعني يسترجع يقول انا لله وانا اليه راجعون
وفي الآية بيان ان الصبر سبب لهداية القلب وانها من
ثواب الصابر قوله وفي الصحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن
في النسب والنياحة على الميت اي هما بالناس كفر حيث كانتا
من اعمال الجاهلية وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما الا من
سلمه الله ورزقه علما وايمانا يستضيء به لكن ليس من قام به
شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق كما انه ليس
من قام به شعبة من شعب الايمان يصير مؤمنا الايمان المطلق
وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله ليس بين العبد وبين
الكفر او الشرك الا ترك الصلاة وبين كفر منكر في الاثبات
قوله الطعن في النسب اي عيبه ويدخل فيه ان يقال هذا ليس
ابن فلان مع ثبوت نسبه قوله والنياحة على الميت اي رفع الصوت
بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخط على القدر المنافي
للصبر كقول الناشجة واعضداه وانا صراه ونحو ذلك وفيه
دليل على ان الصبر واجب وان من الكفر ما لا ينقل عن الملة قوله
وبهما عن بن مسعود مرفوعا ليس منا من ضرب الخدود و
شق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية هذا من نصوص الوعيد و
قد جاء عن سفيان الثوري واحمد كراهية تأويلها بالكون
اوقع في النفوس وابلغ في الزجر وهو يدل على ان ذلك ينافي كمال
الايمان الواجب قوله من ضرب الخدود قال الحافظ خص الخد لكونه
الغالب والا فضرب بقية الوجه مثله قوله وشق الجيوب هو ان
يدخل فيه الراس من الثوب وذلك من عادة اهل الجاهلية حزنا
على الميت قوله ودعا بدعوى الجاهلية قال شيخ الاسلام هو ندب الميت
وقال غيره هو الدعاء بالويل والثبور وقال ابن القيم الدعاء بدعوى الجا

هلية

كالدعاء الى القبائل والعصبية ومثله التعصب الى المذاهب
والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض يدعوا الى ذلك
ويوالي عليه ويعادي فكل هذا من دعوى الجاهلية وعند ابن
ماجة وصحيحه بن حبان عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه
لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل و
الثور وهذا يدل على ان هذه الامور من الكبائر وقد يعفى
عن الشئ اليسير من ذلك اذا كان صدقا وليس على وجه النوح
والتسخط نص عليه احمد رحمه الله لما وقع لابي بكر وفاطمة
رضي الله عنهما لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في هذه
الاحاديث ما يدل على النهي عن البكى لما في الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه ابراهيم قال تدمع العين و
يحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون
وفي الصحيحين عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطلق الى احدى بناته ولها صبي في الموت فرفع اليه ونفسه تقعقع
كانها شنة ففاضت عيناه فقال سعد ما هذا يا رسول الله قال
هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده
الرحماء وقوله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة هذا الحديث
رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي واخرجه الطبراني
والحاكم عن عبد الله بن مغفل واخرجه بن عدي عن ابي هريرة و
الطبراني عن عمار بن ياسر قوله اذا اراد الله بعبده الخير عجل
له العقوبة في الدنيا اي يصب البلا والمصايب عليه لما فرط من الذنوب
منه فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيمة قال شيخ
الاسلام المصايب نعمة لانها مكفرات للذنوب وتدعوا الى الصبر
وتثاب عليها وتقتضي الانابة الى الله والذل له والاعراض عن الخلق
الى غير ذلك من المصالح العظيمة فنفس البلا يكفر الله به الخطايا

وهذا

وهذا من اعظم النعم فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق
الا ان يدخل صاحبها بسببها في معاص اعظم مما كان قبل ذلك
فتكون شرا عليه من جهة ما اصابه في دينه فان من الناس من
اذا ابتلي بفقر او مرض او وجع حصل له من الجزع والنفاق ومرض
القلب او الكفر الظاهر او ترك الواجبات وفعل بعض المحرمات
ما يوجب له ضررا في دينه فهذا كانت العافية خيرا له من جهة
ما اورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة كما ان من اوتيت
له المصيبة صبرا وطاعة كانت في حقه نعمة دينية فهي بعينها
فعل الرب عز وجل ورحمة للخلق والله تبارك وتعالى محمود عليها
فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه وحصل له
بعد ما كفر من خطاياه رحمة وحصل له بثنائه على ربه صلاة
ربه عليه قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وحصل له
غفران السيئات ورفع الدرجات فمن قام بالصبر الواجب حصل
له ذلك انتهى ملخصا قوله واذا اراد بعبده الشر امسك عنه
بذنبه اي اخر عنه العقوبة بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة هو
بضم الياء وكسر الفاء منصوبا بحتى مبنيا للفاعل قال العزيزي اي
لا يجازيه بذنبه في الدنيا حتى يجيئ في الاخرة مستوفر الذنوب وافيها
فيستوفي ما يستحقه من العقاب وهذه الجملة هي اخر الحديث فاما
قوله وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزا الى اخره فهو اول
حديث آخر لكن لما رواهما الترمذي باسناد واحد وصحابي واحد
جعلهما المصنف كالحديث الواحد وفيه التنبيه على حسن الرجا
وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون
قوله وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزا مع عظم البلا
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط حسنه الترمذي قال الترمذي ثنا قتيبة ثنا الليث
عن يزيد بن ابي حبيب عن سعد بن سنان عن انس وذكر الحديث

السابق ثم قال وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
عظم الجزاء الحديث ثم قال وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه
ورواه ابن ماجة وروى الامام احمد عن محمود بن لبيد رفعه اذا
احب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع
قال المنذري رواته ثقات قوله ان عظم الجزاء بكسر العين و
فتح الظاء فيهما ويجوز ضمها مع سكون الظاء اي من كان ابتلاؤه
اعظم كيفية وكمية وقد يحتج بهذا الحديث من يقول ان المصايب
ثواب عليها مع تكفير الخطايا ورجح ابن القيم ان ثوابها تكفير
الخطايا فقط الا اذا كانت سببا لعمل صالح كالصبر والرضا والتوبة
والاستغفار فانه حينئذ يثاب على ما تولد منها وعلى هذا يقال
في معنى الحديث ان عظم الجزاء مع عظم البلاء اذا صبر وحسب
قوله وان الله اذا احب قوما ابتلاهم ولهذا ورد في حديث سعد
سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم
الامثل فالامثل يبتلى الرجل على قدر دينه فان كان في دينه صلابة
اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة رواه
الدارمي وابن ماجة والترمذي وصححه وهذا الحديث ونحوه
من ادلة التوحيد فاذا عرف العبد ان الانبياء والاولياء يصيبهم
البلاء في انفسهم الذي هو في الحقيقة رحمة ولا يدفعه عنهم الا الله
عرف انهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا دفعا فلان لا يملكونه
لغيرهم اولى واحرى فيصرف قصدهم والرغبة اليهم في قضاء حاجة
او تفريج كربة وفي وقوع الابتلاء بالانبياء والصالحين من الاسرار
والحكم والمصالح في العاقبة ما لا يحصى قوله فمن رضي فله الرضى
اي من الله تعالى والرضى قد وصف الله به نفسه في مواضع من كتابه
كقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ومذهب السلف واتباعهم
من اهل السنة اثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه

بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا
تمثيل وتنزيها بلا تعطيل فاذا رضي الله تعالى عنه حصل له كل خير
وسلم من كل شر والرضا هو ان يسلم العبد امره الى الله ويحسن
الظن به ويرغب في ثوابه وقد يجد لذلك راحة وانبساطا
محبة لله تعالى وثقة به كما قال ابن مسعود ان الله بقسطه و
عدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضى وجعل الهم والحزن
في الشك والسخط قوله ومن سخط هو بكسر الخاء قال ابو
السعادات السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به اي من سخط
على الله فيما دبره فله السخط اي من الله وكفى بذلك عقوبة
وقد يستدل به على وجوب الرضى وهو اختيار ابن عقيل واختاره
القاضي عدم الوجوب ورجحه شيخ الاسلام وابن القيم قال
شيخ الاسلام ولم يجئ الامر به كما جاء الامر بالصبر وانما
جاء الثناء على اصحابه قال وانما يروى من لم يصبر على بلائي
ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي فهذا اسرائيلي ليس بصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام واعلى من ذلك اي
من الرضى ان يشكر الله على المصيبة لما يرى من انعام الله عليه
بها انتهى والله اعلم قوله باب ما جاء في الرياء اي
من النهي والتحذير قال الحافظ هو مشتق من الرؤية والمراد
به اظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدونه والفرق
بينه وبين السمعة ان الرياء لما يرى من العمل كالصلاة والسمعة
لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ويدخل في ذلك التحدث بما
عمله قوله وقال الله تعالى [illegible] حذر اي ليس لي من الربوبية ولا من الالهية شيء بل ذلك
كله لله وحده لا شريك له اوحاه الي لمن كان يرجو لقاء ربه
اي يخافه فيعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قوله
احدا نكرة في سياق النهي تعم وهذا العموم يتناول الانبياء والملائكة
والصالحين والاولياء وغيرهم قال شيخ الاسلام اما اللقاء فقد

نعام

ضرة طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة وقالوا
لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيمة وذكر الادلة
على ذلك قال ابن القيم في الاية اي كما انه اله واحد لا اله سواه
فكذلك ينبغي ان تكون العبادة له وحده لا شريك له فكما
تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص
من الرياء المقيد بالسنة انتهى وفي الاية دليل على ان اصل
الدين الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم والمرسلين قبله
هو افراد الله بانواع العبادة كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون والمخالف
لهذا الاصل من هذه الامة اقسام اما طاغوت ينازع الله
في ربوبيته والهيته ويدعوا الناس الى عبادته او طاغوت
يدعوا الناس الى عبادة الاوثان او مشرك يدعوا غير الله ويقرب
اليه بانواع العبادة او بعضها او شاك في التوحيد اهو حق
ام يجوز ان يجعل لله شريك في عبادته او جاهل يعتقد ان
الشرك دين يقرب الى الله وهذا هو الغالب على اكثر العوام لجهلهم
وتقليدهم من قبلهم لما اشتدت غربة الدين وبني العلم بدين المرسلين
قوله وعن ابي هريرة مرفوعا قال الله تعالى انا اغنى الشركاء
عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه
رواه مسلم قوله من عمل عملا اشرك معي فيه غيري اي من قصد
بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه ولابن ماجة فانا
منه بريء وهو الذي اشرك قال الطيبي الضمير المنصوب في قوله
تركته يجوز ان يرجع الى العمل قال ابن رجب واعلم ان العمل لغير
الله اقسام فتارة يكون رياء محضا كحال المنافقين كما قال
تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس الاية
وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والـ
لصيام وقد يصدر في الصدقة الواجبة او الحج او غيرها من
الاعمال الظاهرة او التي يتعدى نفعها فان الاخلاص فيها عزيز

وهذا

وهذا العمل لا يشك مسلم انه حابط وان صاحبه يستحق المقت
من الله والعقوبة وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فان
شاركه من اصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وذكر احا
تدل على ذلك منها هذا الحديث وحديث شداد بن اوس مرفو
من صلى يرائي فقد اشرك ومن صام يرائي فقد اشرك ومن
تصدق يرائي فقد اشرك وان الله عز وجل يقول انا خير قسيم
لمن اشرك بي فمن اشرك بي شيئا فان جملة عمله وقليله وكثيره
لشريكه الذي اشرك به انا عنه غني رواه احمد وذكر احاديث
في المعنى ثم قال فان خالط نيات الجهاد مثل نية غير الرياء
مثل اخذ الجرة للخدمة او اخذ شيء من الغنيمة او التجارة
نقص بذلك اجر جهادهم ولم يبطل بالكلية قال ابن رجب
وقال الامام احمد التاجر والمستاجر والمكاري اجرهم على
قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم ولا يكونوا مثل من جاهد
بنفسه وماله لا يخلط ذلك به غيره وقال ايضا فيمن يأخذ
جعلا على الجهاد اذا لم يخرج لاجل الدراهم فلا بأس كأنه
خرج لدينه فان اعطي شيئا اخذه وروي عن عبد الله بن عمرو
قال اذا جمع احدكم على الغزو وعوضه الله رزقا فلا بأس من ذلك
واما ان اعطي دراهم غزا وان لم يعط لم يغز فلا خير في ذلك
وروي عن مجاهد انه قال في حج الجمال وحج الاجير وحج التاجر
هو تام لا ينقص من اجرهم شيء اي لان قصدهم الاصلي كان
هو الحج دون التكسب قال وامّا ان كان اصل العمل لله ثم طرى
عليه نية الرياء فان كان خاطرا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف
وان استرسل معه فهل يحبط عمله ام لا ويجازى على اصل نيته
في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الامام احمد
وابن جرير وترجحا ان عمله لا يبطل بذلك وانه يجازى بنيته
الاولى وهو مروي عن الحسن وغيره وفي هذا المعنى جاء حديث
ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الرجل يعمل العمل

ديث

اجرهم

من الخير يحمده الناس عليه فقال تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم
انتهى ملخصا قلت وتمام هذا المقام يتبين في شرح
حديث ابي سعيد انشاء الله تعالى قوله وعن ابي سعيد مرفوعا
الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من المسيح الدجال
قالوا بلى قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته
لما يرى من نظر رجل رواه احمد وروى ابن خزيمة في صحيحه
عن محمود بن لبيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها
الناس اياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك
السرائر قال يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من
نظر الرجل اليه فذلك شرك السرائر قوله عن ابي سعيد هو الخدري
وتقدم قوله الشرك الخفي سماه خفيا لان صاحبه يظهر ان
عمله لله وقد قصد غيره او شركه فيه بتزيين صلاته لاجله وعن
شداد بن اوس قال كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشرك الاصغر رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص وابن جرير في
التهذيب والطبراني والحاكم وصححه قال ابن القيم واما الشرك
الاصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول
الرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وانا بالله
وبك وما لي الا الله وانت وانا متوكل على الله وعليك ولولا الله
وانت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال قائله
ومقصده انتهى والاخلاص شرط لصحة العمل وقبوله
وكذلك المتابعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قول
الله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه قيل يا ابا
علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا
لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا
صوابا فالخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة وفي الحديث
من الفوائد شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على امته ونصحهم وان
الرياء اخوف على الصالحين من فتنة الدجال فاذا كان النبي صلى الله عليه

يخافه

يخافه على سادات الاولياء مع قوة ايمانهم وعلمهم فغيرهم ممن هو
دونهم باضعاف اولى بالخوف من الشرك اصغره واكبره
قوله قوله باب من اشرك في نيته ارادة الانسان بعمله
الدنيا فان قيل فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قبله
قلت بينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وهو
اذا اراد بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء فهذا رياء
كما تقدم بيانه كحال المنافقين وهو ايضا ارادة للدنيا بالتصنع
عند الناس وطلب المدحة عندهم والاكرام ويفارق الرياء بكونه
عمل عملا صالحا اراد به عرضا من الدنيا كمن يجاهد ليأخذ مالا
كما في الحديث تعس عبد الدينار ويجاهد للمغنم او غير ذلك
من الامور التي ذكرها شيخنا عن ابن عباس وغيره من المفسرين
في معنى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها واراد المصنف رحمه
الله بهذه الترجمة وما بعدها ان العمل لاجل الدنيا شرك ينافي
كمال التوحيد الواجب ويحبط الاعمال وهو اعظم من الرياء
مريد الدنيا قد تغلب ارادته تلك على كثير من عمله واما
الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يستر سل معه والمؤمن
يكون حذرا من هذا وهذا وقوله من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون
قال ابن عباس من كان يريد الحياة الدنيا اي ثوابها وزينتها اي
مالها نوف نوفر لهم ثواب اعمالهم بالصحة والسرور في المال
والاهل والولد وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون ثم نسختها
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد لا يتزوى
الناس في نا سيخ قوله ثم نسختها اي قيدتها فلم تبق الاية على
اطلاقها وقال قتادة يقول من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته
جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي الى الاخرة وليس له حسنة
يعطاها جزاء واما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب
عليها في الاخرة ذكره ابن جرير بسنده ثم ساق حديث ابي هريرة

منهم

عن بن المبارك عن حيوة بن شريح قال حدثني الوليد بن ابي الوليد
ابو عثمان ان عقبة بن مسلم حدثه انه شفي بن ماتع الاصبحي
حدثه انه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس
فقال من هذا فقالوا ابو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين
يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت انشدك
بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عقلته وعلمته فقال ابو هريرة افعل لاحدثنك حديثا حدثنيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ما فيه احد غيري وغيره
ثم نشغ ابو هريرة نشعة شديدة ثم خار على وجهه واشتد به
طويلا ثم افاق فقال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
تبارك وتعالى اذا كان يوم القيمة نزل الى يوم القيمة ليقضي
بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القران ورجل
قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقاري الم اعلمك
ما انزلت على رسولي قال بلى يارب قال فاذا عملت فيما علمت قال
كنت اقوم اناء الليل واناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول له
الملائكة كذبت ويقول الله له بل اردت ان يقال فلان قاري
فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك
حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يارب قال فاذا عملت فيما
آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله له كذبت و
تقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد
فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له فيما اذا
قتلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول
الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له بل اردت
ان يقال فلان جريء وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله
تسعر بهم يوم القيمة النار وقد سئل شيخنا المصنف رحمه الله
عن هذه الاية فاجاب بما حاصله ذكر عن السلف فيها انواع

مما

مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه من ذلك العمل
الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة
وصلاة وصلة واحسان الى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما
يفعله الانسان او يتركه خالصا لله لكنه لا يريد ثوابه في الاخرة
انما يريد ان يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته او حفظ اهله
وعياله او ادامة النعم عليهم ولا همة له في طلب الجنة والهرب
من النار فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الاخرة من
نصيب وهذا النوع ذكره بن عباس النوع الثاني وهو
اكبر من الاول واخوف وهو الذي ذكره مجاهد في الاية انها نزلت
فيه وهو ان يعمل اعمالا صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب
الاخرة النوع الثالث ان يعمل اعمالا صالحة يقصد بها ما لا مثل
ان يحج لمال يأخذه لاجله وبها جر الدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها
او يجاهد لاجل المغنم فقد ذكر ايضا هذا النوع في تفسير هذه
الاية وكما يتعلم الرجل لاجل مدرسة اهله او مكسبهم او رياستهم
او يتعلم القران ويواضب على الصلاة لاجل وضيفة المسجد كما
هو واقع كثيرا النوع الرابع ان يعمل بطاعة الله مخلصا في ذلك
لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجه من الاسلام
مثل اليهود والنصارى اذا عبدوا الله او تصدقوا او صاموا ابتغاء
وجه الله والدار الاخرة ومثل كثير من هذه الامة الذين فيهم كفر
او شرك اكبر يخرجهم من الاسلام بالكلية اذا اطاعوا الله طاعة
خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الاخرة لكنهم على اعمال
تخرجهم من الاسلام وتمنع قبول اعمالهم فهذا النوع ايضا قد
ذكر في هذه الاية عن انس بن مالك وغيره وكان السلف
يخافونه منها قال بعضهم لو اعلم ان الله تقبل مني سجدة واحدة
لتمنيت الموت لان الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ثم قال
بقي ان يقال اذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكوة والصوم
والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الاخرة ثم بعد ذلك عمل اعمالا

قاصداً بها الدنيا مثل ان يحج فرضه الله ثم يحج بعد لاجل الدنيا
كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما وقد قال بعضهم القرآن
كثيراً ما يذكر اهل الجنة الخلص واهل النار الخلص ويسكت
عن صاحب الشايبتين وهذا وامثاله يؤيد ما صح عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة ان
اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك
فلا انتقش طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله
اشعث راسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في
الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استاذن
لم يؤذن له وان شفع لم يشفع قوله في الصحيح اي صحيح البخاري
قوله تعس هو بكسر العين ويجوز الفتح اي سقط والمراد هنا الهلاك
قاله الحافظ وقال في موضع اخر وهو ضد سعد اي شقي وقال
ابو السعادات يقال تعس يتعس اذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء
عليه بالهلاك قوله عبد الدينار هو المعروف من الذهب كالمثقال
في الوزن قدر الدينار درهم وثمن درهم قوله تعس عبد
الدرهم وهو من الفضة قدره الفقها بالشعير وزنا وعندنا منه
درهم من ضرب بني امية وهو زنة خمسين حبة شعير و
خمسا حبة سماه عبدا له لكونه هو المقصود بعمله فكل من توجه
بقصده لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبوديته كما هو حال
الاكثر قوله تعس عبد الخميصة قال ابو السعادات هي ثوب خز
او صوف معلم وقيل لا تسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة و
تجمع على خمائص والخميلة بفتح الخاء المعجمة وقال ابو السعادات
ذات الخمل شياب لها خمل من اي شئ كان قوله تعس وانتكس
قال الحافظ هو بالمهملة اي عاوده المرض وقال ابو السعادات
اي انقلب على راسه وهو دعاء عليه بالنكبة قال الطيبي فيه الترقي
بالدعاء عليه لانه اذا تعس انكب على وجهه فاذا انتكس انقلب على

راسه

راسه بعد ان سقط قوله واذا شيك اي اصابته شوكة فلا انتقش
اي فلا يقدر على اخراجها بالمنقاش قال ابو السعادات والمراد ان
من كانت هذه حاله فلا بد ان يجاهد هذه الدعوات من الوقوع
فيما يضره في عاجل دنياه وآجل اخراه قال شيخ الاسلام فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد
الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله تعس وا
نتكس واذا شيك فلا انتقش وهذه حال من اذا اصابه شر لم
يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص
من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بانه ان
اعطي رضي وان منع سخط كما قال تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان
قلبه متعلقا برياسة او بصورة ونحو ذلك من اهواء نفسه
ان حصل له رضي وان لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من
ذلك وهو رقيق له اذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق
القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده
الى ان قال وهكذا ايضا طالب المال فان ذلك يستعبده و
يسترقه وهذه الامور نوعان منها ما يحتاج اليه العبد
كما يحتاج الى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا
يطلبه من الله ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده يستعمله
في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه
من غير ان يستعبده فيكون هلوعا ومنها ما لا يحتاج اليه
العبد فهذا ينبغي ان لا يعلق قلبه بها فاذا تعلق قلبه بها
صار مستعبدا لها وربما صار مستعبدا ومعتمدا على غير الله
فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل
عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على
غير الله وهذا من احق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم تعس

عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة
وهذا هو عبد لهذه الامور ولو طلبها من الله فان الله اذا اعطاه
اياها رضي وان منعه اياها سخط وانما عبد الله حقيقة من يرضيه
ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما احب الله ورسوله
ويبغض ما ابغض الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويوالي اولياء الله
ويعادي اعداء الله فهذا الذي استكمل الايمان انتهى ملخصا قوله
طوبى لعبد قال ابو السعادات طوبى اسم الجنة وقيل هي شجرة
فيها ويؤيد هذا ما روى بن وهب بسنده عن ابي سعيد قال
رجل يا رسول الله وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة
سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها رواه الامام احمد
حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة ثنا دراج
ابو السمح ان ابا الهيثم حدثه عن ابي سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك و
آمن بك قال طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى
لمن آمن بي ولم يرني قال له رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة
مسيرة مائة عام ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وله شواهد
في الصحيحين وغيرهما وقد روى بن جرير عن وهب بن منبه
ههنا اثرا غريبا عجيبا قال وهب رحمه الله تعالى ان في الجنة
شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها
زهرها رياط وورقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت
وترابها كافور وحملها مسك يخرج من اصلها انهار الخمر واللبن
والعسل وهي مجلس لاهل الجنة فبينما في مجلسهم اذ اتتهم
الملائكة من ربهم يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب
وجوهها كالمصابيح من حسنها وو برها كخز الزعفران من لينه
عليها رحال الواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وشيابهم من
سندس واستبرق فينيخونها ويقولون ان ربنا ارسلنا اليكم
لتزوروه وتسلموا عليه قال فيركبونها قال فهي اسرع من الطائر

واوطا

واوطا من الفراش نجبا من غير مهنة يسير الرجل الى جنب اخيه
وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب اذن راحلة منها اذن صاحبتها
ولا تزال راحلة تترك الاخرى حتى ان الشجرة لتنتحي عن طريقهم
لئلا تفرق بين الرجل واخيه قال فيأتون الى الرحمن الرحيم فيسفر
لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا اليه فاذا راوه قالوا انت
السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول
تباركتم وتعاليتم عند ذلك انا السلام ومني السلام وعليكم حقت
رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادي الذين خشوني بالغيب واطاعوا
امري قال فيقولون ربنا انا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك
حق قدرك فأذن لنا بالسجود قدامك قال فيقول انها ليست
بدار نصب ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم واني قد رفعت
عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم فان لكل رجل منكم
امنيته فيسئلونه حتى ان اقصرهم امنية ليقول رب تنافس
اهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا رب فاتني مثل كل شيء كانوا فيه
من يوم خلقتها الى اليوم انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت
بك امنيتك ولقد سألت دونه منزلتك هذا لك مني لانه
ليس في عطائي نكد ولا قصر يد قال ثم يقول اعرضوا على عبادي
ما لم تبلغ امانيهم ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم
حتى تقصر بهم امانيهم التي في انفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم
براذين مقرنة على كل اربعة منها سرير من ياقوتة واحدة
على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فرش
من فرش الجنة مظاهرة في كل قبة منها جاريتان من الحور العين
على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون
الا وهو فيهما ولا ريح طيب الا وقد عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما
غلظة القبة حتى يظن من يراهما انهما دون القبة يرى مخها
من فوق سوقهما كالسلك الابيض في الياقوتة حمرا يزيد لبن
الفضل على صحابته كفضل الشمس على الجمارة او افضل ويرى لهما

مثل ذلك ثم يدخل اليهما فيحيانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان
له واسه ما ظننا انه يخلق مثلك ثم يأمر الله تعالى الملائكة
فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم الى منزلته التي
اعدت له وقد روى هذا الاثر ابن ابي حاتم بسنده عن وهب بن
منبه وزاد فانظروا الى مواهب ربكم التي وهب لكم فاذا بقباب
في الرفيق الاعلى وغرف مبنية من الدر والمرجان وابوابها من ذهب
وسررها من ياقوت وفرشها من سندس واستبرق ونور يسور من ابوابها وعراصها نور مثل شعاع الشمس عند مثل
الكوكب في النهار المضيء واذا بقصور شامخة في اعلا عليين من
الياقوت يزهو نورها فلولا انه يسخر اذا لاتمع الابصار فما
كان من تلك القصور من الياقوت الابيض فهو مفروش بالحرير الابيض
وما كان منها من الحرير الاخضر فهو مفروش بالسندس الاخضر وما
كان فيها من الياقوت الاخضر فهو مفروش بالسندس الاخضر وما
فيها من الياقوت الاصفر فهو مفروش بالارجوان الاصفر بالزمرد
الاخضر والذهب الاحمر والفضة البيضاء وارفانها من يلبهم
وشرفها قباب من لؤلؤ وبرجهما غرف من المرجان فلما انصرفوا الى ما
اعطاهم ربهم قربت لهم براذين من ياقوت ابيض منفوخ فيها الا
لروح تحتها الولدان المخلدون بيد كل ولد منهم حكمة يزدون من
تلك البراذين واجنحتها واعنتها من فضة بيضاء منضومة بالدر
والياقوت سروجها سرر موضونة مفروش بالسندس والاستبرق
فانطلقت بهم تلك البراذين تزف بهم ينظرون رياض الجنة فلما
انتهوا الى منازلهم وجدوا الملائكة قعودا على منابر من نور ينتظرونهم
ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة من ربهم فلما دخلوا قصورهم
وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وتمنوا واذا على
كل باب قصر من تلك القصور اربعة جنتان ذواتا افنان وجنتان
مدهامتان وفيهما ينضاختان وفيهما من كل فاكهة زوجان
وحور مقصورات في الخيام فلما تبوؤا منازلهم واستقروا اقرارهم

قال

قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وربنا قال فهل
رضيتم ثواب ربكم قالوا ربنا رضينا فارض عنا قال فبرضائي
عنكم احللتكم داري ونظري ثم الى وجهي فعند ذلك قالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب و
هذا سياق غريب واثر عجيب وبعضه شواهد في الصحيحين
وقال خالد بن معدان ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى ضروع كلها
ترضع صبيان اهل الجنة وان سقط المرة يكون في نهر من انهار الجنة
يتقلب فيه حتى تقوم يوم القيمة فيبعث بن اربعين سنة رواه
ابن ابي حاتم قوله آخر بعنان فرسه في سبيل الله اي في جهاد المشركين
قوله اشعث مجرور بالفتحة لانه لا ينصرف للوصف ووزن الفعل
ورأسه مرفوع على الفاعلية وهو طائر الشعر اشغله الجهاد في
سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر قوله مغبرة
قدماه هو بالجر صفة ثانية لعبد قوله ان كان في الحراسة هو
بكسر الحاء اي حماية الجيش عن ان يهجم العدو عليهم قوله كان في
الحراسة اي غير مقصر فيها ولا غافل وهذا اللفظ يستعمل فيحق
من قام بالامر على وجه الكمال وان كان في الساقة كان في
الساقة كان في الساقة اي في مؤخرة الجيش اي يقلب نفسه في
مصالح الجهاد فكل مقام يقوم فيه ان كان ليلا او نهارا رغبة
في رضا الله وطلبا لثوابه ومحبة لطاعته قال ابن الجوزي وهو
حامل الذكر لا يقصد السمو وقال الخطابي المعنى ائتماره لما امر به
اقامته حيث اقيم لا يفقل من مقامه وانما ذكر الحراسة والساقة
لانهما اشد مقامات المشقة انتهى وفيه فضل الحراسة في سبيل
الله قوله ان استأذن لم يؤذن له اي ان استأذن على الامراء
ونحوهم لم يأذنوا له لانه لا جاه له عندهم ولا منزلة لانه ليس من
طلابها وانما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سواه قوله ان
شفع بفتح اوله وثانيه لم يشفع بفتح الفاء مشددة يعني انه

لو الجأته الحال الى ان يشفع في امر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته
عند الامراء ونحوهم وروى الامام احمد ومسلم عن ابي هريرة كم من
رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره قال الحافظ
فيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع انتهى
وروى الامام احمد ايضا عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير
قال قال عثمان وهو يخطب على منبره اني محدثكم حديثا سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعني ان احدثكم به الا الظن بكم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة في سبيل الله افضل
من الف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وروى الحافظ بن عساكر
في ترجمة عبد الله بن المبارك قال عبد الله بن محمد قاضي نصيبين حدثني
محمد بن ابراهيم بن ابي سكينة انه املا عليه عبد الله ابن المبارك هذه
الابيات بطرسوس وواعده الخروج وانشدها معه الى الفضيل بن عياض
في سنة سبع وسبعين ومائة فقال رحمه الله تعالى

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا ... لعلمت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في ... انف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه
فقال صدق ابو عبد الرحمن ونصحني ثم قال انت ممن يكتب الحديث
قلت نعم قال لي اكتب هذا الحديث واملاه علي الفضيل بن عياض حدثنا
منصور بن المعتمر عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله علمني عملا انال
به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال هل تستطيع ان تصلي فلا تفتر
وتصوم فلا تفطر فقال يا رسول الله انا اضعف من ان استطيع ذلك
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت

فضل المجاهدين

علت
فضل المجاهدين في سبيل الله اما ان فرس المجاهدين ليستن في طوله
فيكتب له بذلك الحسنات قوله باب من اطاع العلماء
والامراء في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله لقول الله
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن
مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
ويقدم تفسير هذا في اصل المصنف عند ذكر حديث عدي بن
حاتم رضي الله عنه قوله وقال ابن عباس [illegible]
حجارة من [illegible]
قال ابو بكر وعمر قوله يوشك ان تنزل عليكم بضم اوله وكسر الشين
المعجمة اي يقرب ويسرع وهذا القول من ابن عباس رضي الله عنهما
جواب لمن قال له ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة الى
الحج واجبا وسيأتي ان افراد الحج افضل او ما هو معنى هذا
وكان ابن عباس يرى ان التمتع بالعمرة الى الحج واجبا ويقول اذا طاف
بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة اشواط فقد حل من عمرته
شاء ام ابى لحديث سراقة بن مالك حين امرهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يجعلوها عمرة ويحلوا اذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا
والمروة فقال سراقة يا رسول الله العامنا هذا ام للابد قال بل
للابد والحديث الذي في الصحيحين وحينئذ فلا عذر لمن استفتى
ان ينظر في مذاهب العلماء وما استدل به كل امام ويأخذ من اي
قولهم ما دل عليه الدليل اذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك كما قال
تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية وللبخاري
ومسلم وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو استقبلت من امري
ما استدبرت ما اهديت ولولا ان معي الهدي لاحللت هذا لفظ
البخاري في حديث عائشة ولفظه في حديث جابر افعلوا ما امرتكم
فلولا اني سقت الهدي لفعلت مثل الذي امرتكم في علة احاديث
تؤيد قول ابن عباس وبالجملة فلهذا قال ابن عباس لما عارض الحديث
برأي ابي بكر وعمر يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء الحديث

وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى اجمع العلماء على ان من استبان له سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد وقال الامام
مالك رحمه الله ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا
القبر صلى الله عليه وسلم وكلام الائمة في هذا المعنى كثير وما زال العلما
رحمهم الله يجتهدون في الوقايع ممن اصاب منهم فله اجران
ومن اخطأ فله اجر واحد لحديث لكن اذا استبان لهم الدليل
اخذوا به وتركوا اجتهادهم واما اذا لم يبلغهم الحديث او لم
يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عندهم فيه حديث او ثبت وله
معارض او مخصص ونحو ذلك فحينئذ يسوغ للامام ان يجتهد
وفي عصر الائمة الاربعة انما طلبوا الاحاديث ممن هي عنده بالتلقي
والسماع ويسافر الرجل في طلب الحديث الى الامصار عدة سنين
ثم اعتنى الائمة بالتصانيف ودونوا الاحاديث ورووها باسانيدها
وبينوا صحيحها من حسنها من ضعيفها والفوها صنفوا في كل مذهب
وذكروا حجج المجتهدين فسهل الامر على طالب العلم وكل امام يذكر
الحكم بدليله عنده وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على ان
من بلغه الدليل فلم ياخذ به تقليدا لامامه فانه يعب الانكار عليه
بالتغليظ لمخالفته الدليل وقال الامام احمد ثنا احمد بن عمرو
البزار ثنا زياد بن ايوب ثنا ابو عبيدة الحداد عن مالك بن دينار
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس منا احد الا يؤخذ
من قوله ويدع الا غير النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فيجب الانكار
على من ترك الدليل لقول احد من العلماء كائنا من كان ونصوص
الائمة على هذا وانه لا يسوغ التقليد الا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل
فيها يرجع اليه من كتاب ولا سنة فهذا هو الذي عناه بعض العلما
بقوله لا انكار في مسائل الاجتهاد واما من خالف الكتاب والسنة
فيجب الرد عليه كما قال ابن عباس والشافعي ومالك واحمد وذلك
مجمع عليه كما تقدم في كلام الامام الشافعي رحمه الله تعالى وقوله وقال الامام
احمد بن حنبل عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان

والله

والله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الآية
اتدري ما الفتنة الفتنة الشرك لعله اذا ازاغ بعض قوله ان يقع
في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ش هذا الكلام من الامام احمد رواه
عنه الفضل بن زياد وابو طالب قال الفضل عن احمد نظرت في
المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاث وثلاثين
موضعا ثم جعل يتلو فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة الآية فذكر من قوله الفتنة الشرك الى قوله فيهلك ثم جعل
يتلو هذه الآية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم و
قال ابو طالب عن احمد وقيل له ان قوما يدعون الحديث ويذهبون
الى رأي سفيان وغيره قال قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن
امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم اتدري ما الفتنة الفتنة
الكفر قال الله تعالى والفتنة اكبر من القتل فيدعون الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم اهواؤهم الى الرأي ذكر ذلك عنه شيخ
الاسلام وبه عرفوا الاسناد اي اسناد الحديث وصحته فاذا صح
اسناد الحديث فهو صحيح عند اهل الحديث وغيرهم من العلماء وسفيان
هو الثوري الامام الزاهد العابد الثقة الفقيه وكان له اصحاب
ياخذون عنه ومذهب مشهور يذكره العلماء في الكتب التي يذكرون فيها
مذاهب الائمة كالتمهيد لابن عبد البر والاستذكار له وكتاب
الاشراف على مذاهب الاشراف لابن المنذر والمحلى لابن حزم والمغني
لابي محمد عبد الله بن احمد بن قدامة الحنبلي وغير هؤلاء فقول الامام احمد
رحمه الله عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته الى اخره انكار منه لذلك
وانه يؤول الى زيغ القلوب الذي يكون به المرء كافرا وقد عمت البلوى
بهذا المنكر خصوصا ممن ينتسب الى العلم نصبوا الحبائل في الصد عن
الاخذ بالكتاب والسنة وصدوا الناس عن متابعة الرسول صلى الله
عليه وسلم وتعظيم امره ونهيه فمن ذلك قولهم لا يستدل بالكتاب
والسنة الا المجتهد والاجتهاد قد انقطع ويقول هذا الذي تلوته اعلم
منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه ونحو ذلك من الاقوال التي غايتها

ترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى والاعتماد
على قول من يجوز عليه الخطأ وغيره من الائمة يخالفه ويمنع قوله
بدليل فان امام الا والذي معه بعض العلم لا كله فالواجب على
كل مكلف اذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم وفهم معنى ذلك ان ينتهي اليه ويعمل به وان خالفه من خالفه
كما قال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء
قليلا ما تذكرون وقال تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقد تقدم حكاية الاجماع
على ذلك وبيان ان المقلد ليس من اهل العلم وقد حكى ابو عمر بن
عبد البر وغيره الاجماع على ذلك قلت ولا يخالف في ذلك الا
جهال المقلدة لجهلهم بالكتاب والسنة وزهدتهم عنهما وهؤلاء و
ان ظنوا انهم اتبعوا الائمة فانهم في الحقيقة قد خالفوهم واتبعوا
غير سبيلهم كما قدمنا من قول مالك والشافعي واحمد رحمهم الله تعالى
لكن في كلام احمد اشارة الى ان التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم وانما
ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول امام من الائمة وذلك اغا
نشأ عن الاعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
والاقبال على كتب من تأخر والاستغناء بها عن الوحيين وهذا يشبه
ما وقع من اهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم اتخذوا احبارهم و
رهبانهم اربابا من دون الله كما تقدم بيان ذلك في حديث عدي
بن حاتم فيجب على من نصح نفسه اذا قرئ كتب العلماء ونظر فيها
وعرف اقوالهم فليعرضها على ما في الكتاب والسنة فان كل مجتهد
من العلماء ومن تبعه وانتسب الى مذهبه لا بد ان يذكر دليله
والحق في المسئلة واحد والائمة مثابون على اجتهادهم فالمنصف
يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقا الى معرفة المسائل واختيار ما
ظهر منها وتمييز الصواب من الخطأ بالادلة التي يذكرها المستدلون
ويتعرف بذلك من هو اسعد بالدليل من العلماء فيتبعه والادلة على
هذا الاصل في كتاب الله اكثر من ان تحصر وفي السنة كذلك كما

اخرج

اخرج ابو داود بسنده عن اناس من اصحاب معاذ ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبعث معاذا الى اليمن قال كيف تقضي اذا
عرض لك قضاء قال اقضي بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله
قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله قال اجتهد رأيي ولا آلو
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق
رسول رسول الله لما يرضي رسول الله وساق بسنده عن الحارث
ابن عمر عن اناس من اصحاب معاذ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن بمعناه والائمة رحمهم
الله لم يقصروا في البيان بل نهوا عن تقليدهم اذا استبانت السنة
لعلمهم ان من العلم شيئا لم يعلموه وقد يبلغ غيرهم وذلك كثير كما
لا يخفى على من نظر في اقوال العلماء قال ابو حنيفة رحمه الله اذا
جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الراس والعين
واذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الراس والعين واذا جاء
عن التابعين فنحن رجال وهم رجال وقال اذا قلت قولا وكتاب
الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله قيل اذا كان قول الرسول صلى الله
عليه وسلم يخالفه قال اتركوا قولي لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم
وقيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة
وقال الربيع سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي
خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذوا بسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودعوا ما قلت وقال اذا صح الحديث بما يخالف قولي
فاضربوا بقولي الحائط وقال مالك كل احد يؤخذ من قوله
ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم له مثل ذلك فلا
عذر لمقلد بعد هذا ولو استقصينا كلام العلماء في هذا الخرج بنا
عما قصدناه من الاختصار وفي ما ذكرناه كفاية لطالب الهدى

قوله لعله اذا رد بعض قوله اي قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان
يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ينبه رحمه الله ان رد قول

قال م

الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لزيغ القلب وذلك هو الهلاك في الدنيا
والآخرة كما قال تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم
الفاسقين قال شيخ الاسلام في معنى قول الله فليحذر الذين
يخالفون عن امره فاذا كان المخالف عن امره قد يحذر من الكفر والشرك
او من العذاب الاليم دل على انه قد يكون مفضيا الى الكفر والعذاب
الاليم ومعلوم ان افضاءه الى العذاب هو مجرد فعل المعصية فافضاؤه
الى الكفر انما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الآمر كما فعل ابليس
لعنه الله انتهى وقال ابو جعفر بن جرير عن الضحاك فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة قال يطبع على قلبه فلا يؤمن
ان يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه قال ابو جعفر اختلفت عن
لان معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن امره عنه ويديرون
معرضين قوله او يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على
خلافهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عن عدي بن حاتم انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الاية اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله الاية فقلت انا لسنا نعبدهم قال اليس يحرمون
ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال
فتلك عبادتهم رواه احمد والترمذي وحسنه ش هذا الحديث قد
روي من طرق فرواه بن سعد وعبد بن حميد وبن المنذر وبن جرير
وبن ابي حاتم والطبراني وبن مردويه والبيهقي قول عن عدي
بن حاتم اي الطائي المشهور وحاتم هو بن عبد الله بن سعد بن
الحشرج بفتح الحاء المهملة المشهور بالسخا والكرم قدم عدي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة تسع من الهجرة فاقام
وعاش مائة وعشرين سنة وفي الحديث دليل على ان طاعة الاحبار
والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله وهو من الشرك الاكبر
الذي لا يغفره الله لقول الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله
الا هو سبحانه عما يشركون ونظير ذلك قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم

وان

وان اطعتموهم انكم لمشركون وهذا قد وقع فيه كثير من الناس
مع من قلدوهم لعدم اعتبارهم الدليل اذا خالف المقلد وهو
من هذا الشرك ومنهم من يغلو في ذلك ويعتقد ان الاخذ
بالدليل والحالة هذه يكره او يحرم فعظمت الفتنة ويقولون هم
اعلم منا بالادلة ولا ياخذ بالدليل الا المجتهد وربما تفوهوا
بذم من يعمل بالدليل ولا ريب ان هذا من غربة الاسلام
كما قال شيخنا رحمه الله تعالى في المسائل فتغيرت الاحوال و
آلت الى هذه الغاية فصار عند الاكثر عبادة الرهبان هي
افضل الاعمال ويسمونها ولاية وعبادة الاحبار هي العلم وا
لفقه ثم تغيرت الحال الى ان عبد من ليس من الصالحين وعبد
بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين واما طاعة الامراء ومتابعتهم
فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد عمت البلوى قديما و
حديثا في اكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا وقد
قال تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن
اظلم ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وعن زياد بن حدير قال قال عمر هل تدري ما يهدم الاسلام قلت
لا قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الائمة
المضلين رواه الدارمي جعلنا الله واياكم من الذين يهدون بالحق
وبه يعدلون قوله باب قول الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت الآيات قال العماد بن كثير رحمه الله والاية
ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم الى ما سواهما من
الباطل وهو المراد بالطاغوت ههنا وتقدم ما ذكره العلامة بن
القيم رحمه الله تعالى في حده للطاغوت وانه كلما تجاوز به العبد حده
من معبود او متبوع او مطاع فكل من حاكم الى غير كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فقد حاكم الى الطاغوت الذي امر الله تعالى عباده
المؤمنين ان يكفروا به فان التحاكم ليس الا الى كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم ومن كان يحكم بهما فمن حاكم الى غيرهما فقد تجاوز به حده
وخرج عما شرعه الله ورسوله وانزله منزلة لا يستحقها وكذلك
من عبد شيئا دون الله فانما عبد الطاغوت فان كان المعبود صالحا
صارت عبادة العابد له راجعة الى الشيطان الذي امره بها
كما قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم
وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين
والاية بعدها وكقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون وان كان من
يدعوا الى عبادة نفسه او كان شجرا او حجرا او قبرا او غير ذلك
مما كان تتخذه المشركون لهم اصناما على صور الصالحين والملائكة
او غير ذلك فهي من الطاغوت الذي امر الله عباده ان يكفروا به
ويعادوه ويتبرؤا منه ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنا
من كان وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله فهو الذي دعا الى كل
باطل وزينه لمن فعله وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنى شهادة
ان لا اله الا الله فالتوحيد هو الكفر بالطاغوت وعبادة العابدون
من دون الله كما قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا
بالله وحده وكل من عبد غير الله فقد جاوز به حده واعطاه من العبادة
ما لا يستحقه قال الامام مالك الطاغوت ما عبد من دون
الله وكذلك من دعي الى تحكيم غير الله تعالى ورسوله فقد ترك ما
جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب عنه وجعل لله شريكا في الطاعة
وخالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما امره الله تعالى به في قوله
وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

فيما

فيما شجر بينهم الاية فمن خالف ما امر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم
بان حكم بين الناس بغير ما انزل الله او طلب ذلك اتباعا
لما تهواه ويريده فقد خلع ربقة الاسلام والايمان من عنقه
وان زعم انه مؤمن فان الله تعالى انكر على من اراد ذلك وا
كذبهم في زعمهم الايمان لما في ضمن قوله يزعمون من نفي ايما
فان يزعمون انما يقال غالبا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب
لمخالفته موجبها وعمله بما ينافيها يحقق ذلك قوله وقد امروا
ان يكفروا به لان الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في اية
البقرة فاذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحدا والتوحيد هو
اساس الايمان الذي تصلح به جميع الاعمال وتفسد بعدمه
كما ان ذلك بين في قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها الاية وفي
ذلك ان التحاكم الى الطاغوت ايمان به وقوله ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا يبين تعالى في هذه الاية ان التحاكم الى
الطاغوت مما يامر به الشيطان ويزينه لمن اطاعه وبين ان
مما اضل به الشيطان من اضله واكده بالمصدر ووصفه
بالبعد فدل على ان ذلك من اعظم الضلال وابعده عن الهدى
ففي هذه الاية اربعة امور الاول انه من ارادة الشيطان
الثاني انه ضلال الثالث تاكيده بالمصدر الرابع بالبعد
عن سبيل الحق والهدى فسبحان الله ما اعظم هذا القران وما
ابلغه وما ادله على انه كلام رب العالمين اوحاه الى رسوله الكريم
وبلغه عبده الصادق الامين صلوات الله وسلامه عليهما
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يص
يصدونه عنك صدودا اخبر تعالى ان هذه صفة المنافقين المنا
وان من فعل ذلك او طلبه وانه زعم انه مؤمن فانه في غاية البعد
من الايمان قال العلامة ابن القيم رحمه الله هذا دليل على ان من دعي

وصفهم

الى تحكيم الكتاب والسنة فانه من المنافقين قوله ويصدون
لازم وهو بمعنى يعرضون لان مصدر صدود انما اكثر من تصف
بهذا الوصف خصوصا ممن يدعي العلم فانهم صدوا عما توجبه
الادلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الى اقوال
يخطئ كثيرا ممن ينتسب الى الائمة الاربعة في تقليدهم من لا يجوز
تقليده واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله ويجعلون
قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد
عندهم الذي لا تصح الفتوى الا به فصار المتبع للرسول صلى الله عليه
وسلم بين اولئك غريبا كما تقدم التنبيه على هذا في الباب الذي
قبل هذا فتدبر هذه الايات وما بعدها يتبين لك ما وقع
فيه كثير غالب الناس من الاعراض عن الحق وترك العمل به فاكثر
الوقايع والله المستعان قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
قالوا انما نحن مصلحون قال ابو العالية في الآية يعني لا تعصوا
في الارض لان من عصى الله في الارض او امر بمعصية الله فقد
افسد في الارض لان صلاح الارض والسماء انما هو بطاعة الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد اخبر تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام
في قوله تعالى قالوا يا ايها العزيز انا كنا خاطئين الى قوله تالله
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فدلت الآية
على ان كل معصية فساد في الارض ومناسبة الآية للترجمة ان
التحاكم الى غير الله ورسوله من اعمال المنافقين وهو من الفساد في
الارض وفي الآية التنبيه على عدم الاغترار باقوال اهل الاهواء و
انه يحرم ردها بالدعوى وفيه التحذير من الاغترار بالرأي الذي لم
يقم على صحته دليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان اكثر
من يصدق بالكذب ويكذب بالصدق اذ جاءه وهذا من الفساد
في الارض ويترتب عليه من الفساد امور كثيرة تخرج صاحبها من
الحق وتدخله في الباطل نسأل الله العفو والعافية والمعافاة
الدائمة في الدين والدنيا والاخرة فتدبر تجد ذلك في حال الاكثر

الامر

الامر عصمه الله ومن عليه بقوة داعي الايمان واعطاه عقله
كاملا عند ورود الشهوات وبصرانا قدا عند ورودا
لشبهات وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم قوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال ابو بكر
ابن عياش في الآية ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى اهل
الارض وهم في فساد فاصلحهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن
دعى الى خلاف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من المفسدين
في الارض وقال ابن القيم قال اكثر المفسرين لا تفسدوا فيها
بالمعاصي والدعا الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها
ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعا الى طاعة الله فان
عبادة غير الله والدعوة الى غيره والشرك به هو اعظم فساد
في الارض بل فساد الارض في الحقيقة انما هو بالشرك ومخالفة
امره فالشرك والدعوة الى غير الله واقامة معبود غيره
ومطاع متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اعظم الفساد
في الارض ولا صلاح لها ولا لاهلها الا ان يكون الله وحده هو
المعبود المطاع والمدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله
صلى الله عليه وسلم ليس الا لغيره انما تجب طاعته اذا امر بطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا امر بمعصيته وخلاف شريعته
فلا سمع ولا طاعة ومن تدبر احوال العالم وجد كل صلاح في
الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط
عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة الى غير
الله ورسوله انتهى ووجه مطابقة هذه الآية للترجمة
ان التحاكم الى غير الله ورسوله من اعظم ما يفسد الارض
من المعاصي فلا صلاح لها الا بتحكيم كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وهو سبيل المؤمنين كما قال تعالى ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤ
منين

قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا قوله وقول الله تعالى
افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
قال ابن كثير ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل
على كل خير والناهي عن كل شر وعدل الى ما سواه من الاراء و
الاهوى والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة
الله كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات
كما يحكم به التتار من السياسات الماخوذة عن جنكسخان
الذي وضع لهم كتابا مجموعا من احكام اقتبسه من شرائع شتى
وفيها كثير من الاحكام اخذها عن مجرد نظره وصار في بنيه
شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك
فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم
بسواه في قليل ولا كثير قوله ومن احسن من الله حكما استفهام
انكاري لا احكم احسن من حكمه تعالى وهذا من باب استعمال
افعل التفضيل فيما ليس في الطرف الاخر مشارك ايه من علماء
من الله حكما لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وايقن انه
تعالى احكم الحاكمين وارحم بعباده من الوالدة بولدها العليم
بمصالح عباده القادر على كل شيء الحكيم في اقواله وافعاله و
شرعه وقدره وفي الاية التحذير من حكم الجاهلية واختياره
على حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فعل ذلك فقد اعرض
عن الاحسن وهو الحق الى ضده من الباطل قوله عن عبد الله
ابن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
يكون هواه تبعا لما جئت به قال النووي بسند صحيح رويناه
في كتاب الحجة باسناد صحيح هذا الحديث رواه الشيخ
ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي في كتاب الحجة
على تارك المحجة باسناد صحيح كما قاله المصنف عن النووي
ورواه الطبراني وابو بكر بن عاصم والحافظ ابو نعيم في الاربعين
التي شرط لها ان تكون في صحاح الاخبار وشاهده في القرآن

قال تعالى

قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية
وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا
ان يكون لهم الخيرة من امرهم وقوله فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم ونحو هذه الايات قوله لا يؤمن
احدكم اي لا يكون من اهل الايمان الواجب الذي وعد الله اهله
عليه بدخول الجنة والنجاة من النار وقد يكون في درجة اهل
الاساءة والمعاصي من اهل الاسلام قوله حتى يكون هواه تبعا
لما جئت به الهوى بالقصر اي ما يهواه ونحبه نفسه وتميل اليه
فاذا كان الذي يحبه وتميل اليه نفسه ويعمل به تابعا لما جاء
به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج عنه الى ما يخالفه فهذه صفة
اهل الايمان المطلق واذا كان بخلاف ذلك او في بعض احواله
او اكثرها انتفى عنه من الايمان كماله الواجب كما في حديث ابي
هريرة لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق
حين يسرق وهو مؤمن يعني انه بالمعصية ينتفي عنه كمال الايمان
الواجب وينزل عنه في درجة الاسلام وينقص ايمانه فلا يطلق
عليه الايمان الا بقيد المعصية فيكون عاصيا او فاسقا فيقال
مؤمن عاص ويقال مؤمن بايمانه فاسق بمعصيته فيكون
معه مطلق الايمان الذي لا يصح اسلامه الا به كما قال تعالى فتحرير رقبة
مؤمنة والادلة على ما عليه سلف الامة وائمتها ان الايمان قول
وعمل ونية يزيد وينقص بالطاعة وينقص بالمعصية من كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصر فمن ذلك
قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس
قبل تحويل القبلة وقول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس
آمركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة
ان لا اله الا الله الحديث وهو في الصحيحين والسنن والدليل ان
الايمان يزيد قوله تعالى ويزداد الذين امنوا ايمانا فاما الذين امنوا
فزادتهم ايمانا الاية خلافا لمن قال ان الايمان هو القول وهم المر

جئته

ومن قال الايمان هو التصديق كالاشاعرة ومن المعلوم عقلا
وشرعا ان نية الحق تصديق والعمل به تصديق وقول الحق تصديق
فليس مع اهل البدع ما نيا في قول اهل السنة ولله الحمد والمنة
قال الله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب و
لكن البر من امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا
فبما عملوا في هذه الاية من الاعمال الظاهرة والباطنة وشاهد في كلام
العرب قولهم حملة صادقة وقد سمى الله تعالى الهوى المخالف لما جاء
به الرسول صلى الله عليه وسلم الها فقال تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه
قال بعض المفسرين لا يهوى شيئا الا ركبه قال ابن رجب اما معنى كون
فهوى الانسان لا يكون مؤمنا كامل الايمان الواجب حتى يكون محبته
تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي و
غيرها فيحب ما امر به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القران بمثل
هذا المعنى في غير موضع وقدم سبحانه من كره ما احبه الله واوجب
ما كرهه الله كما قال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا
رضوانه فاحبط اعمالهم فالواجب على كل مؤمن ان يحب ما احبه
الله محبة توجب له الاتيان بما اوجب عليه منه فان زادت المحبة
حتى اتى بما ندب اليه منه كان ذلك فضلا وان يكره ما يكرهه الله
كراهة توجب له الكف عما حرمه الله عليه منه فان زادت الكراهة
حتى اوجبت له الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلا فمن احب الله
ورسوله محبة صادقة من قلبه اوجب ذلك له ان يحب بقلبه ما
يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيرضى
بما يرضى به الله ورسوله ويسخط بما يسخط الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض فان عمل بجوارحه شيئا
يخالف ذلك بان ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله وترك بعض ما
يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته
الواجبة فعليه ان يتوب من ذلك ويرجع الى تكميل المحبة الواجبة
التي هي ركن العبادة اذا كملت فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى

النفس

ماينفي

به

قف فتامل قوله فالواجب

قف على قوله فجميع

النفس على محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد وصف الله المشركين
باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله وكذلك البدع انما نشأت من تقديم الهوى على الشرع ولهذا
سمي اهلها اهل الاهواء وكذلك المعاصي انما تقع من تقديم الهوى
على محبة الله ومحبة ما يحبه الله وكذلك حب الاشخاص الواجب فيه
ان يكون تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب على المؤمن محبة
من يحبه الله من الملائكة والرسل والانبياء والصديقين والشهداء
الصالحين عموما ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الايمان ان
يحب المرء لا يحبه الا لله فتجب موالاة اعداء الله ومن يكرههم الله
عموما ولهذا يكون الدين كله لله ومن احب لله وابغض لله واعطى
لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه
ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في ايمانه الواجب فيجب التوبة
من ذلك انتهى ملخصا ومناسبة الحديث للترجمة بيان الفرق بين
اهل الايمان واهل النفاق والمعاصي في اقوالهم وافعالهم واراداتهم قوله
قوله وقال الشعبي هو عامر بن شرحبيل الكوفي محدث اهل زمانه وكان
حافظا علامة ذا فنون كان يقول ما كتبت سوداء في بيضاء وادرك
خلقا من الصحابة وعاش بضعا وثمانين سنة قاله الذهبي
وفيما قاله الشعبي ما يبين ان المنافق يكون اشد كراهة
لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى ويكون اشد عداوة
منهم لاهل الايمان كما هو الواقع في هذه الازمنة وقبلها ومن
اعانت العدو على المسلمين وحرصهم على اطفاء نور الاسلام
والايمان ومن تدبر ما في التاريخ وما وقع منهم في الوقايع
عرف ان هذا حال المنافقين قديما وحديثا وقد حذر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم من طاعتهم والقرب منهم وحضه
على جهادهم في مواضع من كتابه قال تعالى يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير

قف على قوله فجميع

وفي قصة عمر وقتله المنافق الذي طلب التحاكم الى كعب بن الاشرف
اليهودي دليل على قتل من اظهر النفاق والكفر وكان كعب بن
الاشرف هذا شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم واذاه واظهار
عداوته فانتقض بهذا عهده وحل به قتله وروى مسلم في صحيحه عن
عمرو سمعت جابرا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن
الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة يا رسول
الله اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي فلاقل قال قل فاتاه
فقال له وذكر ما بينهم وقال ان الرجل قد اراد صدقة وقد عنانا
فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه الآن ونكره
ان ندعه حتى ننظر الى اي شئ يصير امره قال وقد اردت ان تسلفني
سلفا قال فما ترهنني نرهن نساءكم قال انت اجمل العرب ارهنك
نساءنا قال ترهنوني اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في
وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال فنعم
وواعده ان ياتيه بالحارث وابي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال
فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قال سفيان قال غير عمرو وقالت
امرأته اني لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هذا محمد ومعه
ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا
جاء فسوف امد يدي الى رأسه اذا استمكنت منه فدونكم قال فلما
نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي
فلانة اعطر نساء العرب قال فتاذن لي في ان اشم منه قال نعم
فشم فتناوله فشم ثم قال اتاذن لي ان اعود قال نعم فاستمكن
من رأسه ثم قال دونكم قال فقتلوه وفي قصة عمر رضي الله عنه
بيان ان المنافق المخوض بالنفاق اذا اظهر نفاقه قتل كما في
الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انما ترك قتل من
اظهر نفاقه منهم تاليفا للناس فانه قال لا يتحدث ان محمدا يقتل
اصحابه صلوات الله وسلامه عليه قوله باب
من لحد شيئا من الاسماء والصفات وقول الله تعالى وهم يكفرون

الناس ص

بالرحمن الآية سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير
وغيرها وهو ان مشركي قريش لحدوا في اسم الرحمن عنادا وقال
تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
والرحمن اسم وصفته دل هذا الاسم على ان الرحمة وصف
سبحانه وهي من صفات الكمال فاذا كان المشركون لحدوا اسما
من الاسماء تعالى وهو من الاسماء التي دلت على كمال الله سبحانه
وتحمده بمعنى هذا الاسم ونحوه من الاسماء يكون كذلك
فان جهمية صفوان ومن تبعه يزعمون انها لا تدل على صفة
قائمة بالله تعالى وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والاشاعرة
وغيرهم فلهذا كثيرون من اهل السنة قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى
ولقد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان كفرهم ص
والذي حكاه الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني
فان هؤلاء الجهمية ومن وافقهم على التعطيل لحدوا وصف الله به ماص
نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله و
نواهذا التعطيل على اصل باطل اصلوه من عند انفسهم فقالوا
هذه الصفات هي صفات الاجسام فيلزم من اثباتها ان يكون
الله جسما هذا منشأ ضلال عقولهم لم يفهموا من صفات الله
الا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين فشبهوا الله في
ابتدائهم الفاسد بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه
بالناقصات والجمادات والمعدومات فشبهوا اولا وعطلوا
ثانيا وشبهوا ثانيا بكل ناقص ومعدوم فتركوا ما دل عليه
الكتاب والسنة من اثبات ما وصف الله به نفسه وفي وصفه
به رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلاله وعظمته وهذا
هو الذي عليه سلف الامة وائمتها فانهم اثبتوا لله ما اثبته
لنفسه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم اثباتا بلا تمثيل و
تنزيها بلا تعطيل فان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في
الذات يختذى حذوه فكما ان هؤلاء يثبتون لله ذاتا لا تشبه

الذوات فاهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به
نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات كماله
ونعوت جلاله لا تشبه صفات خلقه فانهم امنوا بكتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يتناقضوا واولئك المعطلة
كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك وتناقضوا فبطل قول
المعطلين بالعقل والنقل ولله الحمد والمنة واجماع اهل السنة
من الصحابة والتابعين وتابعيهم وائمة المسلمين وقد صنف
العلماء رحمهم الله تعالى في الرد على الجهمية المعطلة والمعتزلة
والاشاعرة وغيرهم في ابطال هذه البدع وما فيها من التناقض
والتهافت كالامام احمد رحمه الله تعالى في رده المشهور وكتاب
السنة لابنه عبد الله عبد الله وصالح الحيدة عبد العزيز
الكناني في رده على بشر المريسي وكتاب السنة لابي عبد الله
المروذي ورد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد وهو بشر المريسي
وكتاب التوحيد لامام الائمة محمد بن خزيمة الشافعي وكتاب
السنة لابي بكر الخلال ولابي عثمان الصابوني الشافعي وشيخ
الاسلام الانصاري وابي عمر بن عبد البر وخلق كثيرون من
اصحاب الائمة الاربعة واتباعهم واهل الحديث ومن تبعهم
متاخروهم ابو محمد عبد الله ابن احمد بن قدامة وشيخ الاسلام
ابن تيمية واصحابه وغيرهم فلله الحمد والمنة على بقاء السنة
واهلها مع تفرق الاهوى وتشعب الاراء والله اعلم قوله
وفي صحيح البخاري قال علي حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون
ان يكذب الله ورسوله تنبيه علي هو امير المؤمنين ابو الحسن
علي بن ابي طالب احد الخلفاء الراشدين وسبب هذا القول
والله اعلم ما حدث في خلافته من كثرة اقبال الناس على الحديث
وكثرة القصاص واهل الوعظ فيأتون في قصصهم باحاديث
لا تعرف من هذا القبيل فربما استنكرها بعض الناس وردها
وقد يكون لبعضها او معنى صحيح فيقع بعض المفاسد لذلك

فارشدهم

فارشدهم امير المؤمنين رضي الله عنه الى انهم لا يحدثوه عامة الناس الا
بما هو معروف بينهم في اصل دينهم واحكامه من بيان الحلال
من الحرام الذي كلفوا به علما وعملا دون ما يشغل عن ذلك مما
قد يؤدي الى رد الحق وعدم قبوله ففيضي بهم الى التكذيب لا سيما
مع اختلاف الناس في وقته وكثرة خوضهم وجدالهم وقد كان
شيخنا المصنف رحمه الله لا يحب ان يقرأ على الناس الا ما ينفعهم
في اصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم الذي لا غنى لهم عن معرفته
وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي كالمنتظم والمرعش
والتبصرة لما في ذلك من الاعراض عما هو اوجب وانفع وفيما
ما الله به اعلم مما لا ينبغي اعتقاده والمعصوم من عصمه الله وكان
امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ينهى القصاص عن القصص
لما في قصصهم من الغرايب والتساهل في النقل وغير ذلك ويقول
لا يقص الا امير او مأمور او متسرجم وكل هذا محافظة على لزوم الثبات
على الصراط المستقيم علما وعملا ونية وقصدا وترك ما كان
وسيلة الى الخروج عنه من البدع ووسائلها والله الموفق للصواب
ولا حول ولا قوة الا بالله قوله وروى عبد الرزاق عن معمر عن طاوس
عن ابنه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رأى رجلا انتفض
لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا
لذلك وقال ما فرق هؤلاء يجلسون رقة عند محكمه و
يهلكون عند متشابهه انتهى قوله وروى عبد الرزاق هو بن
همام الصنعاني المحدث محدث اليمن صاحب التصانيف اكثر
الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري وهو شيخ عبد الرزاق
يروي عنه كثيرا ومعمر بفتح الميمين وسكون العين ابو عروة
ابن ابي عمرو بن راشد الازدي الحراني ثم اليماني احد الاعلام
من اصحاب محمد بن هشام الزهري يروي عنه كثيرا قوله عن بن
طاوس هو عبد الله بن طاوس اليماني قال معمر كان من اعلم
الناس بالعربية وقال ابن عيينة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

كل ص

قوله عن ابيه هو طاوس بن كيسان الجندي بفتح الجيم والنون
الامام العلم قيل اسمه ذكوان قاله ابن الجوزي قلت وهو من
ائمة التفسير ومن اوعية العلم قال في تهذيب الكمال عن
الوليد الموقري عن الزهري قال قدمت على عبد الملك بن مروان
فقال من اين قدمت يا زهري قال قلت من مكة قال من خلفت
يسودها واهلها قلت عطاء بن ابي رباح قال فمن العرب ام
من الموالي قلت من الموالي قال فبم ساد هم قال قلت بالديانة
والرواية قال ان اهل الديانة والرواية لينبغي ان يسودوا قال
فمن يسود اهل اليمن قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب
ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فبم ساد هم قلت بما ساد
به عطا قال انه لينبغي ذلك قال فمن يسود مصر قلت يزيد بن
حبيب قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن
يسود اهل الشام قلت مكحول قال فمن العرب ام من الموالي
قلت من الموالي عبد نوبي اعتقته امراة من هذيل قال فمن يسود
اهل الجزيرة قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب ام من الموالي
قال قلت من الموالي فمن يسود خراسان قال قلت الضحاك بن
مزاحم قال فمن العرب ام من الموالي قال قلت من الموالي قال فمن
يسود اهل البصرة قال قلت الحسن البصري قال فمن العرب
ام من الموالي قال قلت من الموالي قال ويلك ومن يسود اهل
الكوفة قال قلت ابراهيم النخعي قال فمن العرب ام من الموالي
قال قلت من العرب فقال ويلك يا زهري فرجت عني والله
لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على
المنابر والعرب تحتها قال قلت يا امير المؤمنين انما هو
دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط قوله عن ابن عباس
قد تقدم وهو حبر الامة وترجمان القرآن ودعى له النبي صلى
الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ورضي
عنه اصحابه ائمة التفسير مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء بن

اهل ص

ابي رباح وطاوس وغيرهم قوله ما فرق هؤلاء يستفهم من اصحابه
يشير الى الناس ممن حضر مجلسه من عامة الناس فاذا سمعوا شيئا
من محكم القرآن ومعناه حصل معهم فرق اي خوف فاذا سمعوا
شيئا من احاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له فلم يحصل منهم
الايمان الواجب الذي اوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين قال
الذهبي حدثنا وكيع عن اسرائيل بحديث اذا جلس الرب على الكرسي
فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال ادركنا الاعمش و
سفيان يحدثون بهذه الاحاديث ولا ينكرونها اخرجه عبد الله
في كتاب الرد على الجهمية وربما حصل معهم من عدم تلقيه
بالقبول ترك ما وجب من الايمان به فتشبه حالهم حال من قال
الله فيهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فلا يسلم من الكفر
الا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الايمان بكتاب الله كله واليقين
كما قال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما
تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا
الالباب فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رضي الله عنهما تركوا ما وجب
عليهم من الايمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن وهو حق لا ريب فيه
مؤمن وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي اراد الله فيحمله
على غير معناه كما جرى لاهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية
ونحوهم ممن يتاول بعض ايات القرآن على بدعته وقد وقع منهم
ما وقع من الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم فان الواقع
من اهل البدع وتحريفهم لمعنى الايات يبين معنى قول ابن عباس
وسبب هذه البدع جهل اهلها وقصورهم في الفهم وعدم اخذ
لعلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من اهلها العارفين بمعناها
الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص والقطع
بان بعضها لا يخالف بعضا ورد المتشابه الى المحكم وهذه طريقة

ابي رباح

آخر ما به ص

قف

اهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه

ذكر ما ورد عن علماء السلف في المتشابه قال في الدر المنثور
اخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد فنزل
القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام
ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما
امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بامثاله واعملوا بمحكمه و
امنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا قال عبد بن حميد
عن قتادة في قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ قال طلب القوم التاويل
فاخطأوا التاويل واصابوا الفتنة وطلبوا ما تشابه منه فهلكوا
بين ذلك واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس
في قوله ايات محكمات قال منهن قل تعالوا الى ثلاث ايات ومنهن
وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى ثلاث ايات بعدها واخرج ابن
جرير من طريق ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن
ابن مسعود وناس من الصحابة المحكمات الناسخات التي يعمل بهن و
المتشابهات المنسوخات واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم
عن اسحق بن سويد ان يحيا بن يعمر وابا فاخته تراجعا هذه الآية
هن ام الكتاب فقال ابو فاخته هن منها يستخرج القرآن الم ذلك
الكتاب منها استخرجت البقرة والم الله لا اله الا هو منها استخرجت
آل عمران وقال يحيى هن اللاتي فيهن الفرائض والامر و
النهي والحلال والحرام والحدود وعماد الدين واخرج ابن جرير عن
محمد بن جعفر بن الزبير قال المحكمات حجة العرب ومعصمة العباد
ودفع الخصوم والباطل ليس فيها تصريف ولا تحريف عما وضعت
عليه واخر متشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتاويل
ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام لا يصرفن الى الباطل
ولا يحرفن عن الحق واخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان انها قال
هن ام الكتاب لانه ليس من اهل دين لا يرضى بهن واخر متشابهات

يعني

يعني فيما بلغنا الم والمص والمر قلت وليس في هذه الآثار
ونحوها ما يشعر بان اسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه وما
قاله النفاة من انها من المتشابه دعوى بلا برهان قوله و
لما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن انكروا
ذلك الخ روى ابن جرير عن قتادة وهم يكفرون بالرحمن ذكر
لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشا
كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن
كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما
صالح عليه محمد بن عبد الله فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعنا يا رسول الله نقاتلهم فقال لا ولكن اكتبوا كما يريدون اني ابن
عبد الله فلما كتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم قالت قريش
اما الرحمن فلا نعرفه وكان اهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم
فقال اصحابه يا رسول الله دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما
يريدون وروي ايضا عن مجاهد قال قوله كذلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم الآية قال هذا مما كانت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قريشا في الحديبية كتب بسم الله قالوا
لا نكتب الرحمن وما ندري ما الرحمن ولا نكتب الا باسمك اللهم قال
الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو وروي ايضا عن ابن
عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدا يا رحمان يا رحيم
فقال المشركون هذا يزعم انه يدعو واحدا وهو يدعو اثنين فانزل
الله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى الآية قوله باب قول الله تعالى يعرفون نعمة
الله ثم ينكرونها بعد ذكر المصنف رحمه الله تعالى ما ذكر بعض
العلماء في معناها وقال ابن جرير فانه اهل التاويل اختلفوا في المعني
بالنعمة فذكر عن سفيان عن السدي يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بل معنى ذلك انهم يعرفون انها
عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وان الله هو المنعم

محمد ع

عليهم بذلك ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون انهم ورثوه عن آبائهم
قال وخرج عن مجاهد يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال هي السائبة
والانعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب يعرفون
هذا كفار قريش ثم ينكرونه بان يقولوا هذا كان لابائنا فورثونا
اياه وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار اذا قيل لهم من رزقكم اقروا
بان الله هو الذي يرزقهم ثم ينكرون ذلك بقولهم رزقنا ذلك
بشفاعة الهتنا وذكر المصنف مثل هذا عن ابن قتيبة وهو ابو
محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر النحوي اللغوي
صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة اشتغل
ببغداد وسمع الحديث على اسحق بن راهويه وطبقته توفي سنة
ست وسبعين ومائتين وقال آخرون ما ذكره المصنف عن عون
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ابو عبد الله الكوفي الزاهد
عن ابيه وعائشة وابن عباس وعن قتادة وابو الزبير والزهري
وثقه احمد وابن معين قال البخاري مات بعد العشرين ومائة
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال انكارهم اياها ان يقول الرجل
لولا فلان ما كان كذا وكذا لولا فلان ما اصبت كذا وكذا واختار
ابن جرير القول الاول واختار غيره ان الاية تعم ما ذكره العلماء
في معناها وهو الصواب والله اعلم قوله قال مجاهد هو شيخ ا
لتفسير الامام الرباني مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم عن نيف
وثمانين سنة يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات اقفه
عند كل آية واسأله فيم نزلت وكيف معناها توفي سنة اثنتين
ومائة وله ثلاث وثمانون سنة قوله وقال ابو العباس هو شيخ
الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الامام الجليل
بعد حديث زيد بن خالد وتقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالانوء
قال وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف
انعامه الى غيره ويشرك به قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح
طيبة والملاح حاذقا ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير انتهى

وكلام

وكلام شيخ الاسلام يدل على ان حكم هذه الاية عام فيمن نسب النعم
الى غير الله الذي انعم بها واسنادا سبابها الى غيره كما هو مذكور
في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا قال شيخنا رحمه الله تعالى وفيه
اجتماع الضدين في القلب وتسمية هذا الكلام انكارا للنعمة قوله
باب قول الله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون
الند المثل والنظير وجعل الند لله هو صرف انواع العبادة او شيء منها
لغير الله كجعل عبدة الاوثان الذي يعتقدون فيمن دعوه ورجوه انه
ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم وهذه الاية في سياق قوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الاية قال العلماء
ابن كثير في تفسيره قال ابو العالية لا تجعلوا لله اندادا تعدلا
شركاء وهكذا قال الربيع بن انس وقتادة والسدي وابو
مالك واسماعيل ابن ابي خالد وقال ابن عباس فلا تجعلوا لله
اندادا وانتم تعلمون اي لا تشركوا بالله شيئا من الانداد التي لا
تنفع ولا تضر وانتم تعلمون انه ربكم لا يرزقكم غيره وقد
علمتم ان الذي يدعوكم الرسول اليه من توحيده هو الحق لا شك
فيه وكذا قال قتادة وعن قتادة ومجاهد لا تجعلوا لله اندادا
قال اكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله وقال ابن زيد
الانداد الالهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له
وعن ابن عباس فلا تجعلوا لله اندادا قال اشباها وقال مجاهد
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قال تعلمون انه اله واحد
في التوراة والانجيل وذكر حديثا في معنى هذه الاية الكريمة
وهو في مسند الامام احمد عن الحارث الاشعري ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله امر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس
كلمات ان يعمل بهن وان يأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وانه
كاد يبطيء بها فقال له عيسى عليه السلام انك قد امرت بخمس
كلمات ان تعمل بهن وتأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تبلغهن
واما ان ابلغهن فقال يا اخي اني اخشى ان سبقتني ان اعذب

او يخسف به قال فجمع يحيى بن زكريا بني اسرائيل في بيت المقدس حتى
امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان
الله امرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمركم ان تعملوا بهن ان
تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى
عبدا من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته الى
غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم و
رزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وآمركم بالصلاة فان الله
ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا
وآمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك
في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصائم اطيب
عند الله من ريح المسك وآمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل
رجل اسره العدو فشدوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا
عنقه فقال لهم هل لكم ان افتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه
بالقليل والكثير حتى فك نفسه وآمركم بذكر الله كثيرا فان مثل ذلك
كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فاتى حصنا حصينا فتحصن
فيه وان العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله
قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمركم بخمس الله امرني
بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فانه
من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا
ان يراجع ومن دعى بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول
الله وان صام وصلى فقال وان صام وصلى وزعم انه مسلم فادعوا
المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد
الله هذا حديث حسن والشاهد منه في هذه الاية قوله وان الله
خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وهذه الاية دالة على
توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد استدل بها كثير من
المفسرين على وجود الصانع وهي دالة على ذلك بطريق الاولى في
الايات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدا وسئل ابو نواس

عن ذلك

عن ذلك فانشد يقول في المعنى
تأمل في نبات الارض وانظر الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بان الله ليس له شريك
وقال ابن المعتز
سبحانك كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد
قوله وعن ابن عباس في الاية الانداد هو الشرك اخفى من دبيب
النمل على صفات سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك
يا فلانة وحياتي وتقول لولا كليبة هذا لاتانا اللصوص ولولا البط
في الدار لاتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت
وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلانا هذا كله به شرك
رواه ابن ابي حاتم ش بيان بن عباس رضي الله عنهما ان هذا كله من
الشرك وهو الواقع اليوم على السن كثير ممن لا يعرف التوحيد و
لا الشرك فتنبه لهذه الامور فانها من المنكر العظيم الذي يجب
النهي عنه والتغليظ فيه لكونه اكبر من الكبائر وهذا من ابن عباس
تنبيه بالادنى من الشرك على الاعلى قوله وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغير الله
فقد كفر او اشرك رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم قوله
فقد كفر او اشرك يحتمل ان يكون شكا من الراوي ويحتمل ان تكون
او بمعنى الواو فيكون قد كفر واشرك ويكون من الكفر الذي هو
الكفر الاكبر كما هو من الشرك الاصغر وورد مثل هذا عن ابن مسعود
مسعود بهذا اللفظ قوله وقال ابن مسعود لان احلف بالله
كاذبا احب الي من ان احلف بغيره صادقا من المعلوم ان
الحلف بالله كاذبا من الكبائر لكن الشرك اكبر من الكبائر وان كان
اصغر كما تقدم بيان ذلك فاذا كان هذا حال الشرك الاصغر فكيف
بالشرك الاكبر الموجب للخلود في النار كدعوة غير الله والاستغاثة

به والرغبة اليه وانزال حوائجه به كما هو حال الاكثر من هذه
الامة في هذه الازمان وما قبلها من تعظيم القبور واتخاذها
اوثانا والبناء عليها واتخاذها مساجد وبناء المشاهد باسم
الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه والاقبال عليه بالقلوب
والاقوال والاعمال وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الاكبر الذي لا
يغفره الله وتركوا ما دل عليه القرآن من النهي عن هذا الشرك
وما يوصل اليه قال الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على كذبا او كذب
بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين كفرهم تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه
من دونه في الدار الدنيا وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا وقال تعالى انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا
قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا وهو لاء المشركون عكسوا الامر
فخالفوا ما بلغ به الامة واخبر به عن نفسه صلى الله عليه وسلم
فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله والتعلق على غير الله
حتى قال قائلهم [illegible]
يا اكرم الخلق مالي من الوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ان لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا والا فقل يا زلة القدم
فان من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم
فانظر الى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد انه لا نجاة له الا بعياذه
بغير الله وانظر الى هذا الاطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الاطراء
الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه مالك و
غيره وقد قال تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم اني ملك فانظر الى هذه المعارضة العظيمة للكتاب
والسنة والمحادة لله ورسوله وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو
الذي في نفوس كثير خصوصا من يدعي العلم والمعرفة ورأوا قراءة

هذه

هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات فانا لله
وانا اليه راجعون وقد روى حذيفة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن
قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان رواه ابو داود باسناد صحيح
وذلك لان المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه
لكونها انما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا
وتسوية المخلوق بالخالق شرك ان كان في الاصغر مثل هذا
فهو اصغر وان كان في الاكبر كما قال تعالى عنهم في الدار الاخرة
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين بخلاف
المعطوف بثم فانه المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه
بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعا قوله وعن ابراهيم النخعي
انه يكره ان يقول الرجل عذت بالله وبك ويجوز ان يقول
بالله ثم بك قال ويقول لولا الله ثم فلان ولا تقول لولا الله
وفلان قد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك
وهذا انما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء
وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك واما في حق الاموات الذين
لا احساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا
يقال في حقهم شيء من ذلك فلا يجوز التعلق عليهم بشيء ما بوجه
من الوجوه والقرآن يبين ذلك وينادي بانه يجعلهم الهتا اذا
سئلوا شيئا من ذلك او رغب اليهم احد بقوله او عمله الباطن
او الظاهر فمن تدبر القرآن ورزق فهما صار على بصيرة من دينه
وبالله التوفيق والقرآن لا يؤخذ قسرا وانما يؤخذ باسباب
ذكر بعضها في قوله

اخي لن تنال العلم الا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وارشاد استاذ وطول زمان

واعظم من هذه الستة من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ واتعب
نفسه في تحصيله فهو الموفق لمن شاء من عباده كما قال تعالى وعلى

حيث قال تعالى

ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولقد حسن العلامة ابن القيم رحمه الله

ه والجهل داء قاتل وشفاؤه ه امران في التركيب متفقان ه

ه نص من القرآن او من سنة ه وطبيب ذاك العالم الرباني ه

ه والعلم اقسام ثلاث ما لها ه من رابع والحق ذو تبيان ه

ه علم بأوصاف الاله وفعله ه وكذلك الاسماء للرحمان ه

ه والامر والنهي الذي هو دينه ه وجزاؤه يوم المعاد الثاني ه

ه والكل في القرآن والسنن التي ه جاءت عن المبعوث بالقرآن ه

ه والله ما قال امرء متحذلق ه بسواهما الا من الهذيان ه

باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله رواه ابن ماجة بسند حسن قوله لا تحلفوا بآبائكم تقدم النهي عن الحلف بغير الله عموما

انقوام

قوله من حلف فليصدق هذا امر اوجبه الله على عباده وحضهم عليه في كتابه قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال والصادقين والصادقات وقال ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم وهو حال اهل البر كما قال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وقوله ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله ه اما اذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه الا اليمين فاحلفه فلا ريب انه يجب عليه الرضا واما اذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا في حق المسلم على المسلم ان يقبل عذره منه اذا حلف له معتذرا او متبريا من تهمة ومن حقه عليه ان يحسن به الظن اذا لم يتبين خلاف ذلك كما في الاثر عن عمر رضي الله عنه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك شرا وانت تجد لها في الخير محملا وفيه من التواضع والالفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يجتنبها الله ما لا يخفى على من له فهم وذلك

من اسباب

من اسباب اجتماع القلوب على طاعة الله ثم انه يدخل في حسن الخلق الذي هو اثقل ما يوضع في ميزان العبد كما في الحديث وهو من مكارم الاخلاق فتامل ايها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى من القيام بحقوقه وحقوق عباده وادخال السرور على المسلمين وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم فان فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال وبسط هذه الامور وذكر ما فيها مذكور في كتب الادب وغيرها فمن رزق ذلك والعمل بما ينبغي العمل به منه وترك ما يجب تركه من ذلك دل على وفور دينه وكمال عقله والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين والله اعلم

باب ما يقول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة و ان يقولوا ما شاء الله ثم شئت رواه النسائي وصحح قوله عن قتيلة بمثناتين مصغرة بنت صيفي الانصارية صحابية مهاجرة لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب ورواه عنها عبد الله بن يسار الجهني وفيه قبول الحق ممن جاء به كائنا من كان وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة مع انها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة وهذا يبين ان النهي عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا الكعبة التي هي بيت الله في ارضه وانت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه الا الله ومن المعلوم ان الكعبة لا تضر ولا تنفع وانما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها وجعلها للامة قبلة فالطواف بها مشروع والحلف بها ودعاؤها ممنوع فبين ايها المكلف بين ما يشرع وما يمنع وان خالفك من خالفك من جملة الناس الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله انكم تشركون تقولون والكعبة

ماشاء الله وشئت والعبد وان كان له مشيئة فمشيئته تابعة
لمشيئة الله ولا قدرة له على ان يشاء شيئا الا اذا كان الله قد
شاءه كما قال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان
يشاء الله رب العالمين وقوله ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما
حكيما وفي هذه الآيات والحديث الرد على القدرية والمعتزلة نفاة
القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما اراده الله تعالى من
العبد وشاءه وسيأتي ما يبطل قولهم في باب ما جاء في منكري
القدر ان شاء الله وانهم مجوس هذه الامة واما اهل السنة
والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره واعتقدوا
ان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء مما وافق ما شرعه الله
وما يخالفه من افعال العباد واقوالهم فالكل بمشيئته واراداته
فما وافق ما شرعه رضيه واحبه وما خالفه كرهه من العبد كما
قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم وفيه بيان ان الحلف بالكعبة شرك فان النبي صلى
الله عليه وسلم انكر على اليهودي قوله انكم تشركون قوله وله ايضا
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله
وحده هذا يقرر ما تقدم من ان هذا شرك لوجود التسوية
في العطف بالواو وقوله اجعلتني لله ندا فيه بيان ان من سوى
العبد بالله ولو في الشرك الاصغر فقد جعله ندا لله تعالى وهو
ابلغ في خلاف ما يقوله الجاهلون بما يختص بالله تعالى من عباده
ويوجب النهي عنه من الشرك بنوعيه ومن يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين قوله ولابن ماجة عن الطفيل اخي عائشة
لامها قال رايتني كاني اتيت على نفر من اليهود فقلت انكم
لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وانتم لانتم
القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت

بنفر

بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون
المسيح ابن الله قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون
ما شاء الله وشاء محمد فلما اصبحت اخبرت بها من اخبرت
ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال هل اخبرت
بها احدا قلت نعم قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد
فان طفيلا رأى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم
قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها فلا تقولوا
ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده قوله
عن الطفيل اخي عائشة لامها هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة
اخو عائشة لامها صحابي له حديث وهو ما ذكره المصنف في
الباب وهذه الرؤيا حق اقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل
بمقتضاها فنهاهم ان يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وامرهم
ان يقولوا ما شاء الله وحده وهذا الحديث والذي قبله امرهم
فيه ان يقولوا ما شاء الله وحده ولا ريب ان هذا اكمل في الاخلاص
وابعد عن الشرك من ان يقولوا ثم شاء فلان لان فيه التصريح
بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه فالبصير يختار لنفسه
اعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والاخلاص وقوله كان
يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها ورد في بعض الطرق انه كان
يمنعه الحياء منهم وبعد هذا الحديث الذي يحدث به الطفيل
عن رؤياه خطبهم صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك نهيا بليغا
فما زال صلى الله عليه وسلم يبلغهم حتى كمل لهم الدين واتم له به
النعمة وبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى
اله وصحبه اجمعين وفيه معنى قوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قلت
وان كانت رؤيا منام فهي وحي يثبت بها ما يثبت بالوحي من
ونهيا والله اعلم قوله باب من سب الدهر تقدم في
الله وقول الله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا

وما يهلكنا الا الدهر قال العماد بن كثير في تفسيره يخبر تعالى
عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد
وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ما ثم الا هذه الدار يموت
قوم ويعيش اخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله منكرو
العرب المنكرون للمعاد ويقوله الفلاسفة الالهيون منهم وهم
ينكرون البداءة والرجعة ويقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون
للصانع المعتقدون ان في كل ستة وثلاثين الف سنة يعود
كل شيء الى ما كان عليه وزعموا ان هذا قد تكرر مرات لا تتناهى
فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا وما يهلكنا الا
الدهر سبحانه وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون اي
يتوهمون ويتخيلون فاما الحديث الذي اخرجه صاحب الصحيح
وابو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى يؤذيني بن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر
اقلب الليل والنهار وفي رواية لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
وفي رواية لا يقل بن آدم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر ارسل
الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما قال في شرح السنة حديث
متفق على صحته اخرجاه من طريق معمر من اوجه عن ابي هريرة ثم
قال ومعناه ان العرب كانت من شانها ذم الدهر وسبه عند
نوازل الامور لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره
فيقولون اصابتهم قوارع الدهر واباد هم الدهر فاذا اضافوا
الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبهم
الى الله عز وجل اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يصنعونها
فنهوا عن سب الدهر انتهى باختصار وقد اورده بن جرير
بسياق غريب جدا بهذا الطريق قال كان اهل الجاهلية يقولون انما
يهلكنا الليل والنهار ويحيينا فقال الله في كتابه وقالوا ما
هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ويسبونه

الدهر

الدهر فقال الله عز وجل يؤذيني بن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي
الامر اقلب الليل والنهار وكذا رواه بن ابي حاتم عن احمد بن منصور
عن شريح بن النعمان عن بن عيينة مثله ثم روى يونس عن بن
وهب عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يقول الله يسب بن آدم الدهر وانا الدهر بيدي
الليل والنهار واخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس
ابن يزيد وقال محمد بن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل استقرضت
عبدي فلم يعطني وسبني عبدي وادهراه وانا الدهر قال الشافعي
وابو عبيد وغيرهما من الائمة تفسير قوله لا تسبوا الدهر فان الله
هو الدهر كانت العرب في جاهليتها اذا اصابهم شدة او بلاء او ملامة
قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الافعال الى الدهر ويسبونه
وانما الفاعل هو الله فكانهم انما سبوا الله سبحانه لانه فاعل
ذلك في الحقيقة فلهذا انهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لان
الله هو الذي يعتونه ويسندونه اليه تلك الافعال هذا احسن
ما قيل في تفسيره وهو المراد والله اعلم وقد غلط بن حزم ومن
نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الاسماء الحسنى
اخذا من هذا الحديث انتهى وقد تبين معناه في الحديث
بقوله اقلب الليل والنهار وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه
الناس ويكرهونه وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف
رحمه الله تعالى وهي قوله بيدي الامر قوله وفي رواية لا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر معنى هذه الرواية هو ما صرح به
في الحديث من قوله وانا الدهر اقلب الليل والنهار يعني
ان ما يجري فيه من خير وشر انه بارادة الله وتدبيره
بعلمه تعالى وحكمته لا يشاركه في ذلك غيره ما شاء كان
وما لم يشا لم يكن فالواجب عند ذلك حمد في الحالتين وحسن
الظن به سبحانه وبحمده والرجوع اليه بالتوبة والانابة كما قال

تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ونسبة الفعل
الى الدهر ومسبته كثير في اشعار المولدين كابن المعتز و
المتنبي وغيرهما وليس منه وصف السنين بالشدة ونحو ذلك
لقوله تعالى ثم يأتي من بعد سبع شداد الاية قال بعض الشعرا
ان الليالي من الزمان مهولة ٭ تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة ٭ وطوالهن مع السرور قصار
وقول ابي تمام
اعوام وصل كادنيسي طيبها ٭ ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اعقبت ٭ نحوي اسى فكانها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها ٭ فكانها وكانهم احلام
قوله باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ذكر المصنف
رحمه الله هذه الترجمة اشارة الى النهي عن التسمي بقاضي القضاة
قياسا على ما في حديث الباب لكونه يشبهه في المعنى فنهى عنه
قوله في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان اخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الاملاك لا ملك
الا الله لان هذا اللفظ انما يصدق على الله تعالى فهو ملك الملوك
لا ملك اعظم منه ولا اكبر منه مالك الملك ذو الجلال والاكرام
وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع
رده الى المعير وهو الله ينزع الملك من ملكه تارة وينزع
الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه و
امّا رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له بيده القسط
يخفضه ويرفعه يخفض على عباده اعمالهم بعلمه سبحانه وما
تكتبه الحفظة عليهم فيجازي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان
شرا فشر كما ورد في الحديث اللهم لك الحمد ولك الملك كله و
بيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله اسئلك من الخير كله
واعوذ بك من الشر كله قوله قال سفيان يعني بن عيينة مثل
شاهان شاه عند العجم عبارة عن ملك الاملاك ولهذا اشل

به سفيان لانه عبارة عنه بلغة العجم قوله وفي رواية اغيظ رجل
على الله قوله اغيظ من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون
بغيضا الى الله مغضوبا عليه والله اعلم قوله واخبثه وهو
يدل ايضا على ان هذا خبيث عند الله فاجتمعت في حقه هذه
الامور لتعاظمه في نفسه وتعظيم الناس له بهذه الكلمة
التي هي من اعظم التعظيم فتعاظمه في نفسه وتعظيم الناس
له بما ليس له باهل وضعه عند الله يوم القيمة فصار اخبث
الخلق وابغضهم الى الله واحقرهم لان الخبيث المبغض عند الله
يكون يوم القيمة احقر الخلق واخبثهم لتعاظمه على خلق الله
بغير الله قوله اخنع يعني اوضع هذا هو معنى اخنع فيفيد
ما ذكرنا في معنى اغيظ انه يكون حقيرا بغيضا عند الله وفيه
التحذير من كل ما فيه تعاظم كما اخرج ابو داود عن ابي جحيفة قال
خرج معاوية على ابن الزبير وبن عامر فقام بن عامر وجلس بن
الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده
من النار اخرجه الترمذي ايضا وقال حسن وعن ابي امامة
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا على عصى فقمنا
اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم بعضهم لبعض قوله اغيظ
رجل هذا من الصفات التي تمر كما جاءت وليس شيء مما ورد في
الكتاب والسنة الا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك و
اثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى اثباتا بلا تمثيل و
تنزيها بلا تعطيل كما تقدم والباب كله واحد وهذا هو قول اهل
السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفرقة
الناجية من الثلاث والسبعين الفرقة وهذا التفرق والاختلاف
انما حدث في اواخر القرن الثالث وما بعده كما لا يخفى على
اهل المعرفة بما وقع في الامة من التفرق والاختلاف والخروج عن
الصراط المستقيم والله المستعان قوله باب احترام

اسماء الله وتغييرا سم لاجل ذلك عن ابي شريح انه كان
يكنى ابا الحكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم و
اليه الحكم فقال انه قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت
بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما احسن هذا قوله عن ابي
شريح قال في خلاصة التهذيب هو ابو شريح الخزاعي اسمه خويلد
ابن عمرو اسلم يوم الفتح له عشرون حديثا واتفقا على حديثين
وانفرد البخاري بحديث وروى عنه ابو سعيد المقبري ونافع بن
جبير وطائفة قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ثمان وستين
وقال الشارح اسمه هانيء بن يزيد الكندي قاله الحافظ وقيل الحارث
الضبابي قاله المزي قوله يكنى الكنية ما صدر باب وام ونحو
ذلك واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين ونحوه وقول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم واليه الحكم فهو سبحانه الحاكم في
الدنيا والاخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي انزله على
انبيائه ورسله وما من قضية الا والله فيها حكم مما انزل على نبيه
صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة وقد يسر الله معرفة اكثر ذلك
لاكثر العلماء من هذه الامة فانها لا تجتمع على ضلالة فان العلماء
وان اختلفوا في بعض الاحكام فلا بد ان يكون المصيب فيهم
واحدا فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم واعطاه ملكة يقتدر
بها على فهم الصواب من اقوال العلماء يسر له ذلك بفضله ومنه
عليه واحسانه اليه فاجلها من عطية فنسأل الله من فضله و
قوله واليه الحكم في الدنيا والاخرة كما قال تعالى فما اختلفتم فيه
من شيء فحكمه الى الله وقال وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى
الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن
تاويلا فالحكم الى الله هو الحكم الى كتابه والحكم الى رسوله هو الحكم
اليه في حياته والى سنته بعد وفاته وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ
لما بعثه الى اليمن قال له بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد
قال بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال اجتهد

برايي فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسوله
فتعاذ من اجل علماء الصحابة بالاحكام ومعرفة الحلال من الحرام
ومعرفة احكام الكتاب والسنة وهذا ساغ له الاجتهاد
اذا لم يجد للقضية حكما في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله
عليه وسلم بخلاف ما يفعل اليوم وقبله من اهل التفريط في الاحكام
ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
فيظن ان الاجتهاد يسوغ له مع الجهل باحكام الكتاب والسنة
وهيهات واما يوم القيمة فلا يحكم بين الخلق الا الله اذا نزل
لفصل القضا بين العباد فيحكم بين خلقه بعلمه وهو الذي
لا يخفى عليه خافية من اعمال خلقه انه الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما والحكم
يوم القيمة انما هو بالحسنات والسيئات فيوخذ للمظلوم
من الظالم من حسناته بقدر ظلامته ان كان له حسنات وان
لم يكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فطرح على سيئات
الظالم لا يزيد على هذا بمثقال ذرة ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال
ذرة قوله فان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي
كلا الفريقين فقال ما احسن هذا فالمعنى والله اعلم ان ابا
شريح لما عرف منه قومه انه صاحب انصاف وتحر للعدل
بينهم ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين صار عندهم مرضيا و
هذا هو الصلح لان مداره على الرضى لا على الزام والاحكام
الكهان واهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على الاستناد
الى اوضاع اهل الجاهلية من احكام كبرائهم واسلافهم التي
تخالف حكم الكتاب والسنة كما قد يقع اليوم كثيرا كحال الطواغيت
الذين لا يلتفتون الى حكم الله ولا الى حكم رسوله صلى الله عليه وسلم
وانما المعتمد عندهم ما حكموا به باهوائهم وارائهم وقد يلتحق
بهذا بعض المقلدة لمن لا يسوغ تقليده فيعتمد على قول من قلده
ويترك ما هو الصواب الموافق لاصول السنة والكتاب والله

غيث

المستهزئون وقوله صلى الله عليه وسلم فما آمن الوليد قال شريح وسلم
وعبد الله قال معمر اكبر ظني قلت شريح قال فأتت ابو شريح فيه تقديم
الاكبر في الكنية وغيرها غالبا وجاء هذا المعنى في غير ما حديث و
الله اعلم وقوله باب من هزء بشيء فيه ذكر الله تعالى او
القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم اي فقد كفر قوله وقول الله
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية قال
ابن كثير رحمه الله في تفسيره قال ابو معشر المدني عن محمد بن كعب
القرظي وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما ارى قرائنا هؤلاء
الا ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فرفع ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركبت ناقته فقال يا رسول
الله انما كنا نخوض ونلعب فقال ايمان الله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن الى قوله مجرمين وان رجليه ليسفعان الحجارة وما
يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعلق بنسعة
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن وهب
اخبرني هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن عبد الله بن عمر
قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما ما رأينا مثل قرائنا
هؤلاء ارغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء
فقال رجل في المجلس كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل
القرآن قال عبد الله بن عمر وانا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله انما
كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد
ايمانكم وقد رواه اللالكائي من هشام بن سعد نحو من هذا
وقال ابن اسحق وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن
ثابت اخو بني امية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من اشجع
حليف لبني سلمة يقال مخشي بن حمير يشيرون الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم

لكانا

صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض اتحسبون
جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنا بكم غدا مقرنين
في الحبال ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشي بن حمير والله لوددت
اني اقاضى على ان يضرب كل رجل منا مائة جلدة وانا ننفلت ان
ينزل فينا قرآن فبلغ المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يبلغني لعمار بن ياسر ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسئلهم
عما قالوا فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار
فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون
اليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف
على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يا رسول الله انما كنا نخوض
ونلعب وقال مخشي بن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم ابي
فكان الذي عناه ابي بقوله تعالى ان نعف عن طائفة منكم في
هذه الاية مخشي بن حمير فسمي عبد الرحمن وسأل الله ان يقتله
شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له اثر وقال
عكرمة في تفسير هذه الاية كان رجل ممن ان شاء الله عفا
عنه يقول اللهم اني اسمع اية انا اعنابها تقشعر منها الجلود
ويجل منها القلب اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك فلا
يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت قال فاصبح يوم
اليمامة فما احد من المسلمين الا وقد وجد غيره قوله لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم اي بهذه المقالة التي استهزئتم به ان نعف
عن طائفة منكم نعذب طائفة اي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من
عذاب بعضكم بانهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة انتهى
قال الشيخ الاسلام رحمه الله وظاهره ان يقول
قد كفرتم بعد ايمانكم وقول من يقول انهم كفروا بعد ايمانهم
بلسانهم مع كفرهم او لا بقلوبهم لا يصح لان الايمان باللسان
مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد ايمانكم فانهم
لم يزالوا كافرين في نفس الامر وان اريد انكم اظهرتم الكفر بعد

طئة

اظهارکم الایمان فهم لم یظهروا للناس الا لخواصهم وهم مع خواصهم
ما زالوا کذلک ولا یدل اللفظ علی انهم ما زالوا منافقین وقال
رحمه الله فی موضع آخر فقد اخبر انهم کفروا بعد ایمانهم مع قولهم
انا تکلمنا بالکفر من غیر اعتقاد له بل انما کنا نخوض ونلعب وبین
ان الاستهزاء بآیات الله کفر ولا یکون هذا الا ممن شرح صدره
بهذا الکلام ولو کان الایمان فی قلبه منعه ان یتکلم بهذا الکلام
والقرآن یبین ان ایمان القلب یستلزم العمل الظاهر بخبر کقوله
ویقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم یتولی فریق منهم من بعد
ذلک وما اولئک بالمؤمنین واذا دعوا الی الله ورسوله لیحکم بینهم
اذا فریق منهم معرضون الی قوله انما کان قول المؤمنین اذا دعوا الی
الله ورسوله لیحکم بینهم ان یقولوا سمعنا واطعنا واولئک هم
المفلحون فنفی الایمان عمن تولی عن طاعة الرسول واخبر ان المؤمنین
اذا دعوا الی الله ورسوله لیحکم بینهم سمعوا واطاعوا فبین ان
هذا من لوازم الایمان انتهی وفیه بیان ان الانسان قد یکفر
بکلمة یتکلم بها او عمل یعمل به واشد منها خطرا ارادات القلوب
فهی کالبحر الذی لا ساحل له ویقید الخوف من النفاق الاکبر فان
الله تعالی اثبت لهؤلاء ایمانا قبل ان یقولوا لما قالوه کما قال به ابی
ملیکة ادرکت ثلاثین من اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم کلهم
یخاف النفاق علی نفسه نسأل الله السلامة والعفو والعافیة فی
الدنیا والاخرة **قوله باب** قول الله تعالی ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته لیقولن هذا لی الآیة
ذکر المصنف رحمه الله تعالی عن ابن عباس وغیره من المفسرین فی
معنی هذه الآیة وما بعدها ما یکفی فی المعنی ویشفی قوله قال
مجاهد هذا بعملی وانا محقوق به وقال ابن عباس یرید من
عندی وقوله قال انما اوتیته علی علم عندی قال قتادة علی علم
منی بوجوه المکاسب وقال اغتررته علی علم من الله انی له اهل
وهذا معنی قول مجاهد اوتیته علی شرف ولیس فیما ذکروه اختلافا

واغا

واغا هی فراد المعنی قال العماد بن کثیر رحمه الله فی معنی قول الله تعالی
اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتیته علی علم بل هی فتنة ولکن اکثرهم لا
فی حال الضر یضرع الی الله عز وجل وینیب الیه ویدعوه ثم اذا
خوله نعمة منه طغی وبغی وقال انما اوتیته علی علم ای لما یعلم الله
استحقاقی له ولولا انی عند الله بحضیض لما خولنی هذا قال الله عز
وجل بل هی فتنة ای لیس الامر کما زعم بل انما انعمنا علیه بهذه
النعمة لنختبره فیما انعمنا علیه یطیع ام یعصی مع علمنا المتقدم
بذلک بل هی فتنة اختبار ولکن اکثر الناس لا یعلمون فلهذا یقولون
ما یقولون ویدعون ما یدعون قد قالها الذین من قبلهم ای هذه
المقالة وزعم هذا الزعم وادعی هذه الدعوی کثیر ممن سلف
من الامم فما اغنی عنهم ما کانوا یکسبون ای فما صح قولهم ولا نفعهم
جمعهم وما کانوا یکسبون کما قال تعالی مخبرا عن قارون انه قال
له قومه لا تفرح ان الله لا یحب الفرحین الی قوله ولا یسئل عن
ذنوبهم المجرمون قال تعالی وقالوا نحن اکثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبین انتهی قوله وعن ابی هریرة انه سمع رسول الله
صلی الله علیه وسلم یقول ان ثلاثة من بنی اسرائیل ابرص واقرع واعمی
فاراد الله ان یبتلیهم فبعث الیهم ملکا فاتی الابرص فقال ای شیء
احب الیک قال لون حسن وجلد حسن ویذهب عنی الذی قذرنی
الناس به قال فمسحه فذهب عنه قذره فاعطی لونا حسنا وجلدا
حسنا قال ای المال احب الیک قال الابل او البقر شک اسحق فاعطی
ناقة عشراء فقال بارک الله لک فیها قال فاتی الاقرع فقال ای شیء
احب الیک قال شعر حسن ویذهب عنی الذی قذرنی الناس به
فمسحه فذهب عنه واعطی شعرا حسنا فقال ای المال احب الیک
قال البقر او الابل فاعطی بقرة حاملا فقال بارک الله لک فیها قال
فاتی الاعمی فقال ای شیء احب الیک قال ان یرد الله علی بصری
فابصر به الناس فمسحه فرد الله الیه بصره قال فای المال احب الیک
قال الغنم فاعطی شاة والدا فانتج هذان ووالد هذا فکان لهذا

وادٍ من الابل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم قال ثم اتى
الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت
بي الحبال في سفري هذا فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسئلك بالذي
اعطاك اللون الحسن والمال بعيرا اتبلغ به في سفري فقال
الحقوق كثيرة فقال له كاني اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس
فقيرا فاعطاك الله عز وجل المال فقال انما ورثت هذا المال
كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال
فاتى الاقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه
مثل ما رد عليه هذا فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال
فاتى الاعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد
انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسئلك
بالذي رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها في سفري فقال قد كنت اعمى
فرد الله علي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا اجهدك
اليوم بشيء اخذته لله فقال امسك مالك فانما ابتليتم فقد رضي
عنك وسخط على صاحبيك اخرجاه اي البخاري ومسلم وهذا
حديث عظيم وفيه معتبر فان الاولين جحدا نعمة الله فيما
اقرا الله بنعمة ولا نسبا النعمة الى المنعم بها ولا ادّيا حق الله فيها
بنعمة فحل عليهما السخط واما الاعمى فاعترف بها بنعمة الله
ونسبها الى من انعم عليه بها وادى حق الله فيها فاستحق الرضى من
الله بقيامه بشكر النعمة لما الى بارکان الشكر الثلاثة التي لا يقوم
الشكر الا بها وهي الاقرار بالنعمة ونسبتها الى المنعم وبذلها فيما
يحب قال العلامة ابن القيم اصل الشكر هو الاعتراف بانعام
المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة فمن لم يعرف النعمة بل
كان جاهلا بها لم يشكرها ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها
ايضا ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة
المنعم عليه بها فقد كفرها ومن عرف النعمة والمنعم بها واقر
بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه لم

يشكرها

يشكرها ايضا ومن عرفها وعرف المنعم بها واقر بها وخضع
للمنعم بها واحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته
فهذا هو الشاكر لها فلا بد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم
وهو الميل الى المنعم ومحبته والخضوع له قوله قذرني الناس
بكراهة رؤيته وقربه منهم قوله باب قول الله تعالى
فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما
يشركون قال الامام احمد رحمه الله في معنى هذه الاية حدثنا
عبد الصمد ثنا عمر بن ابراهيم ثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا
يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد
الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وامره وهكذا
رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث
به ورواه الترمذي في تفسير هذه الاية عن محمد بن المثنى عن عبد
الصمد به وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر
ابن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه
الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا وقال هذا حديث
صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الامام ابو محمد بن ابي حاتم
في تفسيره عن ابي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن ابراهيم
به مرفوعا وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع ثنا سهل بن يوسف
عن عمرو عن الحسن جعلا له شركاء فيما اتاهما قال كان هذا في
بعض اهل الملل ولم يكن بادم وحدثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد
عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم
الله اولادا فهودوا ونصروا وهذا اسناد صحيح عن الحسن رحمه الله
قال العماد بن كثير في تفسيره واما الاثار فقال محمد بن اسحق
عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حوى
تلد لادم اولادا فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو
ذلك فيصيبهم الموت فاتاها ابليس وادم فقال اما انكما لو تسميا له

بغير الذي تسميانه به لعاش فولدت له رجلا فسمياه عبد الحارث
ففيه انزل الله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية وقال
العوفي عن ابن عباس فاتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد
لكما اهل تدريان ما يكون ابهيمة ام لا وزينه لهما الباطل انه
غوي مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما
الشيطان انكما ان لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الاول
فسمياه ولدهما عبد الحارث فذلك قوله تعالى فلما اتاهما صالحا جعلا
له شركاء فيما اتاهما الآية وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس ورواه ابن ابي حاتم وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس جماعة
من اصحابه كمجاهد وعكرمة وسعيد ومن الطبقة الثانية قتادة
والسدي وجماعة من الخلف والمفسرين ومن المتاخرين جماعات
لا يحصون كثرة قال العماد ابن كثير وكان اصله والله اعلم
ماخوذ من اهل الكتاب قلت وفي هذا بعد جدا قوله قال ابن حزم
اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة
وما اشبه ذلك حاشا عبد المطلب ابن حزم هو عالم الاندلس
ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري صاحب
التصانيف توفي سنة ٤٥٦ ست وخمسين واربع مائة
وله اثنتان وسبعون سنة وعبد المطلب هو جد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن
مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان وما فوق عدنان مختلف فيه ولا ريب انهم من ذرية
اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام حكى رحمه الله اتفاق العلما
على تحريم ما عبد لغير الله لانه شرك في الربوبية والالهية لان
الخلق كلهم ملك لله وعبيد له استعبدهم لعبادته وحده وتوحيده
في ربوبيته والهيته فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته والهيته
ومنهم من اشرك به في الهيته واقر له بربوبيته واسمائه وصفاته

كلام

واحكامه

واحكامه القدرية جارية عليهم ولابد كما قال تعالى ان كل من في السموات
والارض الا آتي الرحمن عبدا فهذه هي العبودية العامة واما العبودية
الخاصة فانها تختص باهل الاخلاص والطاعة كما قال تعالى ليس لك
بكاف عبده ونحوها قوله حاشا عبد المطلب هذا استثناء من العموم

اصلهم

المستفاد من كل وذلك ان تسميته بهذا الاسم لا محذور فيه لان
من عبودية الرق وذلك ان المطلب اخو هاشم قدم المدينة و
كان بن اخيه شيبة هذا نشا في اخواله بني النجار من الخزرج لان
هاشما تزوج فيهم امرأة فجاءت منه بهذا الابن فلما شب في
اخواله وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب الى مكة بلد ابيه و
عشيرته فقدم به مكة وهو رديف فراه اهل مكة وقد تغير لونه
بالسفر فحسبوه عبدا للمطلب فقالوا هذا عبد المطلب فعلق به هذا
الاسم وركبه فصار لا يذكر ولا يعرف الا به فلم يبق للاصل معنى مقصودا
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب وقد صار معظما في
قريش والعرب فهو سيد قريش واشرفهم في جاهليته وهو الذي
حفر زمزم وصارت له وفي ذريته من بعده وعبد الله والد النبي
صلى الله عليه وسلم احد بني عبد المطلب وتوفي في حيات ابيه قال
الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب الدرة السنية في مولد خير
البرية كان سن ابيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى
الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب الى المدينة ليمتار
منها تمرا لاهله فمات عند اخواله بني النجار والنبي صلى الله
عليه وسلم حمل على الصحيح انتهى قلت وصار النبي صلى الله عليه وسلم
لما وضعته امه في كفالة جده عبد المطلب قال الحافظ
الذهبي وتوفي ابوه عبد الله والنبي صلى الله عليه وسلم ثمانية و
عشرون شهرا وقيل اقل من ذلك وقيل وهو حمل توفي بالمدينة
وكان قد قدمها ليمتار تمرا وقيل بل من تجار جعا من الشام
وعاش خمسة وعشرين سنة قال الواقدي وذلك اثبت
الاقاويل في سنه ووفاته وتوفيت امه آمنة بالابواء وهي

راجعة به صلى الله عليه وسلم الى مكة من زيارة اخوال بيه بني عدي بن النجار
وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم وقيل ابن اربع سنين فلما
ماتت امه حملته ام ايمن مولاته الى جده فكان في كفالته الى ان توفي
جده وللنبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين فاوصى به الى عمه ابي طالب
انتهى كلام الحافظ قوله وعن ابن عباس في الاية قد مناظيره عن ابن
عباس في المعنى قوله رواه ابن ابي حاتم وله بسند صحيح عن قتادة قال
شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله
لئن اتيتنا صالحا اشفقا ان لا يكون انسانا قال سيخبا رحمه الله
ان هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها وهو محمل حسن
يبين ان ما وقع من الابوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث انما
هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله وهذا معنى قول
قتادة شركا في طاعته ولم يكن في عبادته قوله باب قول
الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
في اسمائه الاية عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله قال ان لله
تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب
الوتر اخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ورواه
البخاري عن ابي اليمان عن ابي الزناد عن الاعرج عنه واخرجه الترمذي
عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله و
زاد بعد قوله يحب الوتر هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق
البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الفتاح العليم
القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير
الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور
العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب
المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت
الاول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي
البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال و
الاكرام المقسط الجامع الغني المغني المعطي المانع الضار
النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور
ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روي من غير وجه
عن ابي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء الا
في هذا الحديث والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسما
في هذا الحديث مدرج فيه وانما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم و
عبد الملك الصنعاني عن نمير بن محمد انه بلغه عن غير واحد من
اهل العلم انهم قالوا ذلك اي انهم جمعوها من القرآن كما روي
عن جعفر محمد وسفيان وابي يزيد اللغوي والله اعلم هذا ما
ذكره العماد بن كثير في تفسيره ثم قال ثم ليعلم ان الاسماء
الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه احمد عن
يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن ابي سلمة الجهني عن القاسم
ابن عبد الرحمن عن ابيه عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم
اني عبدك وابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في
حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت
به نفسك او علمته احدا من خلقك او انزلته في كتابك او
استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع
قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله
همه وحزنه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله الا نتعلمها
فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها وقد اخرجه ابو حاتم بن
حبان في صحيحه وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى
وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال اشتقوا اللات من الله و
اشتقوا العزى من العزيز قال قتادة يلحدون يشركون وقال ابن
ابي طلحة عن ابن عباس الالحاد التكذيب واصل الالحاد في كلام

العرب العدل عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر
لانحرافه الى جهة القبلة عن سمت الحفر قال ابن القيم رحمه الله
وحقيقة الالحاد في الميل بالاشراك والتعطيل والنكران واسماء
الرب تعالى كلها اسماء واوصاف تعرف بها تعالى الى عباده ودلت
على كماله جل وعلا وقال رحمه الله فالالحاد اما بجحدها وانكارها او
اما بجحد معانيها وتعطيلها واما بتحريفها عن الصواب واخراجها
عن الحق بالتاويلات واما ان يجعلها اسماء لهذه المخلوقات
كالحاد اهل الاتحاد فانهم جعلوها اسماء هذا الكون محمودها و
مذمومها حتى قال زعيمهم هو المسمى بجميع كل اسم ممدوح عقلا
وشرعا وعرفا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا انتهى قلت
والذي عليه اهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتاخرهم
اثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله
صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلال الله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها
بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع العليم وان الكلام
في الصفات فرع عن الكلام في الذات يجتذي حذوه ومثاله وكما انه
يجب العلم بان لله ذاتا حقيقة لا تشبه شيئا من ذوات المخلوقين
فله صفات حقيقة لا تشبه صفات المخلوقين فمن جحد شيئا مما وصف
الله به نفسه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم او تاوله على
غير ما ظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين كما
توله ما تولى ونصلة جهنم وساءت مصيرا وقال العلامة ابن
القيم رحمه الله ايضا فائدة جليلة ما يجري صفة او خبرا على الرب
تبارك وتعالى اقسام احدها ما يرجع الى نفس الذات كقولنا ذات
وموجود الثاني ما يرجع الى صفات نعوته كالعليم والقدير و
السميع والبصير الثالث ما يرجع الى افعاله كالخالق والرازق
الرابع التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتا اذ لا كمال في
العدم المحض كالقدوس السلام الخامس ولم يذكره اكثر الناس
وهو الاسم الدال على جملة اوصافه لا تختص بصفة معينة

بل دال

بل دال على معان نحو المجيد العظيم الصمد فان المجيد من اتصف
بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا
فانه موضوع للسعة والكثرة والزيادة فمنه استجد المرخ
والعفار واجد الناقة علفها ومنه رب العرش المجيد صفة
للعرش لسعته وعظمته وشرفه وتامل كيف جاء هذا الاسم
مقترنا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه صلى الله
عليه وسلم بانه في مقام مطلب الزيادة والتعرض لسعة العطاء و
كثرته ودوامه فاتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول
اغفر لي وارحمني انك انت الغفور الرحيم فهو راجع الى التوسل
اليه باسمائه وصفاته وهو من اقرب الوسائل واحبها اليه و
منه الحديث الذي في المسند والترمذي الظوا بياذا الجلال و
الاكرام ومنه اللهم اني اسالك بانك لك الحمد لا اله الا انت
بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فهذا سؤال له وتوسل
اليه بجميع وانه لا اله الا هو المنان فهو توسل اليه باسمائه وصفاته
وما لحق ذلك بالاجابة واعظم موقعا عند المسئول وهذا
باب عظيم من ابواب التوحيد السادس صفة تحصل من اقتران
احد الاسمين والوصفين بالاخر وذلك قدر زائد على مفردهما
نحو الغني الحميد الغفور القدير المجيد المجيد وهكذا الصفات
المقترنة والاسماء المزدوجة في القرآن فان الغني صفة كمال
والحمد كذلك واجتماع الغني مع الحمد كمال اخر فله ثناء من
غنائه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما وكذلك الغفور القدير
والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتامله فانه من اشرف المعارف
قوله باب لا يقال السلام على الله في الصحيح عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا اذا كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو
السلام الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن

مفردهما

ماجة من حديث شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود قال كنا
اذا جلسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام
على الله قبل عباده السلام على فلان و فلان الحديث وفي آخره
ذكر التشهد الاخير ورواه الترمذي من حديث الاسود بن زيد
عن بن مسعود ذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقوله فان
الله هو السلام ومنه السلام وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلثا وقال اللهم انت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وفي
الحديث ان هذا هو تحية اهل الجنة لربهم تبارك وتعالى و
في التنزيل ما يدل على ان الله تبارك وتعالى يسلم عليهم في الجنة كما
قال تعالى سلام قولا من رب رحيم ومعنى قوله ان الله هو السلام
انه تعالى سالم من كل نقص ومن كل تمثيل فهو الموصوف بكل كمال
المنزه عن كل عيب ونقص قال في البدائع السلام اسم مصدر
وهو من الفاظ الدعاء يتضمن الانشاء والاخبار فجهة الخبرية فيه
لا تناقض الجهة الانشائية وهو معنى السلام المطلوب عند
التحية وفيه قولان مشهوران الاول ان السلام هنا هو الله
عز وجل ومعنى الكلام نزلت بركته عليكم ونحو هذا فاختير
في هذا المعنى من اسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من
الاسماء الثاني ان السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب
المدعو به عند التحية ومن حجة اصحاب هذا القول انه ثابت
منكرا فيقول المسلم سلام عليكم ولو كان اسم من اسماء الله
لم يستعمل كذلك ومن حجتهم انه ليس المقصود من السلام
هذا المعنى وانما المقصود منه الايذان بالسلامة خبرا ودعاء
قال العلامة بن القيم رحمه الله وفصل الخطاب ان يقال الحق
في مجموع القولين وكل منهما بعض الحق والصواب في مجموعهما
وانما يتبين ذلك بمقدمة وهي ان من دعى الله باسمائه
الحسنى ان يسئل في مطلوب ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب

المناسب

سلام

المناسب لحصوله حتى ان الداعي متشفع الى الله تعالى متوسل اليه
به فاذا قال رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور
فقد سأله امرين وتوسل اليه باسمين من اسمائه مقتضيين لحصول
مطلوبه وقال لعائشة رضي الله عنها وقد سألته ما تدعو به اللهم اني
ظلمت نفسي ظلما كثيرا وانه لا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة
من عندك انك انت الغفور الرحيم فالمقام لما كان مقام طلب
السلامة التي هي اهم عند الرجل اتى في لفظها بصيغة اسم من
اسماء الله تعالى وهو السلام التي تطلب منه السلامة فتضمن لفظ
السلام معنيين احدهما ذكر الله والثاني طلب السلامة وهو
مقصود المسلم فقد تضمن السلام عليكم اسما من اسماء الله تعالى
وطلب السلامة منه فتامل هذه الفائدة وحقيقة البراءة
والخلاص والنجاة من الشر والعيوب وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه
فمن ذلك قولك سلمك الله وفيه دعاء المؤمنين على الصراط حيث
سلم سلم ومنه سلم الشيء لفلان اي خلص له وحده قال الله تعالى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
اي خالصا له وحده لا يملكه معه غيره ومنه السلم ضد الحرب
لان كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من اذى الآخر ولهذا
بني على المفاعلة فيقال المسالمة المشاركة ومنه القلب السليم
وهو النقي من الدغل والعيب وحقيقته الذي قد سلم لله وحده
فخلص من دغل الشرك ودغل الذنوب والمخالفات بل هو المستقيم
على صدق محبته وحسن معاملته وهذا هو الذي ضمن له النجاة
من عذابه والفوز بكرامته ومنه اخذ الاسلام فانه من هذه
المادة لانه الاستسلام والانقياد لله والتخلص من شوائب
الشرك فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه ليس
فيه شركاء متشاكسون ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين
للمسلم الخالص لربه وللمشرك به قوله باب قول
اللهم اغفر لي ان شئت يعني ان ذلك لا يجوز لورود النهي

كلام

عنه في حديث الباب قوله لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت
اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له
بخلاف العبد فانه قد يعطي السائل مسئلته لحاجته اليه او لخوفه
منه او رجاء فيعطيه مسئلته وهو كاره فاللائق بالسائل
للمخلوق ان يعلق حصول حاجته على مشيئة المسئول مخافة ان
يعطيه وهو كاره بخلاف رب العالمين فانه تعالى لا يليق به ذلك
لكمال غناه عن جميع خلقه وكمال جوده وكرمه وكلهم فقير اليه
محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين وعطاؤه كلام وفي الحديث
يمين ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق
منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه وفي يده
الاخرى القسط يخفضه ويرفعه يعطي تعالى لحكمة ويمنع لحكمة
وهو الحكيم الخبير فاللائق بمن سأل الله ان يعزم المسئلة
فانه تعالى لا يعطي عبده شيئا وهو كاره ولا من اعظم مسئلة
وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه
هو يعظم في عين الصغير صغارها ويصغر في عين العظيم العظائما
واما هو فبالنسبة الى ما في نفوس ارباب الدنيا والا فان العبد
يعطي تارة ويمنع اكثر ويعطي كرها والبخل عليه اغلب
بالنسبة الى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم وانما يعظمه
الله عباده فهو دائم مستمر يجود بالنوال قبل السؤال من حين
وضعت النطفة في الرحم فنمه على الجنين في بطن امه دارة
بوتيه احسن تربيه فاذا وضعته امه عطف عليه ولدنه
وربناه بنعمه حتى يبلغ اشده ويتقلب في نعم الله هذه حياته
فان كانت حياته على الايمان والتقوى ازدادت نعم الله
تعالى عليه اذ توفاه اضعافا اضعاف ما كان عليه في الدنيا
من النعم التي لا يقدر قدرها الا الله مما اعده الله تعالى لعباده
المؤمنين المتقين وكل ما ينال العبد في الدنيا من النعم وان كان

بعضها

بعضها على يد مخلوق فهو باذن الله واراده احسانا الى عبده
فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها فهو الذي شاءها وقدرها
واجراها من كرمه وجوده وفضله فله النعمة وله الفضل
وله الثناء الحسن قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا
مسكم الضر فاليه تجارون وقد يمنع تعالى عبده اذا سأله
لحكمة او علم بما يصلح عبده من العطاء والمنع وقد يؤخر ما
سأله عبده لوقته المقدر او ليعطيه اكثر فتبارك الله رب
العالمين وقوله ولمسلم وليعظم الرغبة اي في سؤاله ربه
حاجته فانه يعطي العظائم كرما ووجودا واحسانا فان الله
لا يتعاظمه شيء اعطاه اي ليس شيء عنده بعظيم وان عظم في
نفس المخلوق لان سائل المخلوق لا يسأله الا ما يهون عليه بذله
بخلاف رب العالمين فان عطاءه كلام انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون فسبحان من لا تقدر المخلوق قدره لا اله
غيره ولا رب سواه قوله باب لا يقال عبدي وامتي
ذكر الحديث الذي في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يقولن احدكم اطعم ربك وضئ ربك وليقل
سيدي ومولاي ولا يقول احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي
وفتاتي وغلامي ش هذه الالفاظ المنهي عنها وان كانت
تطلق لغة فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها تحقيقا للتوحيد
لما فيها من التشريك في اللفظ لان الله تعالى هو رب العباد
جميعهم فاذا اطلق على غيره شاركه في هذا الاسم فنهى عنه
لذلك وان لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف
الله تعالى فالمعنى ان هذا مالك له فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا
الاعتبار فالنهي عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق و
المخلوق وتحقيقا للتوحيد وبعدا عن الشرك حتى في اللفظ و
هذا من احسن مقاصد الشريعة لما فيه من تعظيم الرب تعالى
وبعده عن مشابهة المخلوقين فارشدهم صلى الله عليه وسلم الى ما

يقوم مقام هذه الالفاظ وهو قوله سيدي ومولاي وكذا قوله لا
يقل احدكم عبدي وامتي لان العبيد عبيد الله والاماء اماء الله
قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ففي اطلاق
هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ فنهاهم عن ذلك
تعظيما لله تعالى وادبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد وتحقيقا
وارشده الى ان يقول فتاي وفتاتي وغلامي وهذا من باب حماية
المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد فقد بلغ صلى الله عليه وسلم
امته كل ما لهم فيه نفع ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين فلا خير
الا دلهم عليه ولا شر الا حذرهم عنه صلوات الله وسلامه عليه خصوصا
ما يقرب من الشرك لفظا وان لم يقصد وبالله التوفيق باب
لا بد من سأل بالله ظاهر الحديث النهي عن رد السائل بالله كان
هذا العموم يحتاج الى تفصيل بحسب ما ورد في الكتاب والسنة
فيجب اذا سأل السائل ماله فيه حق كبيت المال فيعطى منه على قدر
حاجته وما يستحقه وكذلك اذا سئل المحتاج من في ماله فضل
فيجب ان يعطيه على حسب حاله ومسألته واما اذا سئل من لا
عنده فيستحب ان يعطيه على قدر حال المسئول ما لا يضره ولا يضر
عائلته وان كان مضطرا وجب ان يعطيه ما يدفع ضرورته
ومقام الانفاق من اشرف مقامات الدين وتفاوت الناس فيه
بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود وضدهما من البخل والشح
فالاول محمود في الكتاب والسنة والثاني مذموم فيهما وقد حث
تعالى عباده على الانفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه قال
تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا
لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الى قوله والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم وقال تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه وذلك الانفاق في خصال البر المذكورة
في قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر الآية فذكره بعد اصول الايمان وقبل

ذكر

ذكر الصلاة وذلك والله اعلم لتعدي نفعه وذكره تعالى الاعمال التي
امرهم بها عباده وتعبدهم بها ووعدهم عليها الاجر العظيم قال تعالى
ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات
الى آخر الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث اصحابه على الصدقة
حتى النساء نصحا للامة وحثا لهم على ما ينفعهم عاجلا واجلا وقد
اثنى الله سبحانه على الانصار رضي الله عنهم بالايثار فقال ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية والايثار من افضل خصال
المؤمن كما تفيده هذه الآية الكريمة وقال تعالى ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا والآيات والاحاديث في فضل الصدقة كثيرة
جدا ومن كان سعيه للدار الآخرة رغب في هذا ورغب وبالله
التوفيق قوله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سأل بالله فاعطوه
ومن دعاكم فاجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان
لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه
رواه ابو داود بسند صحيح قوله ومن دعاكم فاجيبوه هذا
من حقوق المسلمين بعضهم على بعض اجابة دعوة المسلم وتلك
من اسباب الالفة والمحبة بين المسلمين قوله ومن صنع اليكم
معروفا فكافئوه ندبهم صلى الله عليه وسلم على المكافأة على المعروف فان
المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
كما دل على هذا الحديث ولا يهمل المكافأة على المعروف الا اللئام من
الناس بكافئ على الاحسان بالاساءة كما يقع ذلك كثيرا من بعضهم
نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة بخلاف حال اهل التقوى
والايمان فانهم يدفعون بالحسنة السيئة طاعة لربهم ومحبة لما
يحبه ويرضاه كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما
يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب
ان يحضرون وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه

علاقة كانه ولي حميم الآية وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة
قوله فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له الى آخره ارشدهم صلى الله عليه وسلم
الى الدعاء في حق من لم يجد المكافات مكافات للمعروف فندعوا له
على حسب معروفه قوله حتى تروا بضم التاء اي تظنوا انكم قد كافيتموه
ويحتمل انها مفتوحة بمعنى تعلموا ويؤيده ما في سنن ابي داود
في حديث ابن عمر حتى تعلموا فتعين الثاني للتصريح به وفيه ومن
سألكم بالله فاجيبوه اي الى ما سئل فتكون بمعنى اعطوه وعند
ابي داود في رواية ابي نهيك عن ابن عباس من سألكم بوجه الله
فاعطوه وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث ومن سألكم
بالله كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما باب لا يسئل بوجه
الله الا الجنة ذكر فيه حديث جابر رفعه ابو داود عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسئل بوجه الله الا الجنة
وهنا سؤال وهو انه قد ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند
منصرفه من الطائف مكة فدعا صلى الله عليه وسلم بالدعاء
المأثور اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وفي آخره
اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات والحديث للروياني
في الاذكار اللهم انت احق من ذكر واحق من عبد وفي آخره اعوذ
بنور وجهك الذي اشرقت له السموات والارض وفي وجه آخر
اعوذ بوجه الله الكريم وباسم الله العظيم وكلماته التامة
من شر السامة واللامة ومن شر ما خلقت اي رب ومن شر
هذا اليوم ومن شر ما بعده وشر الدنيا والاخرة وامثال ذلك
في الاحاديث المرفوعة بالاسانيد الصحيحة او الحسان فالجواب
ان ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب الى الجنة وما يمنعه
من الاعمال التي تمنعه من الجنة فيكون قد سئل بوجه الله وبنور
وجهه ما يقرب الى الجنة كما في الحديث الصحيح اللهم اني اسئلك
الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما يقرب
اليها من قول وعمل بخلاف ما يختص بالدنيا كسؤاله المال والرزق

والسعة

والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا مع قطع النظر عن كونه اراد
بذلك ما يعينه على عمل الاخرة فلا ريب ان الحديث يدل على المنع
من ان يسئل حوائج دنياه بوجه الله وعلى هذا فلا تعارض بين
الاحاديث كما لا يخفى والله اعلم وحديث الباب من جملة الادلة
المتواترة في الكتاب والسنة على اثبات الوجه لله تعالى فانه
صفة كمال وسلبه غاية النقص والتشبيه بالناقصات كسلبه
جميع الصفات او بعضها فوقعوا في اعظم مما فروا منه تعالى الله عما
يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا وطريقة اهل السنة والجماعة
سلفا وخلفا الايمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه
به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته
فيثبتون ما اثبته لنفسه في كتابه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم
وينفون عنه مشابهة المخلوق فكما ان ذات الرب تعالى لا تشبه الذوات
فصفاته كذلك لا تشبه فمن نفاها فقد سلبه الكمال قوله باب
ما جاء في اللواتي من النهي عنه عند الامور المكروهة كالمصائب اذا
جرى بها القدر لما فيه من الاشعار بعدم الصبر والاسى على ما فات
مما لا يمكن استدراكه فالواجب التسليم للقدر والقيام بالعبودية
الواجبة وهو الصبر على ما اصاب العبد مما يكره والايمان بالقدر
اصل من اصول الايمان الستة وادخل المصنف رحمه الله ادات
التعريف على لو وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفا كنظائرها الا ان
المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر رايت اليزيدين اليزيد مباركا
البيت قوله وقول الله تعالى يقولون لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا ههنا قالم بعض المنافقين يوم احد لخوفهم و
جزعهم وخورهم قال من اسند فذكر ثني يحيى بن عباد بن عبد الله
ابن الزبير عن ابيه عن عبد الله بن الزبير قال قال الزبير لقد
رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا
ارسل الله علينا النوم فما من رجل الا ذقنه في صدره قال فوالله اني
لاسمع قول معتب بن قشير ما اسمعه الا كالحلم لو كان لنا من

الصفات ٥

الامر شيء ما قتلنا ههنا فحفظها منه وفي ذلك انزل الله عز وجل
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا القول معتب
ابن ابي حاتم قال الله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم اي هذا قدر مقدر من الله عز وجل وحكم حتم
لازم لا محيد عنه ولا مناص منه قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا
الآية وقال العوفي عن ابن عباس الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا
ما قتلوا اي لو سمعوا مشاورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما
قتلوا مع من قتل قال الله تعالى فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين اي اذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت
فينبغي لكم ان لا تموتوا والموت لابد آت اليكم ولو كنتم في بروج
مشيدة فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين قال مجاهد
عن جابر بن عبد الله نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي يعني انه هو
الذي قال ذلك واخرج البيهقي عن انس ان ابا طلحة قال غشينا
النعاس ونحن في مصافنا يوم احد فجعل سيفي يسقط من يدي
وآخذه ويسقط وآخذه وقالت الطائفة الاخرى المنافقون
ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارغبه واخذله للحق يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية انا هاهم اهل ريب وشك بالله عز وجل
قوله قد اهمتهم انفسهم يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع
والخوف يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية قال شيخ الاسلام
رحمه الله لما ذكر ما وقع من عبد الله بن ابي في غزوة احد قال
فلما انخذل يوم احد وقال يطيع رأيي ويرأيه ويأخذ برأي
الصبيان او كما قال انخذل معه خلق كثير كانوا كثيرا منهم لم ينافق
قبل ذلك فاولئك كانوا مسلمين وكان معهم ايمان هو الضوء
الذي ضرب الله به المثل فلما ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على
الاسلام ولم يكونوا مؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا ولا من
المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الايمان بالمحنة وهذا حال كثير
من المسلمين في زماننا او اكثرهم اذا ابتلوا بالمحنة التي يتضعضع
فيها

فيها اهل الايمان ينقص ايمانهم كثيرا وينافق كثيرا منهم ومنهم
من يظهر الردة اذا كان العدو غالبا وقد رأينا من هذا
ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة واذا كانت العافية او كان
المسلمون ظاهرون على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون
بالرسل باطنا وظاهرا لكن ايمان لا يثبت على المحنة ولهذا
يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من
الذين قالوا امنا فقيل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما
يدخل الايمان في قلوبكم اي الايمان المطلق الذي اهله هم المؤمنون
حقا فان هذا هو الايمان اذا اطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه
الكتاب والسنة فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الايمان
من القلوب انتهى قوله وقد رأينا من هذا وغيرنا ما فيه عبرة
قلت ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو
من اعانتهم العدو على المسلمين والطعن في الدين واظهار العداوة
والشماتة وبذل الجد في اطفاء نور الاسلام وذهاب اهله وغير
ذلك مما يطول ذكره والله المستعان قوله في الصحيح اي صحيح
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان
اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن
قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان اخرجه
المصنف هذا الحديث وتمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير
احرص على ما ينفعك اي في معاشك ومعادك والمراد الحرص على
فعل الاسباب التي تنفع العبد في دنياه واخراه مما شرعه الله تعالى
لعباده من الاسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد
في حال فعله السبب مستعينا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم
له سببه وينفعه ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك لانه تعالى
هو الذي خلق السبب والمسبب ولا ينفعه سبب الا اذا نفعه الله

فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى ففعل السبب سنة
والتوكل على الله توحيد فاذا جمع بينهما تم له مراده باذن الله
قوله ولا تعجزن النون نون التاكيد الخفيفة نهاه صلى الله عليه وسلم
عن العجز وذمه والعجز مذموم شرعا وعقلا وفي الحديث الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله الاماني فارشده صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث اذا اصابه ما يكره فلا يقل لو اني فعلت كذا لكان كذا
وكذا ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل اي هذا قدر الله
والواجب التسليم للقدر والرضا به واحتساب الثواب قوله
فان لو تفتح عمل الشيطان اي لما فيها من التاسف على ما فات
والتحسر ولوم القدر وذلك ينافي الصبر والرضا والصبر
واجب والايمان بالقدر فرض قال تعالى ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك
على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله
لا يحب كل مختال فخور قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي
الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وقال الامام
احمد رحمه الله ذكر الله الصبر في تسعين موضعا من القران قال
شيخ الاسلام وذكر حديث الباب بتمامه ثم قال في معناه
لا تعجز عن مامور ولا تجزع من مقدور ومن الناس من يجمع كلا
الشرين فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على النافع والاستعانة
بالله والامر يقتضي الوجوب والاقل الاستحباب ونهى عن العجز
وقال ان الله يلوم على العجز والعاجز ضد الذين هم ينتصرون
فالامر بالصبر والنهي عن الجزع مامور به في مواضع كثيرة
وذلك لان الانسان تبين امرين امر امر بفعله فعليه ان
يفعله ويحرص عليه ويستعين الله ولا يعجز وامر اصيب به
من غير فعله فعليه ان يصبر عليه ولا يجزع منه ولهذا قال
بعض العقلا ابن المقفع او غيره الامور امران امر فيه حيلة

فلا

فلا تعجز عنه وامر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وهذا في جميع
الامور لكن عند المؤمن الذي فيه حيلة هو ما امر الله به واوجبه
له فان الله لم يامره الا بما فيه حيلة اذ لا يكلف الله نفسا الا
وسعها وقد امره بكل خير له فيه حيلة وما لا حيلة فيه هو
ما اصيب به من غير فعله واسم الحسنات والسيئات يتناول
قسميه فالافعال مثل قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ومثل قوله تعالى ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ومثل قوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها ومثل قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
الى ايات كثيرة من هذا الجنس والله اعلم والقسم الثاني ما يجري
على العبد بغير فعله من النعم والمصايب كما قال تعالى ما اصابك من
حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك والاية قبلها
فالحسنة في هاتين الايتين النعم والسيئة المصايب وهذا هو
الثاني من القسمين واظن شيخ الاسلام ذكر في هذا الموضع
ولعل الناسخ اسقطه والله اعلم ثم قال رحمه الله تعالى فان
الانسان ليس مامورا ان ينظر الى القدر عند ما يؤمر به من
الافعال ولكن عند ما يجري عليه من المصايب التي لا حيلة له في
دفعها فما اصابك بفعل الادميين او بغير فعلهم فاصبر عليه
وارض وسلم قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن
يؤمن بالله يهد قلبه وهذا قال ادم لموسى اتلومني على امر قدره الله
علي قبل ان اخلق باربعين سنة فحج ادم موسى لان موسى
قال له لم اخرجتنا ونفسك من الجنة فلامه على المصيبة التي
حصلت بسبب فعله لا لاجل كونها ذنبا واما كونه لاجل الذنب
كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادا بالحديث فان آدم عليه
السلام كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له
ولا يجوز لوم التائب باتفاق انتهى قال العلامة ابن القيم رحمه الله
تعالى فتضمن هذا الحديث الشريف اصولا عظيمة من اصول الايمان

به ص

الناس ص

احدها ان الله سبحانه موصوف بالمحبة وانه يحب حقيقة الثاني
انه يحب مقتضى اسمائه وصفاته وما يوافقها فهو القوي
ويحب المؤمن القوي وهو وتر يحب الوتر وجميل يحب الجمال
وعليم يحب العلماء ونضيف يحب النضافة ومؤمن يحب
المؤمنين ومحسن يحب المحسنين وصابر يحب الصابرين و
شاكر يحب الشاكرين ومنها ان محبته للمؤمنين تتفاضل
فيحب بعضهم اكثر من بعض ومنها ان سعادة الانسان
في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل
الجهد واستفراغ الوسع فاذا صادف ما ينتفع به الحريص
كان حرصه محمودا وكماله كله في مجموع هذين الامرين ان
يكون حريصا وان يكون حرصه على ما ينتفع به فان حرص
على ما لا ينفعه او فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من
الكمال بقدر ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع
ولما كان حرص الانسان وفعله انما هو بمعونة الله ومشيئته
وتوفيقه امره ان يستعين بالله ليجتمع له مقام اياك نعبد
واياك نستعين فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله تعالى
ولا يتم الا بمعونته فامره ان يعبده وان يستعين به فالحرص
على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز هذا ارشاد له
قبل وقوع المقدور الى ما هو من اعظم اسباب حصوله وهو
الحرص عليه مع الاستعانة بمن ازمة الامور بيده ومصدرها
منه ومورودها اليه فان فاته ما لم يقدر له فلم حالتان
عجز وهو مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز الى لو ولو افادة
في لو هنا هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والاسف والحزن
وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح
عمله بهذا الافتتاح وامره بالحالة الثانية وهي النظر الى القدر
وملاحظته وانه لو قدر لم يفته ولم يغلبه عليه احد فلم يبق له
ههنا انفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب

وجود

وجود المقدور وان انتفت امتنع وجوده ولهذا قال فان
غلبك امر فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل
قدر الله وما شاء فعل فارشده الى ما ينفعه في الحالتين
حالة حصول مطلوبه وحالة فواته فلهذا كان الحديث
مما لا يستغني عنه العبد ابدا بل هو اشد ضرورة وهو يتضمن
اثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهرا
وباطنا في حالة حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق
انتهى قوله باب النهي عن سب الريح لانها انما
تهب عن ايجاد الله تعالى وخلقه لها وامره لانه هو الذي
اوجدها وامرها فنسبتها مسببة للفاعل وهو الله سبحانه كما
تقدم النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه ولا يفعله الا اهل الجهل
بالله ودينه وبما شرعه لعباده فنهى صلى الله عليه وسلم اهل
الايمان عما يقوله اهل الجهل والجفاء وارشدهم الى ما يجب
ان يقال عند هبوب الرياح فقال اذا رايتم ما تكرهون فقولوا
اللهم انا نسئلك من خير هذه الريح وخير ما فيها يعني اذا رايتم
ما تكرهون من الريح اذا هبت فارجعوا الى ربكم بالتوحيد و
قولوا اللهم انا نسئلك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما
فيها وخير ما امرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها
وشر ما امرت به ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله صلى الله
عليه وسلم واستدفاع للشر وما به وتعرض للفضله ونعمته وهذه
حال اهل التوحيد والايمان خلافا لحال اهل الفسوق والعصيان
الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الايمان قوله
باب قوله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن
تقدم ما فيه من ان الامر كله لله والاية
وهذه الاية ذكرها الله تعالى في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة
احد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم
يعني اهل الايمان والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون

لعله هذا

بان الله تعالى ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينجز له ما موله ولهذا
قال وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني لا يغشاهم النعاس من
القلق والجزع والخوف يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية كما قال
تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا
وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا و
هكذا هؤلاء اعتقدوا ان المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا
انها الفيصلة وان الاسلام قد باد واهله وهذا شان اهل
الريب والشك اذا حصل لهم من الامور الفضيعة تحصل لهم
هذه الامور الشنيعة عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن ابي
قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل لنا من الامر من شيء قال العلامة
ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على ما تضمنته وقعة احد
وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بانه لا ينصر رسوله
وان امره سيضمحل وفسر ظنهم انما اصابهم لهوانهم بقضاء الله
وقدره ولا حكمة له فيه ففسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار
ان يتم امر رسوله صلى الله عليه وسلم ويظهره على الدين كله هذا
هو الظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم
واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وانما كان هذا هو ظن السوء
وظن الجاهلية وهو المنسوب الى اهل الجهل وظن غير الحق لانه
ظن غير ما يليق باسمائه الحسنى وصفاته العلى وذاته المنزهة من
كل عيب وسوء وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالالهية
وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت
لرسله انه ينصرهم ولا يخذلهم ويجنده بانهم هم الغالبون فمن
ظن به انه لا ينصر رسوله ولا يتم امره ولا يؤيده ويؤيد حزبه
ويعليهم ويظفرهم وانه لا ينصر دينه وكتابه وانه يديل الشرك
على التوحيد اداة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا
لا يقوم بعده ابدا فقد ظن به السوء ونسبه الى خلاف ما يليق
بجلاله وكماله وصفاته ونعوته فان حمده وعزته والهيته تابى

باعدائهم ص

الذي ظنه المنافقون والمشركون

ذلك وتابى ان يذل حزبه وجنده وان تكون النصرة المستقرة
والظفر الدائم لاعدائه المشركين به العادلين به فمن ظن به ذلك
فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته وكذلك من انكر ان يكون
قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق
الحمد عليها وان ذلك اغا صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة و
غاية مطلوبة هي احب اليه من فواتها واوه تلك الاسباب المكروهة
المقتضية لها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لافضائها الى ما يحب و
ان كانت مكروهة له فما قدرها سدى ولا شاءها عبثا ولا خلقها
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار واكثر
الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختصهم وفيما يفعله
بغيرهم ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله وعرف اسماءه و
صفاته وموجب حكمته وحمده فمن قنط من رحمته وايس من
روحه فقد ظن به ظن السوء ومن جوز عليه ان يعذب اولياءه
مع احسانهم واخلاصهم وسوى بينهم وبين اعدائه فقد ظن به
ظن السوء ومن ظن انه يترك خلقه سدى معطلين عن الامر
والنهي ولا يرسل اليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملا
كالانعام ومن ظن ان لن يجمعهم بعد موتهم للثواب والعقاب
في دار يجازي المحسن باحسانه والمسيئ باساءته ويبين
لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه و
صدق رسله وان اعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن انه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه على
امتثال امره ويبطله عليه بلا سبب من العبد وانه يعاقبه بما
لا صنع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا ارادة له في حصول ما
يعاقبه على فعله هو سبحانه به او ظن به انه يجوز عليه ان يؤيد
اعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها انبياءه ورسله
ويجريها على ايديهم ليضلوا بها عباده وانه يحسن منه كل شيء حتى

يعذب من افنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم في اسفل سافلين و
ينعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه
الى اعلا عليين وكلا الامرين في الحسن سواء عنده ولا يعرف في شيء
احدهما ووقوع الاخر الا بخبر صادق والا فالعقل لا يقضي بقبح
احدهما وحسن الاخر فقد ظن به ظن من ظن انه اخبر عن
نفسه وصفاته وافعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل وترك
الحق لم يخبر به واغار من اليه رموزا بعيدة واشار اليه اشارات
ملغزة لم يصرح بها به وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل والباطل
واراد من خلقه ان يتعبوا اذهانهم وقواهم وافكارهم في
تحريف كلامه عن مواضعه وثنا ويله على غير ثاويله ويتطلبوا
وجوه الاحتمال المستكرهة والتاويلات والاحاجي اشبه منها
بالكشف والبيان واحالهم في معرفة اسمائه وصفاته على عقولهم واراثهم
لا على كتابه بل اراد منهم ان لا يحملوا كلامه على ما يعرفونه من خطابهم
ولغتهم مع قدرته على ان يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به
ويريحهم من الالفاظ التي توقعهم في الاعتقاد الباطل فلم يفعل بل
سلك بهم طريق الهدى والبيان فقد ظن به ظن السوء فانه ان
قال انه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي
عبر به هو ورسله فقد ظن بقدرته العجز وان قال انه
قادر ولم يبين وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق الى
ما اوهم بل توقع في الباطل الذي اعتقده اضداده فقد ظن بحكمته
ورحمته ظن السوء ومن ظن انه ورسله عبروا عن الحق بصريح
دون الله ورسوله واين الهدى والحق في كلامه وعبارتهم
واما كلام الله فانما اوجد من ظاهره التشبيه والتمثيل والباطل
وظاهره كلام المتهوكين الحيارى والملحدين والحق في هذا
من سوء الظن بالله فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء
ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية ومن ظن به انه يكون
في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على ايجاده وتكوينه فقد ظن به

تهم

ظن السوء ومن ظن انه كان معطلا من الازل الى الابد عن ان
يفعل ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ثم صار قادرا عليه
بعد ان لم يكن قادرا فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه لا
يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات في الاعيان فقد ظن به
ظن السوء ولا عدد السموات ولا النجوم ولا بني آدم وحركاتهم
وافعالهم ولا يعلم شيئا من الموجودات في الاعيان فقد ظن به
ظن السوء ومن ظن به انه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا
ارادة ولا كلام يقوم به وانه لا يكلم احدا من الخلق ولا يتكلم
ابدا ولا قال ولا يقول ولا له امر ولا نهي فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن به انه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه
وان نسبة ذاته تعالى الى عرشه كنسبتها الى اسفل سافلين والى
الامكنة التي يرغب عن ذكرها وانه اسفل كما انه اعلى وان من
قال سبحان ربي الاسفل كان كمن قال سبحان ربي الاعلى فقد ظن
به اقبح الظن واسوءه ومن ظن انه يحب الكفر والفسوق و
العصيان ويحب الفساد كما يحب الايمان والبر والطاعة
والاصلاح فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه لا يحب ولا
يرضى ولا يغضب ولا يسخط ولا يوالي ولا يعادي ولا يقرب
من احد من خلقه ولا يقرب منه احد وان ذوات الشياطين
في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين واوليائه المفلحين
فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه يسوي بين المتضادين
او يفرق بين المتساويين من كل وجه او يحبط طاعات العمر المديد
الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها فيخلد فاعل تلك
الطاعات في الجحيم ابد الآبدين بتلك الكبيرة ويحبط بها جميع
طاعاته ويخلده في العذاب كما يخلد من لم يؤمن به طرفة عين
واستنفد ساعات عمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه
فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه ولد له شريكا او اتخذ
احدا يشفع عنده بدون اذنه او ان بينه وبين خلقه وسائط

يرفعون حوائجهم اليه وانه نصب لعباده اولياء من دونه
يتقربون بهم اليه ويتوسلون بهم اليه ويجعلونهم وسايط بينه
وبينهم فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به اقبح الظن
واسوءه ومن ظن به انه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته كما
ينال بطاعته والتقرب اليه فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب
اسمائه وصفاته وهو من ظن السوء ومن ظن به انه اذا ترك
شيئا لاجله لم يعوضه خيرا منه او من فعل شيئا لاجله لم يعطه
افضل منه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه يغضب على
عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد الا مجرد
المشيئة ومحض الارادة فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به
انه اذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع اليه وسأله واستعان
به وتوكل عليه انه يخيبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن به ظن
السوء وظن به خلاف ما هو اهله ومن ظن به انه يثيبه
اذا عصاه كما يثيبه اذا اطاعه وسأله ذلك في دعائه فقد
ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده وخلاف ما هو اهله
وما لا يفعله ومن ظن به انه اذا اغضبه واسخطه واوضع
في معاصيه ثم اتخذ من دونه اولياء ودعى من دونه ملكا
او بشرا حيا او ميتا يرجو بذلك انه ينفعه عند ربه ويخلصه
من عذابه فقد ظن به ظن السوء فاكثر الخلق بل كلهم الا من شاء
الله يظنون بالله غير الحق وظن السوء فان غالب بني ادم يعتقد
انه مبخوس الحق ناقص الحظ وانه يستحق فوق ما نشاء الله
ولسان حاله يقول ظلمني ربي ومنعني ما استحقه ونفسه تشهد
عليه بذلك وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ومن
فتش نفسه وتغلغل في معرفة طوايا ها رأى ذلك فيها كامنا
كمون النار في الزناد فاقدح تر زنادا من شئت بنيك شراره عما
في زناده ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر

وملامة

وملامة له واقتراحا له خلاف ما جرى به وانه كان ينبغي ان يكون
كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل انت سالم فان نجا
منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا فليعتن اللبيب
الناصح لنفسه بهذا الموضع وليتب الى الله ويستغفره في كل
وقت من ظنه بربه ظن السوء وليظن السوء بنفسه التي هي منبع
كل سوء ومنبع كل شر المركبة على الجهل والظلم فهي اولى بظن السوء
من احكم الحاكمين واعدل العادلين وارحم الراحمين الغني الحميد
الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة المنزه عن كل سوء
في ذاته وصفاته وافعاله واسمائه فذاته لها الكمال المطلق من
كل وجه وصفاته كذلك وافعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة و
عدل واسماؤه كلها حسنى

فلا تظن بربك ظن سوء ... فان الله اولى بالجميل
ولا تظن بنفسك قط خيرا ... فكيف بظالم جان جهول
وقل يا نفس مأواك كل سوء ... اترجي الخير من بيت بخيل
وظن بنفسك السوء تجدها ... كذلك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقي فيها وخير ... فتلك مواهب الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن ... من الرحمن فاشكر للدليل

قوله الظانين بالله ظن السوء قال ابن جرير في تفسيره
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله
ظن السوء الظانين بالله انه لن ينصرك واهل الايمان بك على اعدائك
وان يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به وذلك كان ا
لسوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع يقول تعالى ذكره
على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين يظنون هذا
الظن دائرة السوء يعني دائرة العذاب تدور عليهم به واختلفت
القراءة في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة دائرة السوء
بفتح السين وقرأ بعض قراء البصرة دائرة السوء بضم السين
وكان الفراء يقول الفتح افشى في السين وقل ما تقول العرب دايرة

السوء بضم السين وغضب الله عليهم يقول ونالهم بغضب منه
ولعنهم يقول وابعدهم فاقصاهم من رحمته واعدلهم جهنم يصلونها
يوم القيمة وساءت مصيرا يقول وساءت جهنم منزلا يصيرون
اليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات وقال
العماد بن كثير ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء اي يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يقتلوا ويذهبوا بالكلية وهذا
قال تعالى عليهم دائرة السوء وذكر في معنى الاية الاخرى نحوا مما
ذكره ابن جرير رحمهما الله تعالى قوله قال ابن القيم رحمه الله تعالى
الذي ذكره المصنف رحمه الله في المتن قدمته لاندراجه في كلامه
الذي سقته من اوله الى اخره باب ما جاء في
منكري القدر اي من الوعيد الشديد ونحو ذلك اخرج ابو
داود عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن ابن عمر رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا
فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وعن عمر مولى غفرة
رجل من الانصار عن حذيفة رضي الله عنه وهو ابن اليمان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة
الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن
مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله ان
يلحقهم بالدجال وقوله قال ابن عمر والذي نفسي بيده حديث حسن
غريب هذا اخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وروى ابن ماجة
عن يحيى بن يعمر قال كان اول من تكلم في القدر بالبصرة معبد
الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين
او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق الله لنا
عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي فظننت

ان صاحبي

القراءة

ان صاحبي سيكل الكلام الي فقلت يا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا
اناس يقرؤن القرآن ويتقفرون العلم يزعمون ان لا قدر والامر انف
فقال فاذا لقيت اولئك فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء
مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا
فانفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر
لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه و
قال يا محمد اخبرني عن الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم
الصلاة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت
اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني
عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني
عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من
السائل قال فاخبرني عن امارتها قال ان تلد الامة ربتها وان
ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان
قال فانطلق فلبثت ثلاثا وفي رواية مليا ثم قال يا عمر اتدري
من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل اتاكم
يعلمكم دينكم ففي هذا الحديث ان الايمان بالقدر من اصول
الايمان الستة المذكورة فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره
فقد ترك اصلا من اصول الدين وجحده فيشبه من قال الله
فيهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الاية
عبادة من الصامت قد تقدم ذكره في باب فضل التوحيد و
حديث هذا رواه ابو داود ورواه الامام احمد بكماله قال

قال ص

مسلم ص

خ

الايمان

حدثنا الحسن بن سوار ثنا ليث عن معاوية عن ايوب بن زياد
ثني عبادة بن الوليد بن عبادة ثني ابي قال دخلت على عبادة
وهو مريض اتخايل فيه الموت فقلت يا ابتاه اوصني واجتهد لي
فقال اجلسوني قال يا بني انك لن تجد طعم الايمان ولن تبلغ
حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا ابتاه
وكيف اعلم ما خير القدر وشره قال تعلم ان ما اخطاك
لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك يا بني اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال
له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيمة يا بني
ان مت ولست على ذلك دخلت النار رواه الترمذي بسنده
المتصل الى عطاء بن ابي رباح عن الوليد بن عبادة عن ابيه وقال
حسن صحيح غريب وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله
تعالى واحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والاخرة كما قال تعالى
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما وقد قال الامام احمد رحمه الله تعالى لما سئل عن القدر
قال القدر قدرة الرحمن واستحسن هذا ابن عقيل من احمد رحمه
الله تعالى والمعنى انه لا يمتنع عن قدرة الله شيء ونفاة القدر
قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى فضلوا عن سواء السبيل وقد قال
بعض السلف ناظروهم بالعلم فان اقروا به خصموا وان جحدوه
كفروا بقوله وفي المسند وسنن ابي داود عن بن الديلمي وهو ابو بسر
بالسين المهملة وبالباء المضمومة ويقال ابو بشر بالشين المعجمة
وكسر الباء وبعضهم صحح الاول واسمه عبد الله ابن ابي فيروز ولفظ
ابي داود قال لو ان الله عذب اهل سمواته واهل ارضه عذبهم
وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو
انفقت مثل احد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر و
تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك

ولو مت

ولو مت على غير هذا لكنت من اهل النار قال فاتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
فقال مثل ذلك قال ثم اتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك قال
ثم اتيت زيد بن ثابت قال فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل
ذلك واخرجه بن ماجة وقال العباد بن كثير عن رجل عن علي رضي
عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل عن علي بن ابي طالب الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع
يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث
بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره وكذا رواه الترمذي عن
النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به ورواه من حديث ابي
داود الطيالسي عن شعبة عن ربعي عن علي فذكره وقد ثبت في صحيح
مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن ابي هانئ الخولاني عن
ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة زاد بن وهب وكان عرشه على الماء
ورواه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكل هذه الاحاديث
وما في معناها وما فيها من الوعيد الشديد على عدم الايمان بالقدر
وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ومن مذهبهم تخليد
اهل المعاصي في النار وهذا الذي اعتقدوه من اكبر الكبائر واعظم
المعاصي وفي الحقيقة اذا اعتبرنا اقامة الحجة عليهم بما تواترت
به نصوص الكتاب والسنة من اثبات القدر فقد حكموا على
انفسهم بالخلود في النار ان لم يتوبوا وهذا لازم لهم على مذهبهم
هذا وقد خالفوا ما تواترت به ادلة الكتاب والسنة من اثبات
القدر وعدم تخليد اهل الكبائر من الموحدين في النار قوله
باب ما جاء في [illegible] اي من عظيم عقوبة الله
لهم وعذابه وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلة وهي المضاهاة
بخلق الله لان الله تعالى له الخلق والامر فهو رب كل شيء ومليكه
وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات وجعل فيها

الارواح التي تحصل بها الحياة كما قال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه
وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون فالمصور لما صور الصورة على
شكل ما خلقه الله تعالى من انسان او بهيمة صار مضاهيا لخلق الله
فصار ما صوره عذابا له يوم القيمة وكلف ان ينفخ فيها الروح
وليس بنافخ فكانه اشد الناس عذابا لانه ذنبه من اكبر الذنوب
فاذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من
الحيوان فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه
بخلقه ووصف له شيئا من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه
وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه
فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه
وجعله شريكا له فيما اختص به تعالى وتقدس هو اعظم عصي الله
تعالى به ولهذا ارسل رسله وانزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي
عنه واخلاص العبادة بجميع انواعها لله تعالى فنجى الله تعالى رسله
ومن اطاعهم واهلك من جحد التوحيد واستمر على الشرك والشدائد
فما اعظم من ذنب ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير
او تهوي به الريح في مكان سحيق قوله ولمسلم عن ابي الهياج الاسدي
حيان بن حصين قال قال لي علي هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته فيه التصريح
بان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عليا لذلك اما الصور فلمضاهاتها
لخلق الله تعالى واما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بارتيادها
وتعظيمها وهو من ذرائع الشرك ووسائله فصرف الهمم الى هذا
وامثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته ولما وقع

تساهل

التساهل في هذه الامور وقع المحذور وعظمت الفتنة بارتياد القبور
وصارت محط رحال العابدين المعظمين لها فصرفوا لها اجل العبادة
من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والذبح لها والنذور وغير ذلك من كل شرك محرم محظور قال العلامة ابن
القيم رحمه الله تعالى ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القبور وما امر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما
عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضادا للآخر مناقضا له بحيث
لا يجتمعان ابدا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور
وهؤلاء يصلون عندها واليها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمون بها مشاهد مضاهاة لبيوت
الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على
ايقاد القناديل عليها ونهى ان تتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها
اعيادا ومناسك يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد او اكثر وامر
بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن ابي الهياج الاسدي فذكر
حديث الباب وحديث ثمامة بن شفي وهو عند مسلم ايضا قال
كنا مع فضالة بن عبيد بارض الروم برودس فتوفي صاحب لنا
فامر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامر بتسويتها وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين و
يرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى
عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم في صحيحه عن جابر
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر وان يعقد عليه
وان يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها كما روى ابو داود في سننه
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تجصيص القبور وان
يكتب عليها قال الترمذي حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون
عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى ان يزاد عليها
غير ترابها كما روى ابو داود عن جابر ايضا نهى ان يجصص القبر
او يكتب عليه او يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والاجص

قال نهى ص

والحض قال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون الآجر على قبورهم والمقصود
ان هولاء المعظمين للقبور المتخذين عليها اعياد المواقد عليها
السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب ضاقوا قضوا لما
امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم محادوه لما جاء به واعظم ذلك
اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح
الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم بتحريمه قال ابو محمد المقدسي
ولوابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه افراطا
في تعظيم القبور اشبه تعظيم الاصنام قال ولا يجوز اتخاذ المساجد
على القبور لهذا الخبر ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله
اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا متفق
عليه ولان تجصيص القبور يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها
والتقرب اليها وقد رأينا ان ابتداء عبادة الاصنام تعظيم
الاموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها انتهى
وقال الامر بهؤلاء الضلال المشركين الى ان شرعوا للقبور
حجا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا
وسماه مناسك حج المشاهد مضاهات منه بالقبور للبيت
الحرام ولا يخفى ان هذا مفارقة لدين الاسلام ودخول في دين
عباد الاصنام فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور
وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه ولا ريب ان في ذلك من المفاسد
ما يعجز عن حصره فمنها تعظيمها الموقع في الافتتان بها ومنها
اتخاذها اعيادا ومنها السفر اليها ومنها مشابهة عباد
الاصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها
وتعليق الستور عليها وسدانتها وعبادها يرجحون المجاورة
عندها على المجاورة عند المسجد الحرام فيرون سدانتها افضل
من خدمة المساجد والويل لقيمها ليلة يطفئ القنديل المعلق

عليها

عليها ومنها النذر لها ولسدنتها ومنها اعتقاد المشركين بها
ان بها يكشف البلاء وينصر على الاعداء ويستنزل غيث السماء وتفرج الكروب وتقضى الحوائج وينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير ذلك ومنها الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج عليها ومنها الشرك الاكبر الذي يفعل عندها ومنها ايذاء اصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهية كما ان المسيح عليه السلام يكره ما يفعله النصارى عند قبره وكذلك غيره من الانبياء والاولياء والمشائخ يؤذيهم ما يفعله اشباههم النصارى عند قبورهم ويوم القيمة يتبرؤن منهم كما قال تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا قال الله للمشركين فقد كذبوكم بما تقولون وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق الاية وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ومنها اماتة السنن واحياء البدع ومنها تفضيلها على خير البقاع واحبها الى الله تعالى فان عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد ولا قريب منه ومنها ان الذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو تذكر الاخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار وسؤال العافية فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت فقلب هؤلاء المشركون الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء

به وسؤاله حوآئجهم واستنزال البركة منه ونصرهم على الاعداء
وغير ذلك فصاروا مسيئين الى انفسهم والى الميت وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدا للذريعة
فلما تمكن التوحيد في قلوبهم اذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه
ونهاهم ان يقولوا هجرا ومن اعظم الهجر الشرك عندها قولا وفعلا
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن ابن عباس قال مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال
السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم وانتم بالاثر رواه احمد
والترمذي وحسنه فانظر الى هذه الزيارة التي شرعها رسول الله صلى
الله عليه وسلم لامته وعلمهم اياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده اهل
الشرك والبدع ام تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما
احسن ما قال مالك بن انس رحمه الله لن يصلح آخر هذه الامة
الا ما اصلح اولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود انبيائهم
ونقص ايمانهم عوضوا عن ذلك بما احدثوه من البدع والشرك
ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان احدهم
اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اراد الدعا استقبل القبلة
وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا ونص على ذلك الائمة الاربعة
انه يستقبل القبلة وقت الدعا حتى لا يدعوا عند القبر فان الدعا
عبادة وفي الترمذي وغيره مرفوعا الدعا هو العبادة ثم قد السلف
العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها الا ما اذن فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدعا لاصحابها والاستغفار والترحم عليهم وقد
خرج ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم واسناده جيد ورواته ثقات مشاهير وقوله لا
تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعا والقراءة
فتكون بمنزلة القبور فامر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحري

العبادة

العبادة عند القبور وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى
واشباههم ثم في تعظيم القبور واتخاذها اعيادا من المفاسد
العظيمة التي لا يعلمها الا الله مما يغضب لاجله كل من في قلبه
وقار لله تعالى وغيرة على التوحيد وتعجبين وتقبيح للشرك
ولكن ما الجرح بميت ايلم فمن مفاسد اتخاذها اعيادا الصلاة
اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على
ترابها وعبادة اصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر
والرزق والعافية وقضاء الدين وتفريج الكربات واغاثة اللهفات
وغير ذلك من انواع الطلبات التي كان عباد الاوثان يسئلونها
اوثانهم فلو رايت غلاة المتخذين لها عيدا وقد نزلوا عن الاكوار
والدواب اذا رأوها من كل مكان بعيد فوضعوا لها الجباه و
قبلوا الارض وكشفوا الرؤس وارتفعت اصواتهم بالضجيج
وبكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد اربوا في الربح
على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد وناداوا ولكن
من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا
انهم قد احرزوا من الاجر ولا اجر من صلى الى القبلتين فتراهم حول
القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا
اكفهم خيبة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من
العبرات ويرتفع من الاصوات ويطلب من الحاجات ويسئل من
تفريج الكربات واغناء ذوي الفاقات ومعافات ذوي العاهات
والبليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت
الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم اخذوا في
التقبيل والاستلام اراك الحجر الاسود وما يفعل به وقد البيت
الحرام ثم عفروا الدية تلك الجباه والخدود التي يعلم الله انها لم
تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير
هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن
لهم عند الله من خلاق وقد يعطا الذلك الوثن القرابين وكانت

صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم
ينهى بعضهم بعضا ويقول اجزل الله لنا ولكم اجرا وافرا وحظا
فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين اية بيع احدهم ثوابه حجة
القبر يحج المتخلف الى البيت الحرام فيقول لا ولا يحج كل عام
هذا ولم نتجاوز فيما حكينا عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم
وضلالهم اذهي فوق ما يخطر بالبال او يدور في الخيال وهذا
مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من شم ادنى
رائحة من العلم والفقه يعلم انه من اهم الامور سد الذريعة
الى هذا المحضور وان صاحب الشرع اعلم بعاقبة ما نهى عنه
وما يؤول اليه واحكم في نهيه عنه وتوعده عليه وان الخير و
الهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال في معصيته و
مخالفته انتهى كلامه رحمه الله قوله باب ما جاء في كثرت الحلف اي من النهي عنه والوعيد و
امر الله تعالى بحفظ ايمانكم قال ابن جرير لا تتركوها بغير
تكفير وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا و
قال آخرون احفظوا ايمانكم عن الحنث فلا تحنثوا والمصنف
رحمه الله اراد من الاية المعنى الذي ذكره ابن عباس فان القولين
متلازمان فيلزم من كثرة الحلف كثرت الحنث ما يدل عليه
من الاستخفاف وعدم التعظيم لله وغير ذلك مما ينافي كمال
التوحيد الواجب او عدمه وعن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحلف منفقة للسلعة
ممحقة للكسب اخرجاه اي البخاري ومسلم واخرجه ابو
داود والنسائي والمعنى انه اذا حلف على سلعته انه اعطي
فيها كذا وكذا او انه اشتراها بكذا وكذا وقد يظنه المشتري
صادقا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها والبايع كاذب
وحلفه طمعا في الزيادة فيكون قد عصى الله تعالى فيعاقب بمحق
البركة فاذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص اعظم من

تلك

معهم

تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه وربما ذهب ثمن تلك السلعة
رأسا وما عند الله لا ينال الا بطاعته وان تزخرفت الدنيا للعاصي
فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب قوله وعن سلمان قد
صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم الشمط الزاني والعائل المستكبر ورجل جعل الله بضاعته
لا يشتري الا بيمينه ولا يبيع الا بيمينه رواه الطبراني بسند
صحيح وسلمان لعله سلمان ابو عبد الله اسلم مقدم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة وشهد الخندق روى عنه ابو عثمان النهدي
وشريح بن السمط وغيرهما قال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان
منا اهل البيت ان الله يحب من اصحابي اربعة علي وابو ذر و
سلمان والمقداد اخرجه الترمذي وابن ماجة قال الحسن كان
سلمان اميرا على ثلاثين الفا يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها
ويلبس نصفها توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه قال ابو عبيدة سنة
ست وثلاثين عن ثلثمائة وخمسين سنة ويحتمل انه سلمان بن
عامر بن اوس الضبي قوله ثلاثة لا يكلمهم الله نفي كلام الرب تعالى
وتقدس عن هؤلاء لعصاة دليل على انه يكلم من اطاعه وان
صفة من صفات كماله والادلة على ذلك من الكتاب والسنة اظهر
شيء وابينه وهذا هو الذي عليه اهل السنة والجماعة من المحققين
قيام الافعال بالله سبحانه وان الفعل يقع بمشيئته تعالى
وقدرته شيئا فشيئا ولم يزل متصفا به فهو حادث الاحاد
قديم النوع كما يقول ذلك ائمة اصحاب الحديث وغيرهم من
اصحاب الشافعي واحمد وسائر الطوائف كما قال تعالى انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فاتى بالحرف الدالة على
الاستقبال والافعال الدالة على الحال والاستقبال ايضا وذلك
في القرآن كثير قال شيخ الاسلام فاذا قالوا لنا يعني النفاة
فهذا يلزم ان تكون الحوادث قديمة به قلنا ومن انكر هذا قبلكم
من السلف والائمة ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك

مع صريح العقل ولفظ الحوادث مجمل فقد يراد به الامراض والنقائص
فالله منزه عن ذلك ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وفعاله
ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة والقول الصحيح قول اهل
العلم الذين يقولون لم يزل متكلما اذا شاء كما قال ابن المبارك
واحمد بن حنبل وغيرهما من ائمة السنة انتهى قلت
معنى قيام الحوادث به تعالى قدرته عليها وايجاده لها بمشيئته
وامره والله اعلم قوله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم لما عظمت
ذنبهم عظمت عقوبتهم فعوقبوا بهذه الثلاثة التي هي اعظم العقوبات
قوله اشيمط زان صغره تحقيرا له وذلك لان داعي المعصية
ضعف في حقه فدل على ان الحامل له على الزنا محبة المعصية و
الفجور وعدم خوفه من الله وضعف الداعي الى المعصية مع فعلها
يوجب تغليظ العقوبة عليه بخلاف الشاب فان قوة داعي
الشهوة منه قد يغلبه مع خوفه من الله وقد يرجع على نفسه
بالندم ولومها على المعصية فينتهي ويراجع وكذا العائل المستكبر
ليس له ما يدعوه الى الكبر لان الداعي الى الكبر في الغالب كثرة المال
والنعم والرياسة والعائل الفقير لا داعي له الى ان يستكبر فكبره
مع عدم الداعي اليه يدل على ان الكبر طبيعة له كامن في قلبه
فعظمت عقوبة الداعي الى هذا الخلق الذميم الذي هو من اكبر المعاصي
قوله ورجل جعل الله بضاعته بنصب الاسم الشريف اي الحلف
به جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه وهذه اعمال تدل على
ان صاحبها ان كان موحدا فتوحيده ضعيف واعماله ضعيفة
بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي
العظيمة على قلة الداعي اليها نسأل الله السلامة والعافية و
نعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه قوله وفي الصحيح
اي صحيح مسلم واخرجه ابو داود والترمذي ورواه البخاري بلفظ
خيركم قوله عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

لعدم

سمين قوله خير امتي قرني لفضيلة اهل ذلك القرن في العلم
والايمان والاعمال الصالحة التي تنافس فيها المتنافسون و
يتفاضل فيها العاملون فغلب الخير فيها وكثر اهله وقل الشر
فيها واهله واعتز فيها الاسلام والايمان وكثر فيه العلم
والعلماء ثم الذين يلونهم فضلوا على من بعدهم بظهور الاسلام
فيهم وكثرة الداعي اليه والراغب فيه والقائم به وما ظهر
فيه من البدع انكر واستعظم وازيل كبدعة الخوارج والقدرية
والرافضة فهذه البدع وان كانت وتظهرت فاهلها في غاية
الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم وليس يلتبس
قوله فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا هذا شك من
راوي الحديث عمران بن حصين والمشهور في الروايات ان
القرون المفضلة ثلاثة الثالث دون الاولين في الفضل
لكثرة ظهور البدع فيه لكن العلم متوافرون والاسلام فيه
ظاهر والجهاد فيه قايم ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفا
في الدين وكثرت الاهوى فقال ثم ان بعدكم قوم يشهدون و
لا يستشهدون لا ستخفافهم بامر الشهادة وعدم تحريهم
للصدق وذلك لقلة دينهم وضعف اسلامهم قوله ويخونون
ولا يؤتمنون يدل على ان الخيانة قد غلبت على كثير منهم او اكثرهم
وينذرون ولا يوفون اي لا يؤدون ما وجب عليهم فظهور هذه
الاعمال الذميمة يدل على ضعف اسلامهم وعدم ايمانهم قوله
ويظهر فيهم السمن لرغبتهم في الدنيا ونيل شهواتهم والتنعم بها
وغفلتهم عن الدار الاخرة والعمل لها وفي حديث انس لا ياتي زمان
الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم قال انس سمعته من نبيكم
صلى الله عليه وسلم فما زال الشر يزيد في الامة حتى ظهر الشرك والبدع

في كثير منهم حتى في من ينتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف
وفيه عن [illegible] خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة [illegible] شهادته قلت وهذه حال من صرف عنايته الى الدنيا ونسي
المعاد فخف امر الشهادة واليمين عنده تحملا واداء لقلت
خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك وهذا هو الغالب على الاكثر
والله المستعان فاذا كان هذا قد وقع في الصدر الاول ففيما
بعده اكثر باضعاف فكن من الناس على حذر قوله قال ابراهيم
هو النخعي كانوا يضربون على الشهادة والعهد وتحن صغار
وذلك لكثرة علم التابعين وقوة ايمانهم ومعرفتهم بهم
وقيامهم بوظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه من
افضل الجهاد ولا يقوم الدين الا به وفي هذا الرغبة في تمرين
الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عن ما يضرهم وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قوله باب
ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم و
قول الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا الاية
قال العماد بن كثير رحمه الله وهذا امر ما امر الله تعالى به وهو الوفا
بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان ولهذا قال ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها ولا تعارض بين هذا وقوله ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم وبين قوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم و
احفظوا ايمانكم اي لا تتركوها بلا تكفير وفي الصحيحين اني
والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها
الا اتيت الذي هو خير وتحللتها قوله ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها هذه الايمان المراد بها الالتزام في العهود والمواثيق

لا الايمان

لا الايمان الواردة على حث او منع ولهذا قال مجاهد في الاية يعني الحلف
اي حلف الجاهلية ويؤيده ما رواه الامام احمد عن جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان
في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ومعناه ان الاسلام لا يحتاج
معه الى الحلف الذي كانه اهل الجاهلية يفعلونه فان في التمسك
بالاسلام حماية وكفاية عما كانوا فيه قوله ان الله يعلم ما تفعلون
تهديد ووعيد قوله عن بريدة بن الحصيب الاسلمي وهذا الحديث
من رواية ابنه سليمان عنه قال في المفهم قوله كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا امر [illegible] على جيش وسرية اوصاه في خا
صته [illegible] فيه من الفقه تامير الامراء ووصيتهم قال
الحربي السرية الخيل تبلغ اربعمائة ونحوها والجيش ما كان
اكثر من ذلك وتقوى الله التحرز بطاعته من عقوبته قلت
وذلك بالعمل بما امر الله والانتهاء عما نهى عنه قوله ومن معه
من المسلمين خيرا اي ووصاه بمن معه منهم ان يفعل معهم
خيرا من الرفق بهم والاحسان اليهم وخفض الجناح لهم
وترك التعاظم عليهم وقوله اغزوا باسم الله اي باشروا في
فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له قلت فتكون الباء
في بسم الله هنا للاستعانة والتوكل على الله وقوله قاتلوا من
من كفر بالله هذا العموم يشمل جميع اهل الكفر المحاربين وغيرهم
وقد خصص منهم من له عهد والرهبان والنسوان ومن لم
يبلغ الحلم وقد قال متصلا به ولا تقتلوا وليدا وانما نهى عن قتل
الرهبان والنسوان لانه لا يكون منهم قتالا غالبا فان كان
منهم قتال او تدبير قتلوا قلت وكذلك الذراري والاولاد
قوله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا الغلول الاخذ من الغنيمة
من غير قسمتها والغدر نقض العهد والتمثيل هنا التشويه
بالقتيل كقطع انفه واذنه والعبث به ولا خلاف في تحريم
الغلول والغدر وفي كراهة المثلة قوله واذا لقيت

للشك

عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خلال او خصال الرواية بأو
وهو من بعض الرواة ومعنى الخلال والخصال واحد وهو فايتهن
ما اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم قيدناه عمن يوثق بعلمه وتقييده
بنصب ايتهن على ان يعمل فيها اجابوك لا على اسقاط حرف الجر
وما زائدة ويكون تقدير الكلام فالى ايتهن اجابوك فاقبل منهم
كما تقول اجبتك الى كذا او في كذا فتعدى الى الثاني بحروف الجر فلك
فيكون في ناصب ايتهن وجهان ذكرهما الشارح الاول منصوب
على الاشتغال والثاني على نزع الخافض وهو له ثم ادعهم الى الاسلام
كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم ثم ادعهم بزيادة ثم
والصواب اسقاطها كما روي في غير كتاب مسلم كمصنف ابي داود
وكتاب الاموال لابي عبيد لان ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث
الخصال وقوله ثم ادعهم الى التحول الى دار المهاجرين يعني المدينة
وكان هذا في اول الامر وقت وجوب الهجرة الى المدينة على كل من
دخل في الاسلام وهذا يدل على ان الهجرة واجبة على كل من آمن من
اهل مكة وغيرها قوله فان ابوا ان يتحولوا يعني انه من اسلم
ولم يجاهد ولم يهاجر لا يعطى من الخمس ولا من الفيء شيئا وقد
اخذ الشافعي رحمه الله بالحديث في الاعراب فلم ير لهم شيئا من الفيء
وان لهم الصدقة المأخوذة من اغنيائهم فترد على فقرائهم
كما ان اهل البلاد واجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة
عنده ومصرف كل مال في اهله وسوى مالك وابو حنيفة
بين المالين وجوز اصرفهما للضعيف وقوله فان هم ابوا
فاسئلهم الجزية فيه حجة لمالك واصحابه والاوزاعي في اخذ
الجزية من كل كافر عربيا كان او غيره كتابيا كان او غيره وذهب
ابو حنيفة الى انها تؤخذ من الجميع الا من مشركي العرب و
مجوسهم وقال الشافعي لا تؤخذ الا من اهل الكتاب عربا كانوا
او عجما وهو قول الامام احمد في ظاهر مذهبه وتؤخذ من المجوس
قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم وقال سنوا بهم

سنة

الحنبلي

سنة اهل الكتاب وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية فقال مالك
اربعة دنانير على اهل الذهب واربعون درهما على اهل الورق
وهل ينقص منها الضعيف او لا قولان وقال الشافعي فيه دينار
على الغني والفقير وقال ابو حنيفة والكوفيون على الغني ثمانية
واربعون درهما والوسط اربعة وعشرون درهما والفقير اثنا
عشر درهما وهو قول احمد بن حنبل قال يحيى بن يوسف الصرصري
وقاتل اليهود والنصارى وعصبة المجوس فانهم سلموا الجزية اصنف
على الادوى اثنا عشر درهما فرض واربعة من بعد عشرين زيتين
لاوسطهم حالا ومن كان موسرا ثمانية مع اربعين لتثقيل
وتسقط عن صبيانهم ونسائهم وشيخ لهم فان واعمى ومقعد
وذا الفقر والمجنون او عبد مسلم ومن وجبت عليه منهم فيهتد
وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الاحرار البالغين العقلاء دون
غيرهم وانما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نائي بداره
ويجب تحويلهم الى بلاد المسلمين او حربهم وقوله واذا حاصرت
اهل حصن الكلام الى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وهو
الاصوان المصيب في مسائل الاجتهاد واحد وهو المعروف من
مذهب مالك وغيره ووجه الاستدلال انه صلى الله عليه وسلم
قد نص على ان لله تعالى حكما معينا في المجتهد اتصف وافقه
المصيب ومن لم يوافقه مخطئ قوله فاراد وك ان تجعل لهم
ذمة الله الحديث الذمة العهد والخفر تنقض يقال اخفرت الرجل
نقضت عهده وخفرته اجرته ومعناه انه خاف من نقض من
لم يعرف حق الوفا بالعهد كجهلة الاعراب فكانه يقول ان وقع
نقض من متعد كان نقض عهد الخلق لهون من نقض عهد الله تعالى
والله اعلم قوله وقولنا فيه وقد سئل عن الدعوة قبل القتال
ذكر فيه ان مذهب مالك يجمع بين الاحاديث في الدعوة قبل
القتال قال وهو ان مالكا قال لا يقاتل الكفار قبل ان يدعوا ولا
تلتمس غرتهم الا ان يكونوا بلغتهم الدعوة فيجوز ان تؤخذ غرتهم

وهذا الذي صار اليه مالك هو الصحيح لان فائدة الدعوة ان يعرف
العدو ان المسلمين لا يقاتلونه للدنيا ولا للعصبية وانما يقاتلون
للدين فاذا علموا ذلك امكن ان يكون ذلك سببا ميلا لهم الى
الانقياد الى الحق بخلاف ما اذا جهلوا مقصود المسلمين فقد
يظنون انهم يقاتلون للملك وللدنيا فيزيدون عتوا وبغضا والله
اعلم قوله باب ما جاء في الاقسام ذكر المصنف
رحمه الله فيه حديث جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان قال الله عز وجل من
ذا الذي يتالى علي ان لا اغفر لفلان اني قد غفرت له واحبطت
عملك رواه مسلم قوله يتالى يحلف والالية بالتشديد الحلف
وصح من حديث ابي هريرة قال البغوي في شرح السنة وساق
بالسند الى عكرمة بن عمار قال دخلت مسجد المدينة فاذا اني
شيخ فقال يا يماني تعال وما اعرفه قال لا تقولن لرجل والله لا
يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلت ومن انت يرحمك الله
قال ابو هريرة قال فقلتا ان هذه كلمة يقولها احدنا لبعض اهله
اذا غضب او لزوجته او لخادمه قال فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان رجلين كانا في بني اسرائيل متحابين احدهما
مجتهد في العبادة والاخر كانه يقول مذنب فجعل يقول اقصر عما
انت فيه قال فيقول خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر
الله لك ولا يدخلك الجنة ابدا قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض
ارواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال
للاخر اتستطيع ان تحظر على عبدي رحمتي قال لا يا رب قال اذهبوا
به الى النار قال ابو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة اوبقت
دنياه وآخرته ورواه ابو داود في سننه وهذا لفظه عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كان رجلان في بني اسرائيل متواخيين فكان احدهما يذنب والآخر

مجتهد

مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول
اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي ابعثت
علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك او لا يدخلك الجنة فقبض
ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد اكنت بي
عالما او كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل
الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به الى النار الى اخره قوله
في حديث ابي هريرة ان القائل رجل عابد يشير الى قوله في هذا
الحديث احدهما مجتهد في العبادة وفي هذه الاحاديث بيان خطر
اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام كما في حديث معاذ قلت
يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك
يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم
الا حصائد السنتهم والله اعلم قوله باب
لا يستشفع بالله على خلقه وذكر الحديث وساق ابي
داود في سننه اتم مما ذكره المصنف ولفظه عن جبير بن
مطعم عن ابيه عن جده قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي
فقال يا رسول الله جهدت الانفس وضاعت العيال ونهكت
الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع
بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويحك اتدري ما الله ان عرشه على سمواته هكذا وقال
بأصابعه مثل القبة عليه وانه ليئط به اطيط الرحل بالراكب قال بن يسار في
حديثه ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته قال الحافظ
الذهبي رواه ابو داود باسناد حسن عنده في الرد على الجهمية
من حديث محمد بن اسحق بن يسار قوله ويحك انه لا يستشفع

خوهم

بالله على احد من خلقه فانه تعالى رب كل شئ ومليكه والخير كله
بيده لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى وما كان
الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا انما
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والخلق وما في ايديهم ملكه
يتصرف فيه كيف شاء وهو الذي يشفع الشافع اليه ولهذا انكر
على الاعرابي قوله هذا وسبح الله كثيرا وعظمه لان هذا القول
لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده ان شان الله اعظم من ذلك و
في هذا الحديث اثبات علو الله على خلقه وان عرشه فوق سمواته
وفيه تفسير الاستوى بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون
والائمة خلافا للمعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن اخذ
عنهم كالاشاعرة ونحوهم ممن الحد في اسماء الله وصفاته
وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من اثبات
صفات الله تعالى التي دلت على كماله جل وعلا كما عليه السلف
الصالح والائمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة فانهم اثبتوا
ما اثبته الله لنفسه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من
صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل وتنزيها
بلا تعطيل قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مفتاح
دار السعادة بعد كلام سبق فيما يعرف العبد بنفسه وبربه
من عجائب مخلوقاته قال بعد ذلك والثاني ان يتجاوز هذا
بنظر البصيرة الباطنة فتفتح له ابواب السماء فيجول في
اقطارها وملكوتها وبين ملائكتها ثم يفتح له باب بعد باب
حتى ينتهي به سير القلب الى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته
وجلاله ومجده ورفعته يرى السموات السبع والارضين
السبع بالنسبة اليه كحلقة ملقاة بارض فلاة ويرى الملا
ئكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح والتحميد وا
لتقديس والتكبير والامر ينزل من فوقه تدبير الممالك و
الجنود التي لا يعلمها الا ربها ومليكها فينزل الامر باحياء قوم

وامانة

وامانة آخرين واعزاز قوم واذلال آخرين وانشاء ملك و
سلب ملك وتحويل نعمة من محل الى محل وقضاء الحاجات على
اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسير واغناء فقير
وشفاء مريض وتفريج كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر و
نصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد آبق وامانة
خائف واجارة مستجير ومد ضعيف واغاثة ملهوف
واعانة عاجز وانتقام من ظالم وكف عدوان فهي مراسيم
دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في اقطار
العوالم لا تشغله سمع شئ منها عن سمع غيره ولا تغلطه
كثرة المسائل واللغات على اختلافها وتباينها واتحادها وفيها
ولا يتبرم بالحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا اله
الا هو العزيز الحكيم فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن
مطرقا لهيبته خاشعا لعظمته عانا لعزته فيسجد بين
يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع راسه منها الى يوم
القيمة هذا سفر القلب وهو في وطنه ودياره ومحل ملكه
وهذا من اعظم ايات الله وعجائب صنعه فيا له من سفر
ما ابركه وارواحه واعظم ثمرته وربحه واجل منفعته
واحسن عاقبته هو سفر حياة الارواح ومفتاح السعادة
وغنيمة العقول والالباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذا
انتهى كلامه رحمه الله تعالى واما الاستشفاع بالرسول صلى الله
عليه وسلم في حياته فالمراد به استجلاب دعائه وليس خاصا
به صلى الله عليه وسلم بل كل حي صالح يرجى ان يستجاب له فلا باس
ان يطلب منه ان يدعو للسائل بامطالب الخاصة والعامة كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما اراد ان يعتمر من
المدينة لا تنسانا يا اخي من صالح دعائك واما الميت فانما
يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك
وهذا هو الذي يشرع في حق الميت واما دعاؤه فلم يشرع بل

خ المزيد

خ تنسنا

قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه كما قال تعالى والذين
تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
فبين تعالى ان دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به
المدعو يوم القيمة اي ينكره ويعادي من فعله كما في اية الاحقاف
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين فكل
ميت او غايب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر والصحابة
رضي الله عنهم لا سيما اهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم
ينقل عن احد منهم ولا عن غيرهم انهم انزلوا حاجاتهم بالنبي صلى
الله عليه وسلم بعد وفاته حتى في اوقات الجدب كما وقع لعمر رضي الله
عنه لما خرج ليستسقي بالناس خرج بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
فامره ان يستسقي لانه حي حاضر يدعو ربه فلو جاز ان
يستسقى باحد بعد وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه في السابقين
الاولين بالنبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت
لان المقصود من الحي دعاءه اذا كان حاضرا فانهم في الحقيقة انما
توجهوا الى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع اليه وهم كذلك
يدعون ربهم فمن تعدى المشروع الى ما لا يشرع ضل واضل فلو كان
دعاء الميت خيرا لكانت الصحابة اليه اسبق وعليه احرص وهم
اليق وبحقه اعلم واقوم فمن تمسك بكتاب الله نجا ومن تركه
واعتمد على عقله هلك وبالله التوفيق قوله باب
جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده
طرق الشرك حمايته صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد عما يشوبه
من الاقوال والاعمال التي يضمحل معها التوحيد وينقص وهذا كثير
في السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم كقوله لا تطروني كما
اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وتقدم وقوله انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل
ونحو ذلك ونهى عن التمادح وشدد القول فيه كقوله لمن مدح

مدح انسانا ويلك قطعت عنق صاحبك والحديث اخرجه ابو
داود عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه ان رجلا اثنى على رجل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قطعت عنق صاحبك
ثلاثا وقال اذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب
واخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة عن المقداد بن الاسود
وفي هذه الاحاديث نهي ان يقولوا انت سيدنا وقال السيد
الله تبارك وتعالى ونهاهم ان يقولوا افضلنا فضلا واعظمنا
طولا وقال لا يستجرينكم الشيطان وكذلك قوله في حديث انس
ان ناسا قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
فقال يا ايها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم
الشيطان كره صلى الله عليه وسلم ان يواجهوه بالمدح فيفضي
بهم الى الغلو واخبر صلى الله عليه وسلم ان مواجهة الممادح للممدوح
بمدحه ولو بما فيه من عمل الشيطان لما تفضي محبة المدح اليه من
تعاظم الممدوح في نفسه وذلك ينافي كمال التوحيد فان العبادة
لا تقوم الا بقطب رحاها الذي لا تدور الا عليه وذلك غاية الذل في
غاية المحبة وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله
تعالى وانه لا يرى نفسه الا في مقام الذم لها والمعاتبة لها في حق ربه
وكذلك المحب لا تحصل غايته الا اذا كان يحب ما يحبه الله ويكره
ما يكرهه الله من الاقوال والاعمال والارادات ومحبة المدح من
العبد لنفسه يخالف ما يحبه الله منه والمادح يغر من نفسه
فيكون اثما فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسا والنهي
عنه صيانة لهذا المقام فمتى اخلص الذل لله والمحبة له خلصت
اعماله وصحت فمتى دخل ما يشوبها من هذه الشوائب دخل على
مقام العبودية بالنقص والفساد اذا ادّاه المدح الى التعاظم في
نفسه والاعجاب بها وقع في امر عظيم ينافي العبودية الخالصة
كما في الحديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني شيئا
منهما عذبته وفي الحديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة

من كبر وهذه الافات قد تكون محبة المدح سببا لها وسلما اليها والعجب
يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واما المادح فقد يفضي به المدح
الى ان ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها كما يوجد كثيرا في اشعارهم
من الغلو الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وحذر امته ان
يقع منهم فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية
والالهية والملك كما تقدم الاشارة الى شيء من ذلك والنبي صلى
الله عليه وسلم لما اكمل الله له مقام العبودية صار يكره ان يمدح
صيانة لهذا المقام وارشد الامة الى ترك ذلك نصحا لهم وحماية
لمقام التوحيد عن ان يدخله ما يفسده او يضعفه من الشرك
ووسائله فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وراوا ان فعل
ما نهاهم صلى الله عليه وسلم عن فعله قربة من افضل القربات وحسنة
من اعظم الحسنات واما تسمية العبد بالسيد اختلف العلماء
في ذلك فقال العلامة ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد اختلف
الناس في جواز اطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن مالك
رحمه الله واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
سيدكم لما قيل له يا سيدنا قال السيد الله وجوزه قوم واحتجوا
بقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا الى سيدكم وهذا اصح
من الحديث الاول قال هؤلاء السيد احد ما يضاف اليه فلا
يقال للقيم سيد كنده ولا يقال المالك سيد البشر قال وعلى هذا
فلا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم وفي هذا نظر فانه السيد
اذا اطلق عليه تعالى هو بمنزلة المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي
يطلق على المخلوق انتهى قلت فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال في معنى قول الله تعالى قل اغير الله ابغي ربا اي الها وسيدا
وقال في قول الله تعالى الله الصمد انه السيد الذي كمل في جميع انواع
السودد وقال ابو وائل هو السيد الذي انتهى سوددة واما
استدلالهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا الى سيدكم فالظاهر
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يواجه سعدا به فيكون في هذا المقام

تفصيل

تفصيل والله اعلم قوله باب ما جاء في قول الله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
الاية اي من الاحاديث والاثار في معنى هذه الاية الكريمة
قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى يقول تعالى ما قدر المشركون
الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا اعظم
منه القادر على كل شيء والملك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته
قال السدي ما عظموه حق عظمته وقال محمد بن كعب لو قدروه
حق قدره ما كذبوه وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس هم الكفار
الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن امن ان الله على كل شيء قدير
فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره
وقد وردت احاديث كثيرة متعلقة بهذه الاية الطريق فيها و
في امثالها من مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير
تكييف ولا تحريف وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رحمه
في هذا الباب قال ورواه البخاري في صحيحه في غير موضع ومسلم و
الامام احمد والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن
مهران هو الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه
قال جاء رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا
القاسم ابلغك ان الله يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع
والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وانزل الله عز
وجل وما قدروا الله حق قدره الاية وهكذا رواه البخاري ومسلم
والنسائي من طرق عن الاعمش به وقال الامام احمد ثنا الحسين
بن حسن الاشقر ثنا ابو كدينة عن عطاء عن ابي الضحا عن ابن عباس
قال مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال كيف
تقول يا ابا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه والارض على ذه
والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير
باصبعه فانزل الله عز وجل وما قدروا الله حق قدره وكذا رواه

ح
الحسين

الترمذي في التفسير بسنده عن ابي الضحا مسلم بن صبيح بمو قال
حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ثم قال البخاري ثنا
سعيد بن عفير ثنا الليث ثني عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن
ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه
فيقول انا الملك اين ملوك الارض تفرد به من هذا الوجه ورواه
مسلم من وجه آخر وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن
محمد ساعي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبض يوم القيمة الارضين
وتكون السماء بيمينه ثم يقول انا الملك تفرد به ايضا من
هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الامام احمد
من طريق آخر بلفظ ابسط من هذا السياق واطول فقال حدثنا
عفان ساحماد بن سلمة انا اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن عبد
الله بن مقسم عن بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه
الآية ذات يوم على المنبر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى
عما يشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها
ويقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه انا الجبار انا المتكبر انا الملك
العزيز انا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى
قلنا ليخرن به قوله وسلم عن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يطوي الله عز وجل السموات ثم ياخذهن بيده
اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم
يطوي الارض بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين
المتكبرون لفظ في رواية مسلم قال الحميدي وهي اتم وهي عند
مسلم من حديث سالم عن ابيه واخرجه البخاري من حديث
عبيد الله عن نافع عن بن عمر قال ان الله يقبض يوم القيمة الارضين

وتكون

وتكون السماء بيمينه واخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم
قلت وهذه الاحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله
وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته وقل تعرف سبحانه وتعالى
الى عباده بصفاته وعجايب مخلوقاته وكلها تعرف وتدل على
كماله انه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته
وتدل على اثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته اثبا
بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل وهذا هو الذي يدل عليه نصوص
الكتاب والسنة وعليه سلف الامة وائمتها فتعلم باحسان
واقتفى اثارهم على الاسلام والايمان وتامل ما في هذه الاحاديث
الصحيحة من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ربه بذكر صفات
كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما
اخبروا به عن الله تعالى من الصفات التي تدل على عظمة الله
سبحانه وتعالى وتامل ما فيها من اثبات علو الله على عرشه ولم يقل النبي
صلى الله عليه وسلم في شيء منها ان ظاهرها غير مراد وانها
تدل على تنزيه صفات الله بصفات خلقه فلو كان هذا حقا
بلغه امته فان الله اكمل لهم الدين واتم به النعمة فبلغ البلاغ
المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله وصحبه ومن تبعهم
الى يوم الدين وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه
ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله فامنوا به
وامنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا كما
قال تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا
وكذلك التابعون لهم باحسان وتابعوهم والائمة من المحدثين
والفقهاء كلهم وصفوا الله بما وصف به نفسه ووصفه رسوله
صلى الله عليه وسلم ولم يجحدوا شيئا من الصفات ولا قال احد
منهم ان ظاهرها غير مراد ولا انه يلزم من اثباتها التشبيه
بل انكروا على من قال ذلك غاية الانكار وصنفوا في رد هذه

تا

من ص

سلم

الشيخ المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بايدي اهل السنة
والجماعة قال شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله وهذا
كتاب الله من اوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وكلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وكلام سائر الائمة
مملوء بما هو نص وظاهر ان الله تعالى فوق كل شئ وانه فوق
العرش فوق السموات مستويا على عرشه مثل قوله تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقوله تعالى اذ قال
الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي وقوله تعالى بل رفعه
الله اليه وقوله تعالى ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه
وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه
وقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع
سموات وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش الاية وقوله تعالى ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم
فاعبدوه افلا تذكرون فذكر التوحيد به في هذه الاية وقوله
تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على
العرش وقوله تعالى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى
الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت
وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن
فاسئل به خبيرا وقوله الله الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من
ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء والارض
ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقوله
هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش

على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير
فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم احاطته وعموم رؤيته
وقوله تعالى ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا
هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون
كيف نذير وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقوله تعالى وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى انتهى كلامه رحمه الله تعالى
قلت وقد ذكر الائمة رحمهم الله تعالى فيما صنفوه في
الرد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والاشاعرة ونحوهم اقوال الصحابة والتابعين لمن بعدهم من ذلك ما رواه الحافظ
الذهبي في كتاب العلو وغيره بالاسانيد الصحيحة عن ام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت في قوله تعالى الرحمن على
العرش استوى قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول
والاقرار بالايمان والجحود به كفر رواه ابن المنذر واللالكائي
وغيرهما باسانيد صحاح قال وثبت عن سفيان بن عيينة
انه قال لما سئل ربيعة بن عبد الرحمن كيف الاستواء قال
الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى
الرسول البلاغ وعلينا التصديق وقال بن وهب كنا عند مالك
فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف
استوى فاطرق مالك واخذته الرحضاء وقال الرحمن على
العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه
مرفوع وانت صاحب بدعة اخرجوه رواه البيهقي باسناد صحيح
عن بن وهب ورواه عن يحيى بن يحيى ايضا ولفظه وقال
الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة قال الذهبي فانظر اليهم كيف اثبتوا الاستواء

لله واخبروا انه معلوم لا يحتاج لفظه الى تفسير ونفوا عنه
الكيفية قال البخاري في صحيحه قال مجاهد استوى على العرش
وقال اسحق بن راهويه سمعت غير واحد من المفسرين
يقول الرحمن على العرش استوى اي ارتفع وقال محمد بن جرير
الطبري في قوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن اي علا
وارتفع وشواهده في اقوال الصحابة والتابعين واتباعهم
فمن ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه
شهدت بان وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الاله مسومينا
وروى الدارمي والحاكم والبيهقي باصح اسناد الى علي بن الحسين
ابن شقيق قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول نعرف ربنا
بانه فوق سبع سمواته على العرش استوى بائن من خلقه
لا نقول كما قالت الجهمية قال الدارمي حدثنا الحسن بن
الصباح البزار سأل علي بن الحسن بن شقيق عن بن المبارك
قيل له كيف نعرف ربنا قال بانه فوق السماء السابعة على
العرش بائن من خلقه وقد تقدم قول الاوزاعي كنا والتابعون
متوفرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما
وردت به السنة وقال ابو عمر الطلمنكي في كتاب الاصول
اجمع المسلمون من اهل السنة على ان الله تعالى استوى على
عرشه بذاته وقال في هذا الكتاب ايضا اجمع اهل السنة على
ان الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ثم ساق
بسنده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه في كل مكان ثم
قال في هذا الكتاب اجمع المسلمون من اهل السنة ان معنى
قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ونحو ذلك من القرآن ان ذلك
علمه وان الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء
وهذا لفظه في كتابه وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين

والتابعين

والتابعين والائمة اثبتوا ما اثبته الله في كتابه وعلى
لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على الحقيقة على ما يليق بجلال الله
وعظمته ونفوا عنه مشابهة المخلوقين ولم يمثلوا ولم يكيفوا
كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب وقال الحافظ الذهبي واول
وقت سمعت مقالة من انكر ان الله تعالى فوق العرش هو الجعد
ابن درهم وكذلك انكر جميع الصفات فقتله خالد بن عبد الله
القسري وقصته مشهورة واخذ هذه المقالة عنه الجهم
ابن صفوان امام الجهمية فاظهرها واحتج لها بالشبهات
وكان ذلك في آخر عصر التابعين فانكر مقالته ائمة ذلك
العصر مثل الاوزاعي وابي حنيفة ومالك والليث بن سعد و
الثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وبن المبارك ومن
بعدهم من ائمة الهدى فقال الاوزاعي امام اهل الشام
على راس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة اخبرنا عبد
الواسع الازهري بسنده الى ابي بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ
اخبرني محمد بن علي الجوهري ببغداد حدثنا ابراهيم بن الهيثم
حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الاوزاعي يقول كنا
والتابعون متوافرون نقول الله فوق عرشه ونؤمن بما
وردت به السنة من صفاتها خرجه البيهقي في الصفات ورواته
ائمة ثقات وقال الامام الشافعي رحمه الله لله اسماء وصفات
لا يسع احدا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر واما
قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل وتثبت هذه الصفات و
ننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ليس كمثله شيء انتهى
من فتح الباري قوله وعن العباس بن عبد المطلب ساقه
المصنف مختصرا والذي في سنن ابي داود عن العباس بن
عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه

بعدهم

قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا
العنان قال ابو داود ولم اتقن العنان جملة قال هل تدرون
ما بعد ما بين السماء والارض قالوا الله ورسوله اعلم قال ان بعد ما
بينهما اما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة ثم
السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السابعة
بحر اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك
ثمانية اوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء
ثم على ظهورهم العرش بين اسفله واعلاه كما بين سماء الى سماء
ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك واخرجه الترمذي و
ابن ماجة وقال الترمذي حسن غريب وقال الحافظ الذهبي
رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي نحوه من حديث
ابي هريرة وفيه بعد ما بين سماء الى سماء خمسمائة عام والارضون
متفاوتات بينهما الا تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير الفاتحة
مثلا وبف وسبعون سنة على سير البريد لانه يصح ان
يقال بيننا وبين مصر عشرون يوما باعتبار سير العادة
ثلاثة ايام باعتبار سير البريد وروى شريك بعض
هذا الحديث عن سماك فوقفه هذا آخر كلامه قلت
فيه التصريح بان الله فوق عرشه كما تقدم في الايات
المحكمات والاحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة
والتابعين وتابعيهم وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين
وغيرهما ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهده التي
يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها وهذا الحديث كما تاله
يدل على عظمة الله وكماله وعظيم مخلوقاته وانه المتصف
بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه
رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى كمال قدرته وانه هو المعبود
وحده لا شريك له دون كل ما سواه وبالله التوفيق

ولا

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله
ونعم الوكيل وصلى الله على سيد المرسلين
وامام المتقين نبينا محمد وعلى اله
وصحبه اجمعين وسلم
تسليما كثيرا الى
يوم الدين
امين

تم الكتاب المسمى فتح المجيد بعون الملك الحميد بقلم افقر
العباد واحوجهم الى رحمة ربه المنان عبد الرحمن ابن داود
ابن سليمان ابن تركي الضحيان غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
ولاخوانه المسلمين الاحياء منهم والميتين فرغت منه يوم
الاربعاء لثلاث وعشرين يوما خلت من شهر رجب [illegible]